

المثقف العربي.. ومسؤولية الكلمة

بقلم: سليمان الحزامي *

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.. ظهرت أسماء عربية من مختلف الأقطار العربية، في بلاد الشام ولبنان وفلسطين، وظهرت أسماء في مصر وفي المغرب العربي منهم شعراء وكتاب وأصحاب كلمة، وفي الخليج العربي أيضاً عرف التاريخ أسماء لها مواقف من التوجه العربي والثقافة الملتزمة كما في الكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية، بمعنى أنني أذهب إلى أن الانتشار الثقافي عند أبناء الوطن العربي كان واسعاً وشاسعاً وذا نكهة تقوم على طلب الحرية للشعوب وتركيز المفاهيم الديمقراطية لدى الحكام.

لذا نجد أن تلك الفترة كانت فترة غنية بالعقول والأفكار وأيضاً انعكس هذا على الأدب وظهرت أسماء في مختلف المجالات الأدبية كالشعر والنثر من قصة ورواية ومقالة سياسية وتم تأسيس الكثير من المجالات في مختلف الدول العربية ولا أريد أن أذهب لذكر الأمثلة لأن هذه أمور موثقة ويمكن الرجوع إليها من خلال التقنية الحديثة في عالم الكمبيوتر.

وهنا في الكويت ظهرت أسماء التزمت بنشر الثقافة العامة وأعني الثقافة السياسية والفكرية والأدبية وكل ما يتصل بشأن التوعية الاجتماعية والربط بين العلم الحديث ونشر المفاهيم الأدبية والثقافية، ولعل من أبرز هذه الأسماء الدكتور محمد غانم الرميحي

زينا بصورته غلاف هذا العدد لمكانته الأدبية والفكرية في عالم الصحافة والمجلات المتخصصة والمجلات العامة.

ولعل أبرز المحطات لأستاذ علم الاجتماع الدكتور الريمحي هي تلك الفترة التي ترأس بها مجلة العربي والتي امتدت إلى سبعة عشر عاماً. وبعدها ترأس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب فعمل على تأسيس بعض المطبوعات الخاصة للمجلس كجريدة "فنون" و"سلسلة إبداعات عالمية" وغيرها من المطبوعات.

والحديث عن الدكتور محمد الريمحي يستحق التوقف لأن الرجل يحمل همّاً ثقافياً وفكرياً ويحمل نظرة اجتماعية تقوم أساساً على التطوير والحدّاث في مجالات الأدب والصحافة، والكثيرون يعرفون أن محمد الريمحي أيضاً أسس جريدة "صوت الكويت" إبان فترة الغزو العراقي للكويت في لندن وكانت صوتاً له صدى في الوطن العربي كما أن الريمحي كان يضع جريدة "صوت الكويت" كمنارة في أوروبا تؤكد على حرية الكويت وإنها عائدة إلى أهلها وأن الحرية باب لن يغلق إن كان وراءه من يطالب به. <http://Archive>

كما أن مجلة العربي شهدت تطوراً نوعياً وفنياً في الإخراج والتبويب من خلال الافتتاحيات التي كان يكتبها رئيس تحرير "العربي" آنذاك الدكتور الريمحي؛ والحديث عن مجلة العربي ذات التاريخ الذي تجاوز خمسين عاماً الآن حديث يستحق التوقف ويستحق الإشادة لكل من ساهم في مجلة العربي ابتداءً من رئيس التحرير الدكتور أحمد زكي -رحمه الله- والأستاذ أحمد بهاء الدين أيضاً -رحمه الله- ولكل من تناوب على رئاسة هذه المجلة الرائدة والتي هي بحق صوت ثقافي عالي التردد في مجال الصحافة الثقافية في الوطن العربي وبعد أن ترك الدكتور الريمحي المجلس الوطني بالآثار الإيجابية التي كانت بصمة واضحة في سيرة حياة هذا المجلس نجد أن الدكتور الريمحي مازال عشقه الصحافة، وهو أستاذ الاجتماع، يقوده إلى

أن يصدر جريدة يومية أطلق عليها اسم أوان واستمرت أوان تؤدي دورها التنويري السياسي والثقافي والاجتماعي ونظراً للتكاليف الباهظة لجريان وسريان جريدة يومية في الكويت فقد توقفت أوان عن الصدور كما يقول رئيس تحريرها الدكتور الرميحي لأسباب فنية ومالية وهنا نتساءل سؤالاً مشروعاً وهو هل هذا النوع من الصحف يستحق أن يدفن بشكل مبكر؟ أعني أن المؤسسات الرسمية والحكومة هل هي تقف متفرجة لمثل هذا النوع أم أن العون والمساعدة مطلوبة لإنقاذ صحيفة ذات نكهة خاصة وخط عربي تحمل بصمات ما يريد هذا الشعب أو تلك الأمة.

إن من أهم مشاكل التخلف في الوطن العربي، مع الأسف هو الخوف على إنفاق المال على أي مطبوعة قد تحتاج إلى شيء من المال في يوم ما، ولعل الحرية الصحافية التي تعطى للصحافة في الكويت والتكاثر اللامحدود من المطبوعات الصحفية أدى إلى خفوت الكثير من الصحف التي وصلت إلى مرحلة الإفلاس أو مرحلة العجز في الاستمرار وهذه قضية تحتاج إلى دراسة وإلى تدقيق في الأسباب والمحاولة في كسر تلك الحواجز التي تؤدي إلى نهاية مطبوعة ذات نكهة خاصة يقف وراءها أشخاص يحملون همّاً ثقافياً وصحافياً في البلدان التي ينتمون إليها.

ونحن نرى في العالم الغربي إن الحكومات تتدخل في إنقاذ وتقديم العون للصحافة للاستمرار وليس للدفن المبكر ولكننا في الوطن العربي مع الأسف الشديد نجد العكس أي أننا نفتقد العون ونتجاهل أسباب العجز.

إن د. محمد الرميحي رجل يحمل همّاً ثقافياً وصحافياً وفكرياً وله منا -نحن مجلة البيان- شيء من التقدير بأن يكون ملف هذا العدد عنه وعن إنتاجه وعن فكره الذي يستحق التقدير وله منا كلمة شكر

وثناء أتمنى أن يتقبلها منا في مجلة البيان ورابطة الأدباء، فهو من أولئك الذين يستحقون الكثير الكثير.

إن المؤثرين في الثقافة العربية المعاصرة قلة والمواكبين لهذه الثقافة عملة نادرة ولعل البيان وهي تضع ملفاً عن الأستاذ والمفكر العربي محمد الرميحي تؤكد على أننا نتلمس في البيان البحث عن المؤثرين في الحركة الثقافية والفكرية في الوطن العربي وفي الكويت، وغلاف هذا العدد للدكتور محمد غانم الرميحي هو جزء بسيط تقدمه البيان لهذا المفكر الذي ترأس مجلة العربي كما ذكرنا سابقاً .. طوّر بها وكتب الكثير من الافتتاحيات ذات النهج العلمي والبناء، إن البيان وهي تقدم محمد الرميحي لقرائها في الوطن العربي وخارج الوطن العربي تقدم شيئاً بسيطاً لما قدمه الدكتور الرميحي في خدمة الثقافة العربية من خلال ترؤسه للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب لفترة تزيد عن أربع سنوات وللحراك الثقافي والمشاركة الفعالة له في الكويت وخارج دولة الكويت.

إن التكريم في الحياة هو أجمل معاني التكريم لعلنا نكون في البيان قد قدمنا شيئاً من التكريم لهذا المفكر العربي الكويتي.

ونحن نعمل على تجهيز العدد الذي بين يديك عزيزي القارئ جاءنا خبر يحمل الكثير من البشري بتعيين أول امرأة كويتية لرئاسة التحرير مجلة من أشهر المجالات في الوطن العربي ألا وهي مجلة العربي التي تصدر في الكويت منذ العام ١٩٥٨م حيث يتذكر القراء أن العدد الأول من مجلة العربي صدر في ديسمبر سنة ١٩٥٨م. وبعد مضي ما يزيد على الخمسين عاماً من هذه المجلة الرائدة والراقية جاءت امرأة على درجة عالية من الثقافة التحصيلي العلمي للشهادات العليا لتتبع رئاسة تحرير مجلة العربي الكويتية. ونحن في البيان أسعدنا هذا الخبر لأسباب كثيرة لعل من أهمها وصول المرأة الكويتية لرئاسة تحرير مجلة ثقافية فكرية اجتماعية بحجم وشهرة مجلة العربي.

التهنئة خالصة للزميلة الأستاذة الدكتورة ليلى السبعان متطلعين إلى أن تقدم للعربي خبرتها في مجال الثقافة والأدب ولعل وجودها في رابطة الأدباء كعضو في مجلس الإدارة واطالعتها ومشاركتها في نشاط الرابطة يجعلها قريبة من المفكرين والمثقفين الكويتيين متمنين لها النجاح مرة أخرى والتوفيق بمشيئة الله ونقولها بكل إخلاص لكي التهنئة يا دكتورة ليلى من جميع زملائك وأعضاء رابطة الأدباء في دولة الكويت.

مع بداية الشهر التاسع ٢٠١٣، فقدت رابطة الأدباء أحد أعضائها الذين تركوا اسماً وفراغاً في ديوانية رابطة الأدباء ولقاءاته الأدبية وحواراته الجميلة، فقد توفي المحامي الأخ خالد خلف التيلجي، في بداية الشهر التاسع من هذا العام، فله الرحمة والمغفرة ولزملائه وأهله وذويه الصبر والسلوان.

رحمك الله يا أبا وليد



وللبيان كلمة

● رئيس التحرير.

ملف البيان

د. محمد غانم الرميحي

.. بين الإعلام والفكر



إعداد: خليل السلامة*

محمد غانم الرميحي بين الإعلام والفكر



ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

* السيرة الذاتية

- مواليد الكويت ١٩٤٢م.
- المؤهلات: دكتوراه في العلوم الاجتماعية من جامعة درهم Durham بشمال شرق إنجلترا سنة ١٩٧٣.
- التخصص: اجتماع سياسي، تنمية اجتماعية.
- اللغات: العربية، الإنجليزية.

الأعمال والخبرات

- رئيس تحرير صحيفة أوان اليومية الصادرة في الكويت ٢٠٠٧ - ٢٠١٠.
- رئيس تحرير مجلة "حوار العرب" - مؤسسة الفكر العربي- بيروت ٢٠٠٤ - ٢٠٠٦.

* عن الموقع الشخصي للدكتور - محمد غانم الرميحي.

● مدرس ثم أستاذ مساعد ثم
أستاذ في قسم الاجتماع و الخدمة
الاجتماعية - جامعة الكويت
١٩٧٥-٢٠٠٨.

● عميد مساعد في كلية الآداب والتربية
- جامعة الكويت ١٩٧٦-١٩٧٨.

● رئيس قسم الاجتماع و الخدمة
الاجتماعية في كلية الآداب والتربية
- جامعة الكويت ١٩٧٥-١٩٧٧.

● أستاذ في علم الاجتماع ومساعد
عميد في كلية الآداب والتربية -
جامعة الكويت عام ١٩٧٣-١٩٨٢.

عضوية مجلس ولجان

● عضو باللجنة الاستشارية بمركز
الدراسات الخليجي - بالجامعة
الأمريكية الكويت - ٢٠٠٩-٢٠١١.

● عضو بمجلس الأمناء - المعهد
الدبلوماسي الكويتي - وزارة
الخارجية

● عضو بمجلس الأمناء - الجامعة
الأسترالية

● عضو المجلس الأعلى للتخطيط
والتنمية - الكويت ٢٠٠٢ -

● عضو مجلس إدارة مؤسسة
الفكر العربي - بيروت ٢٠٠٢ -

● عضو في مجلس أمناء معهد
تاريخ العلوم العربية والإسلامية -
فرانكفورت عام ١٩٩٨-٢٠٠٢.

● عضو المجلس الأعلى للتعليم -
الكويت ١٩٨٦-٢٠٠٢.

● عضو في مجلس تحرير سلسلة
عالم المعرفة التي يصدرها المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب
منذ عام ١٩٧٧، ٢٠٠٢.

● إنشاء و رئاسة تحرير (جريدة
الفنون) من إصدار المجلس الوطني
للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت
٢٠٠١-٢٠٠٢.

● رئيس تحرير كل من: عالم
المعرفة، الثقافة العالمية، عالم الفكر،
إبداعات عالمية، من منشورات
المجلس الوطني للثقافة و الفنون و
الآداب، الكويت-١٩٩٨-٢٠٠٢.

● الأمين العام للمجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب - الكويت
١٩٩٨ - ٢٠٠٢.

● رئيس تحرير مجلة العربي
الثقافية الشهرية المصورة -
(توزيعها ٣٥٠ ألف نسخة شهريا)
وكذلك تأسيس مجلة العربي
الصغير بشكلها الحالي، وإصدار
كتاب العربي، عام ١٩٨٢-١٩٩٨.

● (أثناء العدوان العراقي على
الكويت وما بعد التحرير) إنشاء
ورئاسة تحرير جريدة "صوت
الكويت" و "مجلة نيو أريبيا new
Arabia" ١٩٩٠ - حتى توقفهم عن
الصدور في نوفمبر ١٩٩٢.

● مؤسس ورئيس تحرير مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية
التي تصدرها جامعة الكويت ١٩٧٤ -
١٩٧٨، تحولت فيما بعد إلى
مركز دراسات الخليج العربي.

أكاديميا

● أستاذ في علم الاجتماع السياسي
- قسم الاجتماع - جامعة الكويت
١٩٧٣ -

● محاضر في قسم الأعلام،
جامعة الكويت ١٩٩٥-١٩٩٦.

- عضو مجلس تحرير مجلة (النفط والتعاون العربي) الذي تصدرها المنظمة العربية للدول المصدرة للنفط ١٩٨٠ - ١٩٨٣ - Oapic.
- عضو لجنة دراسة المستقبلات البديلة التي شكلتها جامعة الأمم المتحدة - طوكيو، وقامت بدراستها من خلال منتدى العالم الثالث (القاهرة ١٩٧٨ - ١٩٨٣)..
- عضو مجلس كلية الدراسات العليا في جامعة الكويت ١٩٨٠ - ١٩٨٢.
- عضو اللجنة الدائمة العليا للترقيات والتعيينات الجامعية ١٩٨٠ - ١٩٨٢.
- عضو مجلس إدارة رابطة الاجتماعيين - الكويت منذ ١٩٨٢
- عضو منتدى الفكر العربي عمان - الأردن منذ ١٩٨١.
- مؤسس ورئيس تحرير مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - ١٩٧٤. (صدر أول عدد منها في يناير ١٩٧٥) رئيس التحرير حتى ١٩٧٨ ثم عضو مجلس إدارة المجلة حتى عام ١٩٨٠.
- عضو جمعية الصحفيين الكويتية منذ عام ١٩٧٤
- الجوائز الحاصل عليها
- حاصل على جائزة الدولة التقديرية - أعلى جائزة في الدولة - الكويت ٢٠١٠.
- حاصل على وسام الشرف برتبة (فارس) في الثقافة من حكومة الجمهورية الفرنسية ٢٠٠٣.
- عضو في هيئة التحرير لمجلة الطفولة العربية - تصدر عن جمعية الطفولة العربية - الكويت عام ٢٠٠٠ -
- عضو لجنة النشر في مؤسسة التقدم العلمي، الكويت ١٩٩٨ -
- عضو المجلس الأعلى للتخطيط ورئيس لجنة الإعلام والثقافة والبحث العلمي بالمجلس، الكويت، ١٩٩٥ - ١٩٩٨ -
- عضو الهيئة الاستشارية لسلسلتي (دراسات استراتيجية) و The Emirates Occasional Papers التي تصدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية - أبوظبي - منذ يناير ١٩٩٧ - ٢٠٠٠
- عضو المجلس الاستشاري لرئيس مجلس الوزراء / الكويت ١٩٩٤ - ١٩٩٧.
- عضو المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب "ست سنوات" من ١٩٩٣ - ١٩٩٨.
- عضو لجنة التحكيم لاختيار الفائزين في جائزة عبد الحميد شومان العلمية - الأردن أبريل ١٩٨٧.
- عضو اللجنة الإشرافية على (الموسوعة العربية) تحت إشراف المنظمة العربية للعلوم الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية (الكيسو) تونس- ١٩٨٧.
- عضو لجنة المستشارين لمجلة " دراسات عربية " الذي تصدرها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية - تونس ١٩٨٥ - ١٩٩٠.

البحرين مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي - كاظمة للنشر- الكويت ١٩٨٤ (طبعة ثانية) دار ابن خلدون - بيروت - طبعه جديدة ثلاثة، دار الجديد - بيروت ١٩٩٥، أعيد طبعة عدد من الطبقات.

Beyond Oil Unity and Development the Gulf

Al -Saqi- Book, London-1986

الخليج ليس نفطا - شركة كاظمة للنشر - الكويت ١٩٨٦، أعيد طبعة عدد من المرات، آخرها دار الجديد - بيروت ١٩٩٥

الكويت.. العمران والتنمية - وزارة الاعلام الكويتية - ١٩٨٨

أحاديث عربية (أربعة أجزاء) / العرب في عالم متغير./ إزالة الحواجز/ هموم البيت العربي/ عصر التطرف - دار الساقى - بيروت ١٩٩٩

”وطبعت في مطابع الأهرام التجارية - الناشر الشركة الكويتية للأبحاث - ١٩٩١، أعيد طبعتها من دار الساقى، بيروت ١٩٩٥.

الكويت.. كلمات في زمن النكبة (مجموعة افتتاحيات جريدة صوت الكويت، الصادرة إبان الاحتلال العراقي ١٩٩٩-١٩٩٢. طبع في مطابع الأهرام التجارية - الناشر الشركة الكويتية للأبحاث- ١٩٩٢.

أصداء حرب الكويت - ردود الفعل العربية على الغزو العراقي للكويت وما تلاه، نشر من دار الساقى لندن-بيروت ١٩٩٤.

● جائزة سلطان العويس الثقافية (جائزة الدراسات الإنسانية والمستقبلية) الإمارات العربية - دبي ١٩٩٦.

● جائزة ابن سينا - موسكو ١٩٩٠ (جائزة الإبداع الثقافي الدولي) - موسكو ١٩٩٠.

● الجائزة التقديرية لمؤسسة الكويت للتقدم العلمي، في العلوم الاجتماعية والاقتصادية ١٩٨٠ الكويت.

المؤلفات

“ البترول والتغيير الاجتماعي ” - منشورات معهد الجامعة العربية - القاهرة ١٩٧٤ - أعيد طبعة عدد من المرات - شركة كاظمة - الكويت ١٩٩٥ دار الجديد / بيروت ١٩٩٥.

Bahrain-social and Political Change Since The First World War (Bowker-England ١٩٧٦)

”معوقات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بلدان الخليج العربي كاظمة للنشر- الكويت ١٩٧٧، أعيد طبعة دار الجديد - بيروت ١٩٩٥.

”المعوقات الاجتماعية للديموقراطية في الخليج“ كاظمة للنشر - الكويت ١٩٧٧ (أعيد طبعة) دار الجديد - بيروت ١٩٩٥.

“ النفط والعلاقات الدولية ” - كتاب رقم ٥٢ من سلسلة عالم المعرفة - الكويت - إبريل ١٩٨٢ دار الجديد بيروت ١٩٩٥.

الجزور الاجتماعية الديمقراطية
في مجتمعات الخليج العربية
المعاصرة - الطبعة الأولى شركة
كاظمة للنشر، الكويت ١٩٧٧ - طبع
عدد من الطباعات، الطبعة الرابعة
دار الجديد بيروت ١٩٩٥.

الأعداء قضايا الحرب والسلام
في الخليج العربي، منشورات دار
سعاد الصباح الطبعة الأولى ١٩٩٦

الكويت قبل النفط - ترجمة
وتقديم- مذكرات س ستانلي ج
- ماليري الطيب في البحرين
والكويت ١٩٠٧ - ١٩٤٧، الطبعة
الأولى من منشورات الخليج
للدراسات، الكويت ١٩٧٥. الطبعة
الثانية من منشورات دار القرطاس
للنشر (الكويت ١٩٩٧ -
قضايا خليجية - نشر من ضمن
منشورات جريدة البيان - دبي
١٩٩٨ - دولة الإمارات العربية
المتحدة.

تحت الإصدار :

رميحيات - قراءة في المشهد
العربي ٢٠١٠
اضطراب حول آبار النفط -
الساقى ٢٠١١

المقالات والدراسات المنشورة:

مقال شهري في مجلة العربي تحت
عنوان حديث الشهر لمدة ١٧ عاما .
مقالات دورية في عدد من الجرائد،
الحياة الدولية - الحياة لندن .
ومقالات أخرى في كل من: الوطن
الكويتية، الرأي العام- الكويت،
البيان - الإمارات، الوطن- قطر،
النهار- لبنان، الوطن السعودية،
الوسط، البحرين.

دراسات أكاديمية منشورة في
مجلات متخصصة (مجلة قضايا
عربية، مجلة الثقافة العربية، مجلة
معهد الدراسات العربية الأسبانية،
مجلة دراسات الخليج والجزيرة
العربية، مجلة الخليج العربي، مجلة
العلوم الاجتماعية، مجلة مركز
دراسات الخليج، مجلة المستقبل
العربي، مجلة دراسات اجتماعية،
مجلة الثقافة، مجلة شؤون عربية،
مجلة حوار العرب.

المؤتمرات والندوات والمحاضرات:

شارك كمحاضر ومقرب وباحث
في الكثير من المؤتمرات والندوات
وإلقاء المحاضرات، والتي عقدت
في الخليج والعالم العربي وأوروبا
والولايات المتحدة خلال الفترة من
١٩٧٥ حتى هذا اليوم.

ملف البيان حواد

د. محمد غانم الرميحي للبيان :

الثقافة منتج اجتماعي وهي التي تحدد نمو المجتمع من عدمه



أجرى الحوار: خليل السلامة *

- د. محمد غانم الرميحي علم بارز من أعلام الفكر يحمل همّاً ثقافياً وفكرياً ونظرة اجتماعية متطورة، عاشقاً للصحافة، وداعياً إلى الحرية في الكتابة، ففي نظره ضيق باب الحرية يضيق قدرة الإبداع الثقافي على النمو وبالتالي تتخلف الشعوب، كما يرى أن ما نعيشه ليس تخلف دين بقدر ما هو تخلف بشر فهمهم للدين ضيق ومحدود .

أما موقفه من التعليم فيرى أن يقوم على استراتيجية ثابتة لا متغيرة بتغيير الوزارة وأن يحقق موقفاً إيجابياً من الحياة .

كما يرى د. الرميحي أن ظاهرة الفصل في التعليم ظاهرة ثقافية، بل تعد نكتة العصر في ضوء تعدد وسائل الاتصال الذكية .

* تربوي ولغوي من سوريا مقيم في الكويت .

• الحرية مفتاح التغيير الثقافي ولا يأتي الابتكار إلا بها.

• قانون عزل الرجال عن النساء في مقاعد التعليم أخرج بسبب وسائل الاتصال الحديثة.

كل هذا وغيره الكثير نجده في الحوار الآتي مع هذه الشخصية الفذة في عالم الفكر والإبداع.

■ كيف يرى د. محمد الرميحي الواقع الثقافي العربي بشكل عام والواقع الثقافي الشبابي بشكل خاص؟

- الثقافة صنو الحرية، والمجتمع من دون حرية فإن الثقافة فيه تضحل أو تشوه. الثقافة بمعناها العام هي قطرة للمجتمع. أذكر أنني راجعت كتابا مهما في مجلة العربي منذ سنوات لشخصية فرنسية عميقة التفكير هو الن فاليت، وكان بعنوان (المعجزة) وهو كان يبحث عن إجابة سؤال: لماذا تتقدم بعض الشعوب وبعضها يبقى مكانه؟ وقارن بين شعوب بينها الكثير من التماثل، مثل الجغرافيا و الموارد الطبيعية وعدد السكان، فوجد أن من حقق المعجزة الاقتصادية هي تلك الشعوب التي كانت ثقافتها تسمح بالتطور. بمعنى آخر أن الثقافة هي الأساس. الثقافة هي من صنع الإنسان ولا أستطيع أن أجزم أن ثقافة بعينها (مانعة للتطور) ولكني أستطيع أن أقول بشيء من اليقين

أو (التصور الثقافي) في مجتمع ما هو الذي يحدد نمو ذلك المجتمع من عدمه. في حالة العرب نجد أن الثقافة في بلد مثل مصر قبل ثورة ١٩٥٢ كانت متطورة وكانت تسمح بالآراء المختلفة أن تتفاعل، ربما بسبب الوضع السياسي/الاقتصادي السائد، ولكنها بعد ذلك انكفأت على عقبها. نجد أن كاتباً مثل جلال أمين يقول في إحدى كتبه: "إن الثقافة المصرية هي نتاج ما قبل الثورة المصرية (ثورة ٢٣ يوليو) واستمرت بالعطاء بقوة الدفع الذاتي". إذا الثقافة هي منتج اجتماعي يقرر المجتمع أن يكون أو لا يكون في ظل ظروف معينة. في الكويت إبان الستينات وحتى السبعينات من القرن الماضي، كانت الثقافة بشكل عام منتعشة إن صح التعبير، ولكنها انكفأت بعد ذلك، كان لدينا مسرح وموسيقى و فنون تشكيلية، هي الآن في إطار الدفع الذاتي، لم تعد هناك سياسة للدولة لما أسميه (القوة الناعمة الكويتية) وهي الثقافة. جرى على الثقافة العربية ستار كثيف من (الغيبات) عندما وجد المجتمع العربي نفسه غير قادر على مواجهة التحديات الكبرى التي واجهته، مثل المواجهة مع إسرائيل مثلاً أو التطور الاقتصادي الصحي، كما فعلت شعوب في الشرق (ماليزيا، كوريا الجنوبية .. وأخرى غيرها) في هذه الفترة رجع المجتمع (وأيضا بسبب قوى سياسية) إلى الاستناد

• لم نعش الربيع العربي إلى الآن
لأن الحرية لم تقنن بعد.
• الشيخ ناصر محمد الأحمد عزز
جهودي في إصدار مجلة العربي
الصغير.
• العناية بالعربي الصغير وتعويده
على القراءة فن بحد ذاته.

متحضرة ومتقدمة في ذلك الوقت إلى منطقة الشرق الإسلامية لما وجد توصيفا لها غير أنها بلاد متقدمة، تنتعش فيها العلوم والفنون والتجارة والجغرافيا والفلك) وكانوا أيضا مسلمين. إذا الفكرة المركزية هنا ليس التخلف الذي نشاهده حولنا هو تخلف (دين) بقدر ما هو تخلف بشر، فهمه للدين أصبح ضيقا ومحدودا. ما نحن بصده ليس تخلف (إسلام) وإلا لما كان المسلمون الأوائل بذلك التقدم، إنها تخلف (مسلمون) فهمهم القاصر هو الذي قدم لهم مصفوفة من المفاهيم جعلتهم يراوون في المكان. وهو أمر نظر إليه كثيرون، حتى في المراحل الوسيطة، توقفت المطبعة على باب ديار المسلمين أربع مئة عام، لأنهم كانوا متخوفين من دخولها لأسباب بدأت اليوم وهمية، وكذلك البندقية والبارود، وغيرها، واليوم نرى البعض يحارب الانترنت و المواقع على أنها (ضارة) في الوقت الذي ربما يعرف أو لا يعرف أن وسائل الاتصال الحديثة

إلى الخرافة و تعظيم التفسير غير العقلاني وانتظار الحظ. في هذا الجو الثقافي بدأت حرب كل ما هو عقلاني وحديث. ساعدت بعض القوى ذات النفوذ هذا التوجه لأسباب سياسية مصلحة، فأصبح الجو الثقافي العام ضيقا،

بدأت في فضائنا العربي مطاردة المبدعين، هناك أحداث سوف يذكرها التاريخ الثقافي العربي بشكل سلبي، منها مصادرة كتب مثل رواية (وليمة لأعشاب البحر) و مطاردة مبدعين مثل الدكتور نصر حامد أبوزيد، حتى التراث لم يفلت من هذه الموجة، فكان هناك مطالبات بمنع (ألف ليلة وليلة). في الكويت كانت ظاهرة التسعينات وما بعدها هي مطاردة الكتب، وأصبح معرض الكتاب في الكويت فقيرا جدا، وكان هو المعرض الثالث عربيا، في تسلسل فكرة المعارض، بسبب هذه المطاردة التي تحولت إلى صراع سياسي مغيث. إذا ضيق باب الحرية يضيق قدرة الإبداع الثقافي على النمو وبالتالي تتخلف الشعوب. في تاريخ الشعوب الكثير من هكذا تراجع و تقدم. في هذا المقام لدي رأي قد يكون جديدا. فمن خلال مطالعاتي وجدت أن فكرة جديرة بالاهتمام قد طرحها بعض ثقات المؤرخين في الغرب، والقائلة (إنه لو جاء شخص من الصين أو إيطاليا) في بداية الألفية الأولى (أي ١٠٠٠ بعد الميلاد أو حولها) وهما من مناطق

الأبواب مغلقة على فكرة استهجنّت من القديم " إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون " ! هناك عنق الزجاجة (آثارهم) أي ما خلفوه لنا دون ابتكار، و لا يأتي الابتكار إلا بالحرية.

■ الربيع العربي دخل مصطلحاً سياسياً. هل يرى د. محمد الرميحي أننا نعيش ربيعاً عربياً على مستوى ثقافي؟

- لا أعرف إن كنا نعيش ربيعاً بالمعنى الحقيقي للربيع الذي مر على دول في شرق أوروبا أو أمريكا اللاتينية، ولكن حصل تغيير لا شك في بعض البلاد العربية. التغييرات من هذا النوع تحتاج إلى وقت، إنها كما يقول علماء الاجتماع (عملية Proses) طويلة أو متوسطة الأمد، ولكن التغييرات في كل من مركزي الثقل العربي وهما في نظري مصر و سوريا، حتى الآن لم يستقرا على حال، وربما احتاجا إلى وقت، أيضاً في تونس. الملاحظ حتى الآن هو قفز ما أسماه (الإسلام الحركي) على الحكم على حساب (الإسلام الحضاري) وتلك مشكلة بحد ذاتها، ولكن الملاحظ سرعة انحسار (الإسلام الحركي) عن الحكم في كل من مصر وربما تونس أيضاً. حقيقة الأمر الفكر العربي يحتاج إلى أن يصمم مفاهيم جديدة في هذا الموضوع. منها قصة (الإسلام السياسي) أنا أقترح أن يكون لهذه الجماعات اسم آخر مثل

• كانت "العربي" محط أنظار المثقفين ولا زالت تلعب هذا الدور.

• انتشار الفقر والأمية حال دون استخدام المعلوماتية لنسبة كبيرة من العرب

• كثيرون من يستخدمون الفضاء المعلوماتي للتسلية والقتل القليلة للتزود بالمعلومة الصحيحة.

تخترق كل الحجب. في بلد مثل الكويت لا زال هناك قانون ل (عزل الرجال عن النساء في مقاعد التعليم) وهو قانون عقلياً أخرق، لأنه مع وسائل الاتصال الحديثة لم تعد العفة لها علاقة بالمكان، هي يمكن نظرياً أن تخترق ببساطة (إن كانت تلك فلسفة واضع القانون) اختراق بمجرد وجود تلفون نقال حديث وذكي!!! الشباب لم يعد لهم رغبة على القراءة، والقراءة هي مفتاح الثقافة، ولكن لهم وسائلهم الجديدة في التواصل ونقل المعلومة من خلال وسائل الاتصال الحديثة. عادة ما يميل الجيل الأسبق للوم الجيل الذي يليه، تلك ظاهرة اجتماعية معروفة، لذلك لن أقع في مثل هذا الفخ، بل أرى أن نستخدم وسائل الاتصال الجديدة، من أجل خلق تواصل مختلف مع الجيل الجديد، الذي يتوق إلى ولوج العالم. الحرية من جديد هي مفتاح التغير الثقافي دونها تبقى

• العرب على هامش الثورة
المعلوماتية إنتاجاً واستهلاكاً.

• إذا افتقد المجتمع دافعيته للتعليم
يفتقد التعليم معناه.

• الخطط الاستراتيجية للتعليم
تتغير بتغير الوزير خلاف الدول
الأخرى فهو استراتيجية دولة.

- عملت لمدة سبعة عشر عاماً كرئيس تحرير لمجلة العربي، كنت واعياً أن المجلة أو المطبوعة لا بد لها أن تواكب الزمن الذي تعيش فيه، وعلى هذا أنا أشهد التاريخ، أنه طوال عملي لم يتدخل أحد من المسؤولين في هذا العمل، لقد أضفت مجلة العربي الصغير، كانت ملحقاً من أربع صفحات فقط، فحولتها إلى مجلة، ولم أكن بقادر لولا أن الشيخ ناصر محمد الأحمد، وقتها وزيراً للإعلام، قد اقتنع وعزز تلك الجهود، كما أنني قمت بتقديم (كتاب العربي) الذي لم يكن موجوداً. الحق يجب أن يقال إن الفكرتين كانتا تراود المرحوم الكاتب الكبير الذي استلمت منه العمل وهو المرحوم أحمد بهاء الدين. قدمت ذلك المنتجين الثقافيين في ضوء صعوبات كثيرة، منها قلة توفر الورق، ومنها ضغوط البيروقراطية، لكن التجريبتين نجحتا إلى اليوم. العناية بالعربي الصغير وتعويده

(المحافظون) والآخرين (المجددون) من أجل أن نخلص العقيدة الإسلامية من مغبة استحواذ جماعة ما عليها. الوضع الحالي مرتبك إلى حد بعيد، لأن الجمهور العام ضائع في التسميات، ويعتقد بعض هذا الجمهور غير المطلع أن خسارة (الإسلام السياسي) في السياسة هي خسارة الإسلام! وهذا غير صحيح بجانب أنه غير منطقي. على المستوى الثقافي حتى الآن لم نعش الربيع إنه يحتاج إلى الحرية، وهي لم تقن بعد، بل على العكس تنقلص الحريات تحت شعارات كثيفة من الرياء السياسي. قلت نحن الآن في إطار (عملية) مستمرة تحتاج إلى وقت حتى نتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود. على المستوى الشخصي أنا متفائل لأننا لا يمكن أن نعزل أنفسنا عن العالم وخاصة في الوضع التاريخي الذي يعيشه العالم اليوم وفي إطار الثورتين الرقمية والتواصلية، فلا بد أن نسير كما يسير العالم الذي يقدر الحرية ويعرف منافعها، ولن نصل إلى هناك إلا بعد توضحيات جسام.

■ كنتم - د. محمد الرميحي - رئيس تحرير مجلة العربي لمدة تزيد على (١٥) عاماً. ما هي الإضافات والتجديدات، التي أضافها الدكتور الرميحي لمجلة العربي خلال فترة ترؤسكم تحرير هذه المجلة العريقة.

كانت العربي محط أنظار المثقفين. في زمن الغزو، أصدرنا العربي من القاهرة، وكان ذلك تحدياً آخر. إلا أن الملفت هو أن كثيرين ساندوا الكويت بسبب أعمالها الثقافية لا غير، وكانت العربي ولا زالت تلعب هذا الدور.

■ الثورة المعلوماتية تخيم على الإنسان في القرن الحادي والعشرين- هل الإنسان العربي يعيش هذه الثورة- كما يجب - في رأيك؟

- الثورة المعلوماتية هنا لتبقى، وكثير من الدراسات التي اطلعت عليها تقول إن أكثر المستخدمين العرب هم من مصر والخليج، وهذا يلفت النظر، الدخول إلى المعلومات مكلف نسبياً، فلا بد من وجود شبكة انترنت حديثة، وأجهزة أيضاً حديثة، وهي تتوفر لمن له قدرة شراء معقولة، بجانب أنها تحتاج إلى مجموعة من المهارات منها الكتابة و القراءة واستخدام الأجهزة، إذا أخذنا ذلك بعين الاعتبار فإننا سوف نجد نسبة كبيرة من العرب غير متاح لهم هذه الفرصة، أولاً بسبب انتشار الأمية وثانياً بسبب انتشار الفقر. ومن بقي من المستخدمين يطرح علينا تساؤلاً كيف ولأي غرض يستخدم الفضاء المعلوماتي؟ ربما كثيرون من أجل التسلية والأقلية القليلة من أجل التزود بالمعلومة الصحيحة أو قراءة كتاب على الأجهزة الحديثة.

• واقع المرأة السياسي يتفق مع الشكل الخارجي للعصر ولكنه لا يتفق مع محتوى العصر الحديث.
• مجلة الخليج سدت باباً خاوياً في الدراسات المتخصصة.

على القراءة فن يجد ذاته. على صعيد المطبوعة الأم أدخلت بعض التغييرات التي لا تمس الجوهر، لأن الحفاظ على الجوهر عملية مهمة للاستمرار. أعرف منذ ذلك الوقت أن المطبوعة مثلها مثل الإنسان، تشب بعنفوان ثم تكبر ويشتد عودها ثم تشيخ، تأخذ وقتاً أطول ولكنها تمر بذلك التسلسل. كانت مجلة الهلال المصرية من المجلات التي كنا نحرص عليها لأنها كانت منبعاً للثقافة الحرة، ثم بسبب تسارع تغيير قياداتها وأيضاً التدخل السياسي في حركتها تضاعفت في التوزيع، فأصبح هناك مطبوعات أخرى تحل محلها. اليوم ظهرت مجلة National Geographic الأمريكية المنشأ تصدر باللغة العربية من (أبوظبي)، وهي مجلة لها قاعدة علمية ومهنية عالية الجودة، وهناك مجلة الدوحة، وعدد من المجلات وفي يقيني أن العربي يمكن أن تبقى في الساحة في حال تطويرها. كنت أحرص على الحرية في الكتابة و قليلاً ما أقف أمام ما يكتب، إن كان مكتوباً بشكل علمي و مهني، من هنا

• لم يذكر اسمي في حفل مرور سنوات على إصدار مجلة الخليج والجزيرة العربية رغم أنني مؤسسها وصاحب فكرتها.

• الكويت تتمتع بسقف عال من الحريات التي جذبت العديد من المفكرين.

للمعرفة الاجتماعية يستطيع بها أن يعرف عصره ومجتمعه. المؤسف أن المساهمة العربية، مثلها مثل غيرها في العلوم الاجتماعية، ضعيفة، بل نادرة، لم تتوفر على نحت مفاهيم خاصة بالمظاهر العربية الاجتماعية كما لم تتوفر على وضع نظريات، ورأيت أن العرب (المسلمون أو غير المسلمين) قد تأثروا بالثقافة الدينية متأثراً بالغاً، وربما نستطيع أن نفهم مجتمعاتنا من المنظور الديني. شخصياً قدمت بعض المساهمات في صياغة تعاريف بسيطة أولية (مصطلحات) لها علاقة بمجتمعات الخليج أو تفسيراً لبعض المظاهر الاجتماعية، قلت ذلك في عدد من مؤلفاتي منها (النفط والعلاقات الاجتماعية) ومنها (الخليج ليس نفطاً) وغيرها من المؤلفات. على المستوى العربي هناك بعض المساهمات منها كتاب جمال حمدان (عبقريّة المكان) ومنها كتاب حامد عمار (الشخصية الفهلوية) وأيضاً كتاب قديم للدكتور سيد عويس بعنوان (رسائل إلى الإمام الشافعي)

المنتج المعلوماتي العالمي لا يساهم فيه العرب إلا بالنزر اليسير، في عدد من الإصدارات، خاصة تقرير الثقافة السنوي الذي تصدره مؤسسة الفكر العربي نجد ذلك موثقاً بوضوح لا يقبل الشك، نحن في الحقيقة على هامش الثورة المعلوماتية، من حيث الإنتاج ومن حيث الاستهلاك. أما استخدام وسائل الاتصال الاجتماعي (تويتر، فيس بوك، استنجرام) فهي في الغالب تستخدم للتسلية، بل وفيها بعض المضار.

■ علم الاجتماع علم أسسه العرب. هل يرى د. محمد الرميحي أن الإنسان العربي يواكب هذا العلم نظرياً وعلمياً؟

- يعني، لدي تحفظ في قول (أسسه العرب) إن كانت الإشارة إلى أعمال عبد الرحمن بن خلدون، فلا شك أنه وضع لبنة في الطريق، ولكن من اكتشف ابن خلدون في العصر الحديث ليس العرب، بل غيرهم. علم الاجتماع علم واسع الاهتمام، اليوم يتفرع إلى (علوم) في داخله، مثل علم اجتماع العائلة أو علم الاجتماع السياسي، أو علم الاجتماع الحضري أو التتموي .. إلى آخره من التخصصات، وكل تخصص له أدواته المعرفية، حتى النظرية الاجتماعية هناك نظرية اجتماعية تقليدية وأخرى حديثة وأخرى ما بعد حديثة. إلا أنه علم مشوق جداً يعطي من يهتم به أدوات

درس فيه تلك الرسائل التي يتركها البسطاء من الناس في القاهرة أمام مرقد الإمام الشافعي! وهي تنبه لأوجاع المجتمع المصري. هناك إذا مساهمات في مجتمع الخليج قليلة (خلدون النقيب) وهناك في مصر أيضا، بقية البلدان العربية لم يستطع كثيرون البحث في تلك الأمور الاجتماعية، بسبب - في نظري - ضيق هامش الحريات.

■ واقع التعليم العالي (الجامعي) في الكويت.. كيف يراه د. محمد الرميحي من خلال الجامعات الحكومية والخاصة؟

- التعليم هو جهد اجتماعي وليس عملية ميكانيكية، إذا افتقد المجتمع دافعيته للتعليم يفقد التعليم معناه، في بلادنا العربية التعليم تدهور في مكانين، في بلاد العوز، الفقر، وفي بلاد الوفرة والغنى، بمعنى إن الفقراء درجوا على فتح التعليم للقادر وغير القادر، الراغب وغير الراغب، فتدفقت أعداد هائلة ليس لها مكان في الاقتصاد، لأنها غير مدربة وفاقدة للقدرة، كما تدفق الكثيرون على التعليم في بلاد الوفرة بسبب الحصول على الوظيفة المضمونة من الدولة، ففقد القدرة على التنافسية. التعليم في نظري يجب أن يحقق ثلاثة أهداف/ المعرفة، وهي متغيرة، و المهارة، وهي مهمة وأخيرا الثالثة موقف إيجابي من الحياة، فما ينفع متعلم يؤمن بالخرافة والسحر وماوراء

الطبيعة أو متعلم يفقد الحس الاجتماعي الأولي للمساهمة في المجتمع. تعلمنا في الكويت مفرغ من محتواه، كانت الأجيال الأولى أكثر رغبة وقبولا للتعليم، بسبب التنافس وحث المجتمع عليه، اليوم أصبح عملية ميكانيكية، لا الدولة ولا المجتمع يحمل له اهتماما خاصا، كما تدخل العنصر السياسي في سياسات القبول والإدارة كي يدهور التعليم أكثر وأكثر، في السنوات الأخيرة شهدت الكويت عدد من (الخطط الاستراتيجية) للتعليم، كل وزير يأتي بخطة، و كلما تغير الوزير تغيرت الخطة. في الوقت الذي يكون فيه التعليم في الدول الأخرى عابر لفترة الوزير، خطط التعليم يجب أن تكون (استراتيجية للدولة) وهذا أمر تنبّهت إليه دول كثيرة، آخرها المغرب، ففي خطاب ملك المغرب الأخير (أغسطس ٢٠١٣) قال عن التعليم في المغرب إنه يجب أن يكون عابر لزمان الوزارة الواحدة، تجارب كثيرة في الشرق والغرب ركزت على (جودة التعليم) آخرها الهند التي غيرت بعض نصوص دستورها عام ٢٠١٠ من أجل تجويد والعناية بالتعليم الأولي، ماليزيا، سنغافورة، كوريا الجنوبية، وقد يفاجأ القارئ أن كوريا الجنوبية فتحت أول جامعة لها عام ١٩٦٠ أي قبل جامعة الكويت بست سنوات، انظر ما حققه الكوريون الجنوبيون، بسبب التعليم من تقدم لا أخيرا سمح للجامعات الخاصة

فيه روح الأنانية الشديدة، كذلك الصغير الذي يعود على العطاء والمساعدة يكبر بخاصية اجتماعية متفهمة لحاجات الناس والآخرين، من يجد في بيته مكتبة يخلو إليها بعض أفراد الأسرة، تصبح القراءة عنده عادة طبيعية عندما يكبر، الجميل والقييح والحلو والخبيث تتكون أساسيتهم في الصغير، لذلك فإن المرحلة العمرية الأولى يعول عليها علماء التربية، لأن الغرس فيها يبقى ثابتاً ويظهر في مراحل العمر الأخرى.

■ هل واقع المرأة السياسي في الكويت يتفق وروح العصر؟

- حقيقة الأمر أن وضع المرأة في الكويت معقد، رؤيتي أنها مثل الرجل نشأت ولا زالت على ثقافة لها علاقة بوسائل الانتاج السابقة للنفط، والأخير غير في الشكل لا في الموضوع، مثال على ذلك فإن طلب زواج فتاة لفتى في الغالب يكون الآتي "يذهب الأب إلى والد الفتاة ويطلب القرب لابنه، فيقول له الأب "لو هي ذبيحة ما عشتك!" أو شيء من هذا القبيل، نحن عند عقد القران نسميها (ملكة) بتعطيش الكاف! وهي تعني نقل ملكية من الأب إلى الزوج!! من خلال تلك المفاهيم يتموضع وضع المرأة في المجتمع الكويتي، في السابق كان الزوج يسبق حديثه عن الزوجة بعبارة ..(كرمك الله) وكأنها نجسة! تقدم الأمر في الشكل الآن

بأن تعمل في الكويت، لكنها عوملت بيروقراطياً مثل (دكان البقالة) كم تريح وكم تخسر، لم يركز المتابعون لها (مجلس المتابعة والتحقق من الجودة) لم يركز على سوية المخرج من هذه الجامعات، وهو الأمر الأكثر أهمية من أي عنصر آخر، أما جامعة الكويت والتطبيقي فقد تدخلت الأهواء السياسية في الإدارة وسياسية القبول حتى غدت مثل (ثانويات) هزيلة!!

■ بصفتكم أستاذ (علم الاجتماع) ما مدى تأثير الإنسان بنشأته الأولى ومراحل العمر المختلفة؟

- طبعاً التنشئة وكيف تربي الإنسان وفي أي بيئة نبت لها أهمية كبيرة في صياغة روح وعقل الإنسان، هنا يتشرب الثقافة الأولى ويعرف الخير من الشر والصحيح من الخطأ، كما يعرف قيمة الأشياء، فالمرحلة الأولى من العمر تؤثر تأثيراً واضحاً على الإنسان، خذ مثلاً اللهجة التي يسمعها في أول حياته، تبقى معه إلى تقدم العمر، والأفكار الأساسية من الصعب تغييرها بعد ذلك، كيف يعامل والده أهله ووالدته، عادة يتكون لدى الصغير شكل من أشكال المعاملة يعامل بها زوجته بعد ذلك وهكذا، فالتنشئة عامل مهم في تكوين الإنسان، وكيفية ردود أفعاله على المثيرات من حوله، الصغير الذي يستجاب لكل طلباته في البيت ينشأ معتمداً على تلك الاستجابة و تتضخم

المنفصل له معنى للكثير من العقلاء، وهم (الأولاد والبنات) يتواصلون مع غيرهم من خلال وسائل الاتصال الحديثة، ومن خلال العمل في الكافتريا والممرات والساحات، حتى ساحات مواقف السيارات!! إنها نكتة العصر، التي يقف السياسيون أمامها بكثير من الرياء وكثير من النفاق أيضا. ليس روح العصر فقط التي تقول أن تقليل العقد النفسية أن يتعامل الناس بحرية دون قيود، لكن واقع الحال، كيف بالله أن تستطيع محامية أن تتعامل مع عملاء رجال وهي قد تخرجت حديثا من مكان تعليم يحرم عليها الحديث معهم! وكذلك الطيبية، بل إن العمل الحكومي في غالبه مشترك، إنها ظاهرة نفاقية لا أعرف متى سوف نتخلص منها!!

■ ماذا عن مجلة الخليج والجزيرة العربية؟

- لها ذكريات لا تنسى، فقد كنت متخرجا حديثا وعملت كمدرس في قسم الاجتماع وقتها عام ١٩٧٤ وجدت أن هناك مجلة تم بدؤها لنشر الأبحاث اسمها (مجلة العلوم الاجتماعية) كان خلف فكرتها أستاذ فلسطيني نشط هو محمد ربيع الذي كان وقتها مدرسا في كلية التجارة والعلوم السياسية (قبل تغيير الأسماء في الجامعة) وبسبب تخصصي وهو ما له علاقة بمجتمع الخليج، وما وجدته من شح في المصادر وقتها، اقترحت أن

تسمى (المدام) ولكن في الموضوع هي كما هي. لذلك استقر في ذهن المرأة بشكل عام (خضوع غير معلن للرجل)! أسأل بعض طلبتي في مواسم الانتخابات، هل تنتخبون امرأة، يقول كثير منهم لا.. لأن في قاع تفكيرهم أن المرأة غير قادرة على تحمل المسؤولية. الناشطات من النساء في مجتمعنا كثيرا ما يتعرضن للهمز واللمز من زوايا مختلفة إما من خلال نقد تعبيراتهن أو مواقفهن السياسية، يحتاج الأمر إلى تغيير ثقافي تساعد فيه المرأة ولكنها في الغالب لا تفعل، حتى من هن قد اخترن للعمل العام، في الغالب، ينظر إلى كثير منهن كـ "ديكور" أكثر منه القيام بمهام حقيقية على الأرض! واقع المرأة السياسي يتفق مع الشكل الخارجي للعصر ولكنه لا يتفق مع محتوى العصر الحديث.

■ موقفكم من التعليم المنفصل أو المختلط.. أيهما أقرب إلى روح المجتمع.

- حقيقة الأمر أنظر إليه كنكتة، واحسب أن الأجيال القادمة سوف تضحك علينا حتى تنقلب على ظهرها، كما نضحك اليوم على من يركب الحمار بدلا من السيارة!! فكيف يمكن فصل التعليم وهو من أقدس المهن في الوقت الذي تحمل بناتنا وأولادنا التلفونات الذكية التي تتواصل ليس في البلد الواحد بل في العالم أجمع، لم يعد التعليم

له عدداً من المراجع المتوفرة وسط السبعينات من القرن الماضي وأرسلتها له، وبعد سنوات أي في العشرية الأولى من القرن الحالي (الواحد والعشرين) وجدت سفير اليمن المعين في الكويت يستقبلني بترحاب عند لقائي به في أحد التجمعات، وقال للحاضرين أنني ساعدته في دارسته للدكتوراه، وتبين أن الطالب اليمني ذاك الذي أرسلت له مجموعة المراجع هو (سعادة السفير) وأنا أكتب هذه القصة من قصص كثيرة مفادها أن كان أحد باستطاعته مساعدة شخص أو أشخاص يطلبون العلم، فعليه أن لا يتردد، ذلك ما اتبعته أنا في حياتي العملية. المؤسف أنني بسبب الصراع في جامعة الكويت في النصف الثاني من السبعينات، أقلت من عملي كرئيس تحرير في مجلة الخليج والجزيرة العربية فقط بسطر واحد مفاده "لقد تم استغناء الجامعة عن خدماتك كرئيس تحرير". وبعد سنوات جاء الوقت للاحتفال بمرور سنواتٍ على إصدار المجلة وكنت حاضراً، فلم ينوه عن اسمي رغم التنويه عن كل من استلم بعدي رئاسة التحرير !! رغم أنني كنت المؤسس وصاحب الفكرة !!

■ ماذا عن عملك في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بين عامي ١٩٩٩ - ٢٠٠٣.
- جاء ذلك في مجال آخر،

يكون هناك مطبوعة جادة ومحكمة تعنى بمجتمعات دول الخليج والجزيرة وهي تضم اليمن أيضاً. وعرضت الفكرة على أستاذنا المرحوم طيب الله ثراه أنور النوري (ولقد افتقدت الكويت بوفاته عام ٢٠١٣ شخصية متميزة وحكيمة) فوافق على الفكرة، و أيضاً أخينا الكبير الدكتور حسن الإبراهيم وكان عميداً لكلية التجارة والعلوم السياسية وقتها، وهكذا شرعت في الفكرة، ساعد في ذلك زميل نكن له الاحترام هو الدكتور وليد خدوري الذي كان متخصصاً في العلوم السياسية وثم أصبح خبيراً نفطياً مرموقاً. قمت بإعداد التصور و الأبواب بالفعل تم نشر أول عدد في يناير ١٩٧٥. لقد سدت هذه المطبوعة التي أصبحت فيما بعد مركزاً للدراسات. سدت باباً كان خاوياً في الدراسات المتخصصة لمجتمعات الخليج، وأصبحت الآن زادا فكرياً ضخماً لمن يرغب في إكمال تخصصه في مجالات عدة لها علاقة بمجتمعات الخليج. كان أمر الدراسات هاجساً بالنسبة لي، وقد عانى جيلنا من فقرها، والآن أصبحت متاحة، إلا أن الإقبال عليها مع الأسف ليس بالمستوى المتوقع. أذكر قصصاً طريفة في ذلك، فقد كنت لا أتردد في تزويد من يطلب دراسات عن الخليج في أي مكان كان، وجاءني طلب من طالب يمني في تشيكوسلوفاكيا يقوم بدراسة عن الخليج، فجهزت

لثقافة في الكويت منبراً كما كانت قبل الاحتلال الغاشم. عملت على إصدار عدد من الإصدارات الجديدة (مجلة الفنون) ووضعت بعد جهد، كل ما توفر من (عالم المعرفة) على صورة رقمية (ديجتل) متاحة لأي قارئ في العالم، وأصدرنا أيضاً ملخصاً للأخوة المكفوفين من منشورات المجلس، وبدأت في تكوين (قسم السينما) وأيضاً تطوير فرقة موسيقية وطنية.

عمل في هذا الجهد زملاء أعزاء منهم الأخ وليد الرجيب، والمهندس علي اليوحة (الأمين العام الحالي) والأخ صالح حمدان والأخ خالد عبد اللطيف والأخ محمد المنصور وآخرون كثير، بهذا الفريق تم اعتماد وتنفيذ (الكويت عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠١) وكان مهرجاناً متميزاً. سوف تبقى الكويت منارة للثقافة في رأيي والأمر يحتاج إلى رؤية وتصميم، إلا أن البشر والموارد متوفرة والحمد لله.

فالوقت كان وقتاً ما بعد التحرير، كانت عشرية صعبة افتقدت الدولة الكثير من أولوياتها، فكان علي أن أعيد فكرة المؤسسين المرحومين الأستاذين عبد العزيز حسين و أحمد العدواني) والصديق أطال الله في عمره (الدكتور خليفة الوقيان) كان هؤلاء الثلاثة ومعهم عدد من المساعدين الأكفاء مثل الدكتور سليمان العسكري والأخ عبد العزيز السريع و الأخ صدقي حطاب وآخرين، قد أسسوا المجلس الوطني على قاعدة صلبة مفادها أن للكويت (قوة ناعمة هي الثقافة) كما تتمتع الكويت بسقف عال من الحريات التي جذبت العديد من المفكرين العرب، منهم المرحوم فؤاد زكريا و الدكتور الكرمي وغيرهم كثيرون. بعد التحرير وبسبب العديد من العوامل تضاعف عمل المجلس الوطني، وكان علي وزملائي أن نحاول إعادة الحيوية له. كانت مهمة صعبة واجتهدت أن يكون

الديموقراطية في الكويت.. التحول الصعب من الشخصنة إلى المؤسسة (1)

بقلم: د. محمد الرميحي *

يتعلم بعض العرب بصعوبة في هذه الفترة التاريخية الانتقال من الشمولية بأشكالها المختلفة إلى الديمقراطية، والأخيرة ليس لها شكل واحد، كما ليس لها جذور عميقة في ثقافتنا، إنما في عمومها - كما تعارف عليها الفكر السياسي الإنساني - تركز على عامودين. العامود الأول هو الاعتراف بالتعددية في المجتمع، وهو ما يفرض الاختلاف بالضرورة، والعامود الثاني هو التوافق على إدارة الاختلاف سلمياً وحضارياً.

الديمقراطية العربية "غير"، فهي محاولة من طرف "تهميش" الطرف الآخر، أي أنا وليذهب الآخرون للجحيم أو قريباً منه! الأساس هو عدم قبول الاختلاف وتحويله دائماً إلى خلاف مستحكم. في الكويت كما في غيرها من بلاد العرب تسيطر مقولة: إما أن تكون معي وإلا فأنت "قلول" أو "خارجي" أو على الأقل "حكومي"، فالإتهام والتسفيه للمختلف جاهز، وتحويل الخصومة السياسية إلى عدااء شخصي، التعامل بالشخصانية سهل في ثقافتنا العربية، أما الصعب حتى الساعة، هو الانتقال إلى المؤسسة!

في الكويت إن أردنا وصف الحال، فإن الأزمة السياسية لن تكون قد حلت والقارئ يطالع هذا المقال، فهي تخرج من مأزق لتدخل في نفق، وما يقف أمامه الكويتيون اليوم هو في الظاهر خطأ في الإجراءات، ثم في أثناء خطوات حل مجلس الأمة الثالث عشر (ويبدو أن الرقم نفسه يحمل شيئاً من النحس!) الذي انتخب في عام ٢٠٠٩، ودعوة الناخبين وقتها إلى انتخاب المجلس الرابع عشر في فبراير (شباط) الماضي، والذي قررت المحكمة الدستورية إبطاله بعد أقل من ستة أشهر.

هذا في الظاهر، ولو حدث ذلك في أي مكان آخر رسخت فيه قواعد اللعبة الديمقراطية لكان أمراً طبيعياً يوصف كعوار قانوني دون ضجة كبيرة، ثم يصلح الخل. ولكن سرعان ما أدخل البعض تفسيراً لما حدث،

(١) عن جريدة الشرق الأوسط، ٢٦، يونيو، ٢٠١٢م.

* كاتب من الكويت.

كان حين أقر الدستور، سواء من حيث الحجم أو التطور أو القيم أو أمور ونواح أخرى كثيرة، تجعله مختلفا وغير متطابق مع المجتمع الذي كان في أوائل الستينات من القرن الماضي عند سن الدستور، لقد اختلف كل شيء إلا نصوص الدستور. فالمصريون يكتبون دستورهم الخامس في غضون ستين عاما، والأترك دستورهم هو الثالث منذ الثمانينات، ذلك على سبيل المثال، ودول كثيرة تقوم بذلك، الاستثناء هو الكويت، لقد سجن المجتمع نفسه في نصوص حولها إلى ثوابت، في حين أن الأصل هو التطوير.

الركن الحاكم الثاني هو قوانين الانتخاب، ليس فقط تغيير الدوائر الانتخابية التي جرب فيها أكثر من مرة، ولكن طريقة وصول العضو المنتخب إلى تمثيل الأمة، فهو (أي عضو البرلمان الكويتي) ينتخب (بمن حضر) أي بأغلبية عديدة، وهي طريقة بدائية في النظم الديمقراطية، ففي غالب تجارب الديمقراطية يصبح عضو البرلمان ممثلا لأغلبية الجسم الانتخابي، لذلك هناك في معظم الانتخابات دورتان، لا يصبح العضو ممثلا للأمة إلا بعد حصوله على نصف الأصوات زائد واحد "نظريا" ليتأهل من دائرته الانتخابية ويكون ممثلا للأمة.

هذا الأمر غير معمول به في الكويت، بل وضع نظام أقرب ما يكون إلى تكريس الطائفية الفئوية

البحث في النوايا وتحليل خلفية الحدث على أنه مخطط مسبق تفكير وإصرار، ثم تتناثر الأسباب المعللة وراء ذلك، كل يدلي بدلوه وما يناسبه من تصور، وكلها سلبية. ذاك ناتج من خلل في الثقة في العملية الديمقراطية من جهة، ولكن أيضا من نقص في بناء المؤسسات.

المعضلة ليست هنا، بل في الأسباب العميقة لتعثر الديمقراطية الكويتية على مدى فترة طويلة وهي عنصر "الشخصنة"، فكل التجربة منذ نصف قرن يمكن توصيفها بأنها "الطيران في داخل القفص"! قليلون يلتفتون إلى المراكز أو الأركان الحاكمة في التجربة الكويتية التي يتخللها العوار وتعطل من تطور التجربة، وتغرسها في إطار الشخصنة، وهي في رأيي ثلاثة أركان حاكمة.

الركن الحاكم الأول هو الدستور. فالدستور الكويتي قد تمت كتابته قبل نصف قرن، وقرر في صلبه أن يعاد النظر فيه، ولكن ليس قبل مرور خمس سنوات من تطبيقه، وتناولت الخمس إلى خمسين، ولا تصحب الشجاعة أحدا اليوم كي ينادي بإعادة النظر في بعض مواد الدستور، من يفعل ذلك يصبه رذاذ التشكيك المغلظ.

الدستور الكويتي هو وثيقة "عقد اجتماعي" كتبه بشر، وتتغير أحوال البشر وكل التعاقدات الاجتماعية السياسية التي كتبت تم تطويرها حسب تطور المجتمع. والمجتمع الكويتي اليوم ليس هو ذاته كما

الدستورية هو مجلس فيه أغلبية معارضة، إلا أن المفهوم غير دقيق. فهي معارضة تجتمع في الغالب على السلبي (ما لا تريد) ولكن ليس على الإيجابي (ما تريد) وفي داخلها تناقض، فحتى ما لا تريد تختلف فيه بين أعضائها. مثال كيف يمكن التوفيق بين ما يريده البعض من توسيع للحريات (وهو شعار جاذب) مع ما يريده البعض الآخر من (تضييق) على الحريات، تحت شعارات تراثية؟ وكيف يمكن توسيع الحريات والبعض يغلظ العقوبات في سن قوانين تقريبا شخصية، فقط لأن شخصا ما أصيب في عقله فتناول على ثوابت يجرمها القانون المرعي؟ وكيف يمكن أن نتحدث عن مساواة والبعض يرغب في أن يصدر قانونا يساوي فيه حامل الشهادة بحافظ للتراث؟ وكيف تستقيم الدولة والبعض يهزأ من شعار الدولة وعلمها، بل لا يعترف حتى باحترام ذلك الشعار؟ إن تعدد مناهج التكوين السياسي لمنسوبي المعارضة، تجعلها معارضة موسمية، من جانب تتسامح مع بعض الخروقات القانونية الفاضحة من أمثال اقتحام مجلس الأمة، التي تنفر الأنصار الطبيعيين للديمقراطية الحديثة، وتجعلها من جانب آخر تتجاوز عن تطبيق القانون المرعي حفاظا على صفها من التفكك الظاهري، بعضها يخلط بين السياسة والوعظ، ولا يجيد أيا منهما! وجود أحزاب يعني عملا أسهل نسبيا للحكومة بوجود

والمناطية، فأصبح العضو البرلماني حبيس تيارات دعمته (وقد تكون أقلية نشطة في المجتمع ذات قاعدة ضيقة)، ولا يستطيع ادعاء تمثيل الأغلبية أو الدفاع عن المصالح العامة.

الركن الحاكم الثالث في المعضلة الديمقراطية في الكويت (وأرى أنه الأكثر تأثيرا وتعطيلا) ما يمكن أن يسمى بالتعددية. لا يوجد في العالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه، ديمقراطية دون تعددية قانونية، وهي اعتراف بمظهر إنساني طبيعي، حيث تختلف مصالح الناس وتتضارب، وتختلف توجهاتهم السياسية، وبالتالي يتجمع أناس حول من يرون أنه يحقق مصالحهم في أحزاب أو منابر.

أي أن الديمقراطية لها ركنان، لا تحقق دون وجودهما معا، هي صناديق انتخاب وأيضا تعددية قانونية، أي وجود أحزاب أو منابر سياسية ينظمها القانون وتتظم حل مصالح الناس المتضاربة على أن تبعد قانونا عن القبلية والطائفية والدينية والعرقية. إن لم يكن الركن الثاني موجودا (التعددية القانونية) يخلق المجتمع تعدديته التي يعرفها، وهي في الحالة الكويتية تعددية طائفية وقبلية ومناطية. لا يريد أحد - حتى الساعة - الاعتراف بأهمية تنظيم التعددية. من هنا فإن المفاهيم السياسية التي تمارس في الكويت يكتنفها الغموض الشديد عند الحديث عن "المعارضة"، وقد قيل إن المجلس الذي حلته المحكمة

المشار إليها سابقا، ستظل التجربة
مثل الطيران في القفص، محصورة
في غيوتو سياسي تنتقل من أزمة
إلى أخرى دون مخرج.

آخر الكلام

كما توقع كاتب هذه السطور أكثر من
مرة... إن كرسي الرئاسة في مصر
هو لموسي، بقي أن نتابع التجربة
الجديدة وغير المسبوقة، هل تتحول
أكبر دولة عربية إلى طريق تنموي
فاعل أم تدخل في نفق آخر بعد
خروجها من الأول؟ سوف ننتظر
لنرى!

عنوان معروف للتفاوض السياسي
له رأس يمكن الاتفاق معه، ويعني
أيضا التزاما بما تقرره الأحزاب
في التوافق أو التناظر السياسي.
طوال فترة تجربة الكويت لم
يكن للمعارضة عنوان وتخطيط
الحكومات المتعاقبة في ظلام دامس
مفرط في الشخصية.

لا تعاني بعض المعارضة قلة الفهم،
ولكنها تعاني غياب الشجاعة في
مواجهة الاستحقاق الأكثر إلحاحاً
في الكويت، وهو أن ما هو قائم غير
قادر على الاستمرار دون معالجة
حقيقية للأركان الثلاثة المعطلة
للتجربة الديمقراطية الكويتية



الربيع العربي⁽¹⁾

بقلم: د. محمد الرميحي *

الربيع العربي هو، لا شك في ذلك، أكثر النعوت شاعرية في أحاديث الصحافة العربية (والدولية أحيانا قليلة أيضا) عن الحركة الشبابية التي تجتاح العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه مطالبة بالتغيير ورافعة لشعارات الحرية والكرامة ومحاربة الفساد ومقاومة الاستبداد بكل أشكالها. يتحدث الكثيرون أيضا عن "الزلازل السياسي" الذي يهز العالم العربي، واستعمل البعض نعت التسونامي السياسي.. في حين أن البعض الآخر، في لهجة لا تخلو من تشكك أو تساؤل محير، تحدث (منهم صديقنا الدكتور محمد الرميحي حياه الله بكل خير) عن "إنفلونزا سياسية تضرب العرب". والسمة الأساسية في الإنفلونزا أنها، في الأغلب الأعم، مجهولة المصدر، وهذا من جانب أول، كما أنها، من جانب ثان، لا تتأثر بكيفية مباشرة بدواء ناجع، وإنما هي تتفاعل، سلبا وإيجابا، مع القدرات الذاتية للجسم على المقاومة ومجاوزة الحال المرضية. ومن هذه الناحية تبدو المقارنة وجيهة، فهذه الانتفاضات التي لا يزال العالم العربي يشهدها، بصور وأشكال مختلفة في الشدة، اختبار للجسم السياسي وقدرته على مقاومة "الإنفلونزا". يمكن القول، في عبارة أخرى، إن هذه الانتفاضات التي يقودها الشباب (فالحق أنها لا تقتصر على الشباب وحدهم بدلالة المشاهد التي تقدمها الفضائيات العربية والدولية) اختبار لشرعية الأنظمة السياسية القائمة في هذا البلد أو ذاك من البلدان العربية التي عرفت الخروج: في معناه العربي - الإسلامي الأول الذي يعني الثورة على الحاكم

(١) عن جريدة الشرق الأوسط، ٧، أبريل، ٢٠١١م.

* كاتب من الكويت.

رقم واحد" وبين الشرعية المتنازع عليها. ومن هذه الناحية بالضبط في البلدان العربية "بدعا من الدول" فقد مرت دول أخرى كثيرة بمراحل الدبابة والبلاغ رقم واحد في أوروبا الغربية (إسبانيا، البرتغال، اليونان..)، وفي الأغلبية الساحقة من الدول العشرين لبلدان أميركا اللاتينية، وفي مناطق من دول آسيا في الشرق الأقصى.. والتاريخ المعاصر، في سنواته القريبة منا، يشهد ذلك في الكثير من دول القارة السمراء.

لست أريد بحديثي عن الشرعية وصلة الضعف القائم في بعض الأنظمة العربية بالدبابة والبلاغ رقم واحد، لست أريد أن يفهم منه أن باقي البلدان العربية (في مشروع العالم العربي ومغربه وفي الخليج العربي) ممن لم تشهد تجربة الامتزاج بين السلطة العسكرية والسياسية، وبين الدولة والحزب الواحد (أيما كانت صورة ذلك الحزب، حتى لو كان إلغاء للأحزاب والحزبية)، في منجاة عن الزلزال أو التسونامي أو "الإنفلونزا"، ذلك أنه مع التباين في نظم إدارة الحكم ومع التأكيد على الصلة

أو على السلطة، وفي معناه الحديث (الغربي أساسا) الذي يفيد الخروج إلى الشارع متى ضاقت أو استحال سبل التعبير الأخرى. كما أن هذه الانتفاضات العربية المختلفة اختبار لمدى حصافة الأنظمة السياسية العربية في القدرة على الإنصات لمنطق التاريخ الإنساني والتفاعل مع الأصوات التي ترتفع بمطالب المواطنين وفيما شاهدناه، في مناطق من هذا العالم العربي الفسيح، نجد براهين على وجود الحصافة أو انعدامها، على قوتها أو ضعفها، ومن ثم على حكمة القادة فيها أو انعدام تلك الحكمة. ونحن لو أمعنا النظر لوجدنا أن القضية ترجع، في نهاية الأمر، إلى الشرعية. ترجع إلى الشرعية وجودا أو عدما. ولو أننا أصغنا السمع ودققنا الرؤية لتبين لنا وجود علاقة عكسية بين الشرعية السياسية والانقلابات العسكرية في الوطن على امتداد ستين سنة متصلة. هنالك، فيما يبدو لكل عين غير كليلية، علاقة دفيئة تعكس الضعف القائم بين الوصول إلى سدة الحكم على ظهور الدبابات والتمكن من مباني الإذاعات وإصدار "البلاغ

بين انعدام الشرعية التاريخية أو العجز عن تبريرها (عقود كثيرة) ظلت فيها قضايا التحرر، والوحدة، و"الاشتراكية" مطروحة وخفتت كل الأصوات دون أن يعلو صوت المعركة أو تتصل بسوء التسيير أو ما يعرف اليوم بسوء الحكامة أو انعدام الحكامة الجيدة، وكذا بتجليات الفساد والاستبداد في شؤون المال والاقتصاد بل في الخلط، حيناً، بين سلطة المال وسلطة "السياسة". ما أقوله عن الشرعية الضعيفة أو المنعدمة والدبابة والبلاغ رقم واحد يرجع، في نهاية المطاف، إلى معطيات كمية، ميدانية: يملك كل منا أن يبسط على الطاولة خارطة العالم العربي أمامه فيما هو يتابع نشرات الأخبار المتلاحقة كما تبثها الفضائيات. مطالب الشباب، أو لنقل، في صدق، تلك التي ارتفعت أصوات الشباب بالمطالبة بها على لسان الفئات العمرية كلها في العالم العربي تضي بحقيقة أمور ثلاثة: أولها أن الأرضية الثقافية (في المعنى الواسع لمفهوم الثقافة) في العالم العربي مشتركة بين الشعوب العربية كلها، وهي كذلك كان أول من أساء إدراكه هو الفكر القومي العربي الرسمي في تجلياته الكبرى المعروفة. وثانيها أن للعصر طابعاً وقوة جعلت من الديمقراطية وحقوق الإنسان، وبالتالي من الحرية، عنواناً لها، كما أن هناك الثورة المعلوماتية الشاملة والتجليات الإيجابية للعولمة (فهناك، بطبيعة الأمر، تجليات سلبية خطيرة للعولمة وضحاياها)، والعالم العربي لا يملك أن يفلت من منطق العصر. وثالثها، وهي الأجدر بالاهتمام منا جميعاً، هي حاجتنا في العالم العربي إلى حركة إصلاحية عميقة وإلى الخضوع لتيارات شتى تحمل على المراجعة الشاملة وإعادة النظر الكامل في البنيات والنظم.

نعم، يحق الكلام عن ربيع عربي وعن فجر. الفجر يكون صادقاً حيناً وكاذباً حيناً آخر.

أمامنا مثالان رائعان للتأمل واستخلاص العبرة، لكل عبارته ودلالته: مثال تونس ومثال مصر. وهناك أمثلة أخرى هي بصدد التشكل لست أسميها فنحن لا نزال في عنفوان الأحداث - غير أن الإشارة فيها أحسب واضحة. وهناك أمثلة من مناطق أخرى تشي بأمور تتصل بالجرأة والحصافة

وصدق الشرعية والتماسك. خلف هذه الأمثلة كلها، أثناء الممارسة في هذه الثورات، بتجلياتها المختلفة، يبدو أن عمق الأشياء، الحذر الذي يستوجب الانتباه إليه يتصل بالمكونات الثقافية العميقة التي تستلزم المراجعة وإعادة النظر. قلت أكثر من مرة: إن التاريخ العربي المعاصر في خطاب الديمقراطية جعل التركيز يكون على أكثر المظاهر انتقاء في ذلك الخطاب: هو واقع الاستبداد وتعذر تحقيق الشرط الأساسي في كل بناء ديمقراطي وهو التداول على السلطة. غير أن التداول على السلطة مع كل ما يحمله من دلالات لا يكفي وحده لإحقاق الديمقراطية أو، بالأحرى،

للقوف عند عتبتها. لا بد من وعي وحوار حول مفاهيم: المواطنة، الحق في الاختلاف، المشاركة السياسية، والحرية. قديما قال أرسطو: إن خطافا واحدا لا يشي بمقدم الربيع. ونحن نقول إن "الخروج" أو الحركات الشبابية التي تنشأ التغيير وترفع العقيرة بمطالبة القضاء على الفساد وسوء التدبير والظلم الاجتماعي تشي بمقدم الربيع. غير أن الخروج من الشتاء يستدعي أبعد من ذلك: إنه يستوجب مراجعات شاملة بحالها الذهنيات ونظم الثقافة والتفكير. هل نملك من الصحافة ما يجعل ذلك ممكنا؟

المرأة والثورة⁽¹⁾

بقلم: د. محمد الرميحي *

في كلام مبالغ فيه إلى حد السفه، تناولته وسائل الاتصال، خاصة الحديثة والإلكترونية، من أن هناك ظاهرة واسعة الانتشار هي إقبال عدد من كبار السن في دول الخليج على الزواج من فتيات صغيرات استغلالاً لظروفهن الصعبة في مناطق اللجوء السورية مثل تركيا والأردن. لاحظ المقارنة التي أريد لها أن تكون شاذة ومنفرة (رجال طاعنون في السن وفتيات صغيرات)؛ مثل تلك الأقوال تقع في محيط الإعلام المضاد الذي يروج عن عمد وإصرار أفكار التقليل من شأن كل من الموقف الدولي والعربي، والخليجي بالذات، لنصرة إخوان لهم في سوريا، يواجهون أبشع أشكال حروب الإغناء، فاللجوء إلى القولية والتتميط يجعل الجمهور مصدقاً للفكرة ومشمئزاً منها في آن معاً، كما يحط من قدر العائلات المحترمة التي اضطرت إلى اللجوء خارج وطنها، ويدفع آخرين إلى البقاء تحت الجور والعسف خوفاً من العار الاجتماعي الذي قد يلحق بهم حتى من باب سد الذرائع، كما قد يدفع البعض من شباب الثورة إلى التشكيك في نوايا بعض المتحمسين للقضية من الدول المحيطة، ولربما مقاومة عروض المؤازرة من البعض الآخر خشية دفع الثمن الأغلى بالمقابل من كرامة وكبرياء. وهي لعبة قديمة وجائرة تلجأ إليها قوى القهر لإرهاب المواطنين، حيث يستخدم الموقف الدراماتيكي في الثقافة العربية، وهو قرن الجنس بالاستغلال البشع، لتلطيف سمعة الغير والحط من أخلاقياته وإيهام جمهور واسع باقتران الجنس بالمال. أذكر القارئ بمثل هذا الموقف عندما لجأ رموز البعث العراقي إبان احتلال العراق للكويت ومقدماته الادعاء بأن (الماجدات) - وهو التعبير الذي كان يستخدمه النظام البعثي العراقي لتوصيف المرأة العراقية - يستغلن الكويتيون بعشرة دنائير، وكانت أحط أشكال الدعاية الموجهة لإثارة غيرة الرجل العراقي العادي المعروف بشهامته على أفعال أناس لم يرتكبوها.

(١) عن جريدة الشرق الأوسط، ٣٠، أكتوبر، ٢٠١٢م.

* كاتب من الكويت.

الحملة الشرسة، هو أن يقدموا لنا دليلاً على أن ما يقولونه يشكل (ظاهرة) بالفعل، أي أن ممارسته واسعة بقدر يزيد عن مجرد حوادث متفرقة هنا وهناك إن وجدت وبينه بالأدلة والبراهين، وفي عالم تسوده كل هذه الشفافية في ممارسة الإعلام، فإنه من المفترض أن منظمي تلك الحملة لا تقتصر الأدلة المادية الملموسة، من خلال تسجيل لتلك الحالات المدعاة، وكيف تتم، ومن هم أبطالها وضحاياها. إن رسم رجال الخليج والكبار منهم في السن وكأنهم قطعان يمشون في الأرض طلباً للمتع الجنسية، إن لصقت بأذهان العامة، قد تكون حققت أهدافها الإعلامية، إلا أن عدم تقديم الأدلة عليها، مقروناً بأن للناس عقولاً مبصرة وأفئدة ناقدة تستطيع أن تحكم على المضاللة وتبين الهدى، يقلل من تأثير تلك الهجمة الإعلامية الشرسة، ليس فقط لأن الظاهرة نادرة ولكن أيضاً لأن الأسر التي اضطرت للجوء لديها من الكرامة ما يمنعها من فعل القبيح وغير المقبول في مجتمعها، فقد فرت من وطنها - في جزء من الأسباب - ناجية بعرضها ولائحة بسمعة نساءها ممن أطلقهم النظام في دمشق لفتك بالأعراض وفعل القبائح المنكرة، وبالتالي ليس لديهم الاستعداد بأن يضطروا فيما فروا به خوفاً عليه، ذلك التحليل العقلي والمنطقي هو ما يكفل إفلاس الماكينة الإعلامية للنظام السوري ومناصريه، ويجعلها

من أكثر المواقف دناءة ما يمكن أن تلجأ إليه ماكينة إعلامية في إثارة هذه النعرة، من أجل الحشد وجلب التأييد لموقفها السياسي وإكراه الآخرين للخضوع لإرادتها السياسية، ولكنها تدل - للعقلاء - على إفلاس منقطع النظير في تبرير موقف التسلط أمام جمهور واسع قد خبر أساليب إيهام الناس وتضليلهم. إن فكرة بيع أو استغلال فتيات صغيرات لاجئات مع أسرهن هرباً من بطش نظام يطرهن بوابل من القنابل من تحتهم وفوقهم، إلى أثرياء كبار السن، ومن الخليج تحديداً، يثير الكثير في فضاءنا العربي، في جو ثقافي محمل بازدرأ من يفعل ذلك الفعل، وخاصة إن كان صاحب مال.

هذه الهجمة الإعلامية التي تحدثت حولها بعض الأصوات لا أستبعد أن تكون على اتصال بأجهزة النظام السوري الذي يريد أن يصرف النظر عن الأرقام الهائلة للضحايا السوريين إلى السبايا السوريات كما يصفونهن، ووصل جزء من هذه البروباغندا إلى وسائل الإعلام الدولية، وهدفها دق إسفين قابل للتوسع، وهو الجمع بين الجنس والغنى المادي، وعادة ما تجد هذه النغمة من يصدقها لدى جمهور مستقطب، الحكاية أن (الجنس والغنى) يثور حولهما الكثير من ردود الفعل السلبية التي تضيف بما تحمله من (البهار)، ما يجعلها أكثر شهوة للتداول بين آخرين. إلا أن ما فات أصحاب ومصممي هذه

صدام حسين، أن الكذب ثم الكذب حتى يصدقك الناس، لم تعد قائمة في عصر الإنترنت الذي يرغب متابعوه في أن يشاهدوا الدليل قبل أي شيء آخر، حتى ولو اندهشوا لوهلة بغرابة الكذبة أو بهولها.

آخر الكلام:

حتى محطة الـ(بي بي سي) مع الأسف، انسافت وراء هذه الفكرة المدمرة وفتحت بابا للنقاش حولها، على غير عادة مهنية عودتنا عليها، وهي أن تتأكد عمليا أولا وبشكل ملموس من الموضوع قبل أن تتبنى الترويج له.

تفتش عن قضايا تثير الرأي العام ضد مناصري ثورة الشعب، خاصة المتحمسين لها قولاً وفعلاً، كما تحط من قدر وكرامة من استخار مرغماً أن يخرج من بلده، حفاظاً على الروح والشرف والكرامة.

في الحروب دائماً ما نجد أن الضحية الأولى هي الحقيقة، وعادة ما تذهب الأنظمة الاستبدادية إلى الكذب والتفتيش عن قصص قابلة للتصديق لأول وهلة، وقد تنطلي على جمهور واسع يرغب أو مهياً للتصديق. لقد فات هؤلاء أن مقولة غوبلز وزير إعلام أدولف هتلر، كما هي مقولة الصحاف وزير إعلام



فرصة للإصلاح أم منزلق لتهديد الأمن ؟ (1)

بقلم: د. محمد الرميحي *

شكل دراسة التيار الإسلامي السياسي في الخليج منزلقاً لم تشكله دراسة التيارات السياسية التي طُفحت على سطح الخليج النفطي، فلا التيار القومي ولا اليساري كأننا بعيدين عن النقد المعمق، وفي بعض الأحيان القاسي والمتحامل، إلا أن تيار الإسلام السياسي لم يكن لدى كثيرين دنيوياً كالاثنتين السابقتين، إنما هو - كما أراد أن يظهره محازبوه - تيار ديني. من هنا تأتي الصعوبة في التناول، لأن معظم أبناء الخليج يدينون بالإسلام، وهو مترسخ في ممارساتهم اليومية والتاريخية. لذا فإن نقد التيار السياسي المرتبط بالديني يشكل أمام البسطاء نقداً للدين ويهتم محازبوه أن يظهروا النقد تجاههم وكأنه نقد للدين نفسه، نأياً بأخطائهم السياسية عن المسألة. من هنا تأتي تلك الصعوبة المنهجية التي أشرت إليها.

وعند الحديث عن "الإسلام السياسي" في الخليج، فنحن نتحدث عن تيارات منها كبير العدد ومنها صغيره، ومنها أيضاً الإسلام السني ومنها الإسلام الشيعي، وحتى بين الإسلام السني هناك اجتهادات بين فرق عديدة كالسلف، إلا أن تناولنا هنا سيكون باتجاه أغلبية الإسلام السياسي (السني) ونعرج بعد ذلك إلى "الإسلام السياسي الشيعي" الذي وجد له مكاناً للحركة بين أبناء الخليج الشيعة بعيد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩. ربما تجدر الإشارة هنا، للتوضيح منعا للبس، أن ليس كل شيعي خليجي منخرطاً في تيار سياسي مذهبي، وكذلك ليس كل سني خليجي. الحديث هنا عن النشاط المنظم وشبه المنظم ذي المنحى الديني/السياسي.

أبناء الخليج متدينون بطبيعتهم، كما معظم المسلمين، ولكن يضاف إليهم قربهم من الأماكن المقدسة في الحجاز وتاريخ طويل من التداخل بين أبناء هذه المنطقة من الساحل والدأخل في الجزيرة العربية. ولدينا وثيقة هامة كتبها أحد الرحالة العرب في بداية القرن العشرين الفاتت، هو المؤرخ أمين

(١) عن الموقع الشخصي للدكتور محمد غانم الرميحي. - مجلة الدوحة الثقافي.

* كاتب من الكويت.

كانوا على معرفة بالمرشد الأول الشيخ حسن البنا وعند عودتهم أسسوا ما يشابه ذلك التنظيم الذي تزامن مع تدفق أول عائدات النفط في الخليج، وبدأ التعليم والنهضة الجديدة في أواخر أربعينيات القرن الماضي وأوائل الخمسينيات منه وما بعدها. ونشأت حركات جنينية نظمت نفسها في جماعات سُمّتها أولا (الإرشاد) ثم بعد ذلك (الإصلاح)، وأصبح "الإصلاح" ناديا ومقرا للمنتسبين حيث ظهرت نفس التسمية في كل من الكويت، البحرين، دبي. لم تكن تلك الدعوات بغريبة أو مستكرة في مجتمع الخليج البسيط ذي الأغلبية السنية، فالدعوة إلى الله دائما مَرَحِب بها.

منذ الخمسينيات من القرن الماضي انتشرت تلك الجماعة، ووجدت لها أرضا خصبة بل طبيعية حيث ركزت عملها في مجالين هما الدعوة والمساعدات الاجتماعية.

جاء الصراع بين إخوان مصر وعبد الناصر متزامنا مع تسارع تدفق دخل النفط في الخليج، وأيضا موقفا مضادا لأفكار عبد الناصر من قبل السلطات الخليجية المحلية، ليجد إخوان مصر ومن ثم غيرهم من إخوان الشام الذين صادفوا تضيقا عليهم في بلادهم، ملاذا أمنا في الخليج في ستينات وسبعينات وثمانينات القرن الماضي للعمل والدعوة في منطقة مريحة نسبيا. وأدمج هؤلاء بتسهيل من (إخوانهم) أهل الخليج، وبسبب

الريحاني في كتابه ملوك العرب، لما وجد في ذلك الوقت أن الإرسالية المشيخية الأميركية المسيحية، قد طوقت الجزيرة العربية بعدد من الإرساليات التبشيرية، في كل من البصرة والكويت والبحرين ومسقط، كتب وهو المسيحي العربي يقول: "أنصح الإرساليات أن تهتم بالتطبيب والتعليم. أمّا التبشير، فعليهم أن يتركوه جانبا، حيث إن هؤلاء البدو الفقراء لن يتركوا دينهم قط!" هكذا كانت نصيحة الريحاني، وكانت توقعاته، وهو الخبير، في مكانها، فلم تستطع تلك المراكز مهما قدمت من إغراءات، أن تنصر أحدا من أبناء هذه المنطقة إلا القلة القليلة الهامشية ولا تزيد عن أصابع اليد الواحدة تلك الأيام والجهل العام هو السائد والفقير منتشر، والحاجة الإنسانية ماسّة. ذلك دليل قوي على تغلغل الدين الإسلامي في قلوب وعقول أبناء هذه المنطقة التي حباها الله - بعد ذلك بالثروة النفطية وانتشار العلم والمعرفة والإطلاقة على العالم من أوسع أبوابه.

دول الخليج تأثرت دائما بما يحدث حولها من أحداث سياسية، خاصة في الشام وفي مصر، وأيضا في مراحل من الهند وإيران، وقد وجدت دعوة "الإخوان المسلمون" المصرية التي نشأت في نهاية عشرينيات القرن الماضي من أبناء الخليج قبولا، خاصة ممن ذهب منهم للتعليم في مصر، وبعض قادة الإخوان المسلمين الأوائل في الخليج،

حقنة في الذراع - كما يمكن أن توصف - جاءت للتيار الإسلامي السياسي السني في الخليج لتدعمه، عندما احتل الاتحاد السوفياتي أفغانستان أواخر عام ١٩٧٩ (حرب العشر سنوات) وأصبحت تلك البلاد مسرح صراع أممي بين الاتحاد السوفياتي (الكافر) في نظر الإسلام السياسي، وبين القوى (المؤمنة). ولعب، خلال العشر سنوات تلك، الإسلام السياسي والقوى السياسية المحلية دوراً مركزياً في الحشد والتمويل والدعم بالرجال باتجاه مسرح العمليات في أفغانستان، ليس بعيداً عن دعم وتشجيع القوة الأميركية وحلفائها. ونشط في تلك العشرية أشكال من القوى المنتمة للإسلام السياسي، كان الخليج محركها الهام، إلى درجة أن نقرأ في مذكرات كوندوليزا رايس - مستشارة الأمن القومي، وبعدها وزيرة خارجية إدارة بوش الابن ٢٠٠٠ - ٢٠٠٨ في كتابها الذي نشر أخيراً "أسمى مراتب الشرف" نقلاً عن الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، في اللقاء الأول بين بوتين وبوش الذي عقد في ١٦ يونيو/حزيران ٢٠٠١ في شمال يوغسلافيا، تتقل رايس: وبعد القلق الذي صاحب التحضير (للاجتماع) كونه الأول للرجلين، وخلال الاجتماع، أثار بوتين -وعلى نحو مفاجئ، ودون مقدمات- مشكلة باكستان، وأدان دعم نظام برويز مشرف، بسبب دعمه للمتطرفين، وذلك الارتباط

الحاجة إلى يد عاملة متعلمة، في عدد من الأنشطة على رأسها التعليم، الذي كان لهم اليد الطولى فيه. هذا النشاط الذي مكّنهم كثيراً من التجنيد المحلي للشباب الخليجي، الذي تم أولاً تحت إطار الدعوة الخالصة لله، ولم تكن نشاطاتهم مثيرة للسلطة، ثم بدأ يتوسع للدخول في العمل السياسي والإعلامي النشط.

في البداية كان لحركة الإخوان قبول من شباب المنطقة ومن سلطاتها التي لم تتبين البعد السياسي للدعوة، كما حرص الضيوف أن لا يثيروا الكثير من الغبار السياسي على نشاطهم، فكانوا بمعنى من المعاني (موالين) أمام تهديد التيار القومي الناصري سريع الانتشار، والأفكار اليسارية التي أصبح بعضها مسلحاً كما حال "حركة تحرير الخليج" التي حاربت بمعونة القوميين ثم اليساريين في اليمن الجنوبي وفي عمان، وكانت مشكلة من خليط من شباب الخليج، وقتها كانت الحرب ضد ما سمّته النفوذ البريطاني والمؤسسات الحاكمة في وقت واحد، بالمقارنة بين التيار القومي اليساري المسلح بأفكار "انقلابية" وبين تيار سياسي إسلامي مسالم، كان التفضيل للسلطات هو الأخير، خاصة أن أفكاره مقبولة في النسيج الاجتماعي المتدين الذي ينبذ كل الكافرين بالله وبأولي الأمر. هنا اختلط الهدف السياسي مع الدعوة الدينية وبعد قليل تبين الفرق بينهما.

بين الجيش والمخابرات الباكستانية وطالبان والقاعدة، وقال "إن هؤلاء المتطرفين يتلقون التمويل من بعض دول الخليج، وأنه في وقت قصير جدا سينتج عن ذلك كارثة كبرى...". ما يهمنا هنا هو الإشارة من بوتين إلى (دعم بعض دول الخليج) وكان الدعم ذاك ربما من خلال نشاطات غير حكومية ومبادرات أهلية، لكن كان "غض الطرف الرسمي عنه" هو السائد.

في تلك العشرية (١٩٧٩ - ١٩٨٨) التي دارت فيها الحرب، وحتى انسحاب السوفييات في أفغانستان، نمت خلالها إرهابيات جماعات سميت لاحقاً بـ "الجماعات الإرهابية" التي جذت كثيراً من شباب العرب للحرب في أفغانستان وتشربوا كل من التدريب العسكري وأيديولوجية "الجهاد" التي تداعت بعد ذلك إلى مناطق كارثية على دول الخليج ودول العالم. ليس من الصعب عدم الربط، ونحن نجد أن معظم من ثبت تورطهم في كارثة ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ التي قلبت موازين القوى الدولية، ولا زالت تفعل، هم من أبناء دول الخليج. كما اختلط بينهم مصريون وباكستانيون بعد ذلك، ليشكل وجودهم في الفضاء السياسي والعملياتي، هاجس رعب عالمي لم ينته تأثيره بعد. دخلت أيضاً القضية الفلسطينية طرفاً في الإشعارات، ومن بوابة الخليج أيضاً دعوة وتمويلاً، فئة من الفلسطينيين الذي مروا أو سكنوا أو ولدوا في الخليج وتحت شعار

"الانتقام لفلسطين" صبوا جهودهم لإشاعة فكر الجهاد، واستفادوا من التسامح المرن في هذه الدول للدعوة تحت شعار الإسلام، من أجل تنشيط دعوتهم الجهادية وحشد أنصارهم، بعضهم أو بعض تلاميذهم تحولوا إلى "الإرهاب" الذي سُمي جهاداً.

من بين الإسلاميين الذين ولدوا في الكويت خالد مشعل، وخالد الشيخ ولد في الكويت وتعلم، وعبد الرحمن عزام مهندس الجهاد في أفغانستان كانت دول الخليج ملعبة للدعوة والتمويل، وأيضاً عصام البرقاوي ويوم محمد المقدس وعبد الله أبو عزة وغيرهم من المتشددين كثيرون كانوا في دول الخليج للتعليم وللعمل وأيضاً للدعوة.

خلط السياسي المحلي - أي المطالبة بالإصلاح المؤسسي - بقضية فلسطين وبالعداء للاستعمار، هيمن علي خطاب الإسلام السياسي السني في الخليج ولا زال، إلا أنه ضبابي وغير واضح يزيده ضبابية أحداث سياسية، خاصة أحداث الربيع العربي، الذي من جهة أوصل قوى الإسلام السياسي المنظم وشبه المنظم (السني) إلى قيادة الحكم والسلطة في مصر وتونس ومشارك في ليبيا وفي اليمن وربما في سورية، وهي لازالت مشتعلة إذ يقوم الإسلام السياسي في دول الخليج بمهام الدعم المالي الشعبي والإعلامي لها، كما نشطت من قبل.

علاقتهم بالحكومات المحلية، وربما يؤثر على موجة المطالبة بالإصلاح الشامل باتجاه معركة أوسع". لم يكن ذلك التوقع المشار إليه خارجاً عن سياق الأحداث، لقد شعرت بعض دول الخليج بحرارة تأثير وصول الإسلام السياسي إلى الحكم وأشير إلى ذلك كثيراً في أدبيات ليست قليلة.

في لقاء في ندوة نظمها مركز الدراسات الاستراتيجية في البحرين في ١٨ يناير/كانون الثاني ٢٠١٢، أشار قائد عام شرطة دبي ضاحي خلفان، في مداخلة من ضمن ما أشار إليه، إلى ما سماه قوى الإسلام السياسي التي قال عنها "إنها قوى انقلابية ترنو إلى الحكم المباشر والسيطرة على الأنظمة، وليس المشاركة السياسية معها" وكان ذلك أول تصريح علني لرجل خليجي مسؤول بهذا الوضوح، بعد أن بقي التحذير من الإسلام السياسي في الخليج حبيس الصالونات المغلقة، الأمر الذي أثار على الرجل زوبعة من النقد في وسائل الاتصال الجديدة، خاصة بعد إشارته إلى إخوان الكويت، لم ينفك منها لفترة طويلة، وذلك تأكيد للانتشار والحشد الذي يتميز به مجازيو الإسلام السياسي في الخليج في مدن الخليج المختلفة.

يشكل ما أعلن عنه في الإمارات مؤخراً، ولم تعرف تفاصيله حتى الآن، مركز الأزمة بين تيار الإسلام السياسي في الخليج، لكن ذلك

سقط الإسلام السياسي في الخليج في مغبة الضبابية إبان احتلال العراق للكويت، فقد اتخذ الإسلام السياسي العربي (القيادة الدولية للإخوان المسلمين) وعدد من تنظيماتهم، موقفاً شبه مؤيد لصدام حسين في احتلاله للكويت، مما دعا إخوان الكويت - تحت نقد شعبي مرير- إلى التصل من التنظيم الدولي، وهم مستمرون في تقاضيلهم معه - على الأقل علناً - حتى اليوم. كما يشتهه كثيرون في ولاء من قبل الإسلام السياسي الشيعي إلى طهران وولاية الفقيه، الأمر الذي يرفع نسبة الشك بين مكونات المجتمع الواحد.

وصول إخوان مصر إلى السلطة جاء بالحقنة الثانية للإسلام السياسي السني في الذراع كما يقال، حيث إن مصر بلاد كبيرة ومؤثرة في فضائها العربي، وقد نشر كاتب هذا البحث مقالاً في الخليج تايم- دبي- في الأسبوع الأول من شهر يونيو/حزيران ٢٠١٢ قال فيه بالحرف الواحد، بعد شرح مطول حول تأثير إخوان مصر على إخوان الخليج: "مما لا شك فيه أن الموجة الأيديولوجية التي تصيب مصر الآن، سوف تصل إلى المؤمنين من إخوان الخليج، إما من خلال تمكين الشبكة الحالية القديمة من المؤيدين، أو من خلال توسيع تلك الشبكة بمناصرين جدد، يشجع ذلك انتصارهم في مصر وتونس وغيرها من بلدان الربيع، مما سوف ينتج عنه توتر عال في

تيار الإسلام السياسي في الخليج - كما هو في بلاد عربية عديدة - ليس واحداً، كما أن الخلاف بين بعض فصائله بات معروفاً، وهو ينقسم إلى عدد من الانقسامات بعضها ليس مسيئاً بالمعنى الحديث للتسييس، فهو ينتمي إلى حركة وسرعان ما يقول بنقيض ما تؤمن به سياسياً. هناك اليوم أيضاً حركة سلفية مثلها مثل الإخوان ليست على "قلب رجل واحد" كما يقال، دخلت العمل السياسي في الكويت - على سبيل المثال في ثمانينيات القرن الماضي. إلا أن هبة ربط الإسلام بالسياسة، كما ظهر حتى الآن لم تتبلور تماماً في الفضاء العربي، فلا زال هناك صعود وهبوط ونقاش ساخن في كل من مصر وتونس، ليس كما حدث مثلاً في تركيا، حيث وضعت السياسة على قواعد حديثة مرتكزة على صناديق انتخاب واستعداد لتبادل السلطة من أجل العمل العام.

قوى سياسية وصلت إلى الحكم في بعض البلاد العربية تدهرت بالإسلام السياسي وحصدت أكلاً مرا سيئ الطعم، كما حدث في السودان، حيث اختلط العسكري بالديني بالسياسي، فضاع نصف السودان ونصفها الآخر مرشح للضياع، ولم تكن التجربة الإيرانية - على خلافها المذهبي - بمشجع أيضاً لحكم على خلفية إسلامية. تركيا هي الاستثناء، ولكن أيضاً مرت بمرآحل تشدد عمياء، أثناء صعود أربكان إلى الحكم - خرجت

ليس الأول، فقد كان هناك عدد من تصريحات مشهورة للمغفور له ولي عهد المملكة العربية السابق الأمير نواف بن عبد العزيز مبكرة في نوفمبر وديسمبر عام ٢٠٠٢، حيث أنحى باللائمة على حركة الإخوان التي احتضنت المملكة رجالها في الستينيات من القرن الماضي وقت مطاردتهم، "فانتهزوا السماحة والكرم، وعملوا على بث أفكارهم التي لا تتسجم مع الإسلام الصحيح" وكان ذلك الخطأ الذي اكتشف متأخراً من السلطة السياسية الخليجية حيث تبين لها أن الإخوان كانوا دائماً أكثر ولاءً لمعتقداتهم السياسية، منهم إلى مراعاة المعروف الذي قدم لهم. عطفاً على ذلك تصريح وزير خارجية الإمارات الشيخ عبد الله بن زايد في شهر أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٢ الذي أشار إلى تورط التنظيم الدولي للإخوان، فيما أعلن عنه أخيراً من اشتراك بعض مواطني الإمارات في الإخلال بأمن الدولة، وهو أمر لم تظهر حقائقه حتى الآن بشكل جلي للمراقبين. إلا أن المتابع يرى أن علاقات الإخوان مع السلط المختلفة في الخليج تمر بيوم بارد ويوم ساخن، حسب تقلبات النشاط السياسي في المنطقة والإقليم، بعض نشاطها يسكت عنه بسبب التوظيف، عندما يكون مرحباً بنتائجه، كحرب اليسار، وبعضها مسكوت عنه بسبب عدم الرغبة في إثارة الجوار مثل إيران، وبعضها ملاحق عندما تشتد المطالب.

الإعلامية بشكل كثيف في تسهيل أرضية التجنيد للإسلام السياسي. يزيد الطين بلة في الخليج تصدي البعض للتفسيرات الدينية (شيوخ الفضائيات) و(الدعاة الجدد) من أبناء الخليج ومن غيرهم للتصدي للفتوى من غير علم وفهم عميقين. إن قشرية المعرفة الدينية تضيف إلى صناعة التجهيل ثقلاً ينوء به كاهل المتلقي الخليجي، وهو ينطوي على شر سياسي بالغ الضرر.

حتى يتحول الإسلام السياسي إلى فرصة للإصلاح لابد أن يعترف بالسلطة المدنية التي تنظم العمل السياسي على قاعدة المواطنة، المكون الديني المذهبي سيبقى في دول الخليج لأنه من صلب المجتمع، الخطورة في تقسيم طائفي هو بالضرورة مهادن للمساواة المدنية، وفي استمرار خلط المذهبي بالسياسي، فإن تهديد الأمن الوطني سيكون مكوناً من مكونات الصراع القادم.

نظرياً أخوان مصر حاولوا تجنب ذلك المنزلق بإنشاء حزب (مختلط) فيه يقوم الإسلام السياسي بفعل من هذا النوع، أي أحزاب على قاعدة مشتركة بين الطائفتين الأساس في المجتمع، أم أن مصالح السياسة الآنية سوف تدفع إلى طريق أن يأتي التوتر بالمحازبين؟ ذاك هو التحدي الفكري ليس أمام أبناء الخليج فحسب بل والمستثمرين من العرب.

بتجربة في تركيا - كما قال مستشار رئيس الجمهورية التركي السيد أرشاد هلمزلوا في محاضرة له في الكويت مؤخراً: "نحن لا نريد أن نصدر نموذجاً، نحن نزرع حديقتنا بالطريقة التي تناسبنا ولا ندعي تصديرها".

دول الخليج ليست على سوية واحدة من التطور السياسي، أي وجود دستور وفضاء انتخابي واضح وقوانين تنظم العمل السياسي، فالتيار الإسلامي السياسي بالضرورة سيكون على شاكلة الوضع الهلامي الموجود، فهو منظم وغير منظم، وعلاقاته مع الدولة غير واضحة، كما أن مطالبة العامة ليست على سوية واحدة غير متفق عليها. الخطورة في العمل السياسي القائم على ادعاء الإسلام كغطاء، أنه بالضرورة - مذهبي - في مجتمع تعددي، أي فيه أكثر من مذهب، سائد أو أقلية، يسبب الارتكان السياسي على إسلام سياسي مخاطره في شرذمة نسيج المجتمع. وبالتالي هو نقيض للعمل السياسي الوطني الذي يسعى إلى خدمة المواطن كونه مواطناً لا بسبب مذهبه. كما أن تأثير أحداث الجوار تسمم العلاقة المجتمعية في الخليج بين مكوناته، وفي المقابل تقصر إمكانيات الدولة عن ابتكار آليات للتطور السياسي المرغوب، كما تسمع - راضية أو غير ذلك - باستخدام المنصات

الرتبة بين التصنيف النحوي والتوصيف البلاغي

بقلم: د. محمد قاسم حسين القنائي *

توطئة

لغتنا العربية لغة دقيقة وجميلة، ويعتبر هذا البحث دليلاً واضحاً على تلك الدقة وهذا الجمال، فدليل دقة لغتنا في مجال قرينة الرتبة ما يتبدى من وجوب حفظ الرتبة في بعض المواضع التي ينشأ عن عدم حفظها غياب المعنى المراد، ومن مظاهر جمال هذه اللغة الحية ما نراه من التناغم النحوي البلاغي من خلال الرتبة غير المحفوظة عن طريق تحريك العناصر اللغوية داخل تراكيبها الاسمية والفعلية، وإيثار بعض التراكيب على بعض من خلال التقديم والتأخير مما يضفي على لغتنا العربية ألواناً كثيرة من الجمال والدقة من خلال الانصهار الدلالي بين علمي النحو والبلاغة في حقل الرتبة. وهذا ما يهدف إليه ذلك البحث.

مفهوم الرتبة

الرتبة مصطلح نحوي حديث تعارف عليه علماء اللغة المعاصرون، وهو كثير الدوران في كتبهم المعاصرة، وقد استمد هؤلاء العلماء هذا المصطلح من كتب النحاة والبلاغيين القدماء وذلك عند حديثهم عن ترتيب عناصر التراكيب اللغوية بنوعها: الاسمية والفعلية، وهو ما عرف قديماً بمصطلح: التقديم والتأخير.

وقد أوضح الدكتور / تمام حسان مفهوم مصطلح الرتبة بقوله: " أن يكون للكلمة موقع معلوم بالنسبة لصاحبها، كأن تأتي سابقة لها أو لاحقة، فإذا كان هذا الموقع ثابتاً سميت الرتبة محفوظة، وإذا كان الموقع عرضة للتغيير سميت غير محفوظة " (١)

* كاتب من مصر مقيم في الكويت.

تعاقد علمي النحو والبلاغة حول الرتبة

اهتم النحاة بدراسة الرتبة من حيث علاقة كل كلمة بما قبلها أو بما بعدها من حيث الإسناد، والتقديم والتأخير، وهذا الارتباط بين المفردات هو الذي أشار إليه الدكتور/ تمام حسان في تعريفه السابق للرتبة بقوله: " موقع معلوم لصاحبها " .

فعلم النحو يدرس هذه التراكيب من حيث كونها تعبر عن معانٍ وظيفية تختص بالعلاقات الإسنادية بين عناصر كل تركيب اسمي مكون من (مبتدأ وخبر) أو تركيب فعلي مكون من (فعل وفاعل ومفعول)، وهذا هو ديدن علماء النحو.

أما علماء البلاغة فقد وقفوا أمام المعاني المستفادة من تنوع مواقع العناصر اللغوية في تركيبها اللغوي، وأوضحوا هذه المعاني عند حديثهم عن بلاغة التقديم والتأخير للأساليب الخبرية والإنشائية في علم المعاني.

فالنحاة لا يتغفلون إلى معرفة دقائق الكلام، والفروق بين التراكيب، ووجوه الاختلاف بينها سواء في التقديم والتأخير، أو في الحذف والتكرار، أو في الإضمار والإظهار، وهذا ما لاحظته الجرجاني على كلام النحاة عند تناولهم لأسباب

التقديم والتأخير، فقال: "واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً - يجري مجرى الأصل - غير العناية والاهتمام" (٢)

واستشهد الجرجاني بقول سيبويه وهو يذكر الفاعل والمفعول: "وكأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كان جميعاً يهملانهم ويعنيانهم" (٣)

ثم يعلق الجرجاني على كلام سيبويه السابق بقوله: " وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت هذه العناية، ولم كانت أهم ٩.

ولتخليهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوا الخطاب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف، ولم تر ظناً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه" (٤)

والحقيقة أن النحاة المتقدمين من لدن الخليل وسيبويه وغيرهما أشاروا إلى بلاغة التقديم والتأخير في كتبهم، ولكن بإشارات مختصرة، فهم لم يغلطوا عنها، ولم يسهبوا فيها، ثم جاء دور البلاغيين ليفصلوا الكلام في أغراض التقديم والتأخير تفصيلاً مطولاً عند دراستهم لعلم المعاني في البلاغة العربية. ومن هنا جاء التلازم

والاقتران بين علمي النحو والبلاغة عند تعرضهما لدراسة الرتبة.

وخلاصة القول في هذه المسألة: أقول بأن علمي النحو والبلاغة كليهما يكمل بعضه بعضاً، فالمتأمل في دراسة العلمين لموضوع الرتبة يشعر بتشابكهما وتكاملهما؛ لأن علم النحو يبحث في التراكيب اللغوية من حيث صحة الاستخدام وفساده، بينما يُظهر علم البلاغة حسن التراكيب وقبحها، فالنحو يمثل أساس البناء، والبلاغة تمثل جمال الطلاء. وفي هذا الصدد يقول ابن كمال باشا في رسالته: "ويشارك النحوي صاحب المعاني في البحث عن المركبات، إلا أن النحوي يبحث عنها من جهة هيئاتها التركيبية صحة وفساداً، ودلالة تلك الهيئات على معانيها الوضعية على وجه السداد، وصاحب المعاني يبحث عنها من جهة حسن النظم المعبر عنه بالفصاحة في التركيب وقبحه" (٥)

وخلاصة القول هو أن علم البلاغة المتمثل في علم المعاني هو متمم لعلم النحو في بيان دور الرتبة.

نوعا الرتبة

لقد قسم الدارسون المحدثون الرتبة إلى نوعين:

أحدهما: الرتبة المحفوظة، ويقصد بها ثبات موقع العناصر اللغوية داخل تركيبها، أي التي تحتفظ

بموقعها الدائم من حيث التقديم والتأخير.

والنوع الثاني: الرتبة غير المحفوظة، ويقصد بها تغير مواقع العناصر اللغوية داخل التركيب اللغوي الواحد، فتارة تأتي متقدمة، وتارة تأتي متأخرة مع احتفاظ كل كلمة منها بمعناها الوظيفي النحوي الذي كانت عليه.

وقد علل الدكتور/ تمام حسان كيفية إطلاق لفظ الرتبة على العناصر اللغوية ذوات المواقع المتغيرة أي الرتبة الغير محفوظة، فقال: "قد يقول قائل: قد فهمنا أن نسمى المحفوظة منها رتبة؛ لأنها يتحتم بها أن تأتي إحدى الكلمتين أولاً، والأخرى ثانياً ولا عكس، فما بالنا بكلمات يمكن لإحدهما أن تقدم حيناً، وتتأخر حيناً آخر، وإنما يكون هذا أو ذاك عند خوف اللبس، أو اتقاء مخالفة القاعدة أو الأصل أو اختلاف المعنى" (٦).

أولاً: الرتبة المحفوظة لقد حصر الدارسون المحدثون مواضع الرتبة المحفوظة في نحونا العربي في ستة وثمانين موضعاً، "جاءت مرتبة على أبواب النحو حسب ألفية ابن مالك" (٧)

ومنها على سبيل المثال لا الحصر:
١ - عدم تقدم جملة الصلة على الموصول. (٨)

٢ - عدم تقدم اسم كان عليها هي وأخواتها (٩)

٣ - عدم تقدم خبر كان الجملة عليها هي وأخواتها. (١٠)

٤ - عدم تقدم خبر أفعال المقاربة عليها. (١١)

٥ - عدم تقدم الفاعل على فعله، وكذلك نائب الفاعل (١٢)

٦ - عدم تقدم الاسم المجرور على حرف الجر (١٣)

٧ - عدم تقدم المضاف على المضاف إليه. (١٤)

من خصائص الرتبة المحفوظة

١ - الرتبة المحفوظة قرينة على المعنى النحوي

تعد الرتبة المحفوظة دليل لفظي على المعنى النحوي " إن موقع الكلمة من الكلمة قد يدل على وظيفتها النحوية، فالفرق بين قام زيد، وزيد قام، فرق في موقع الاسم المرفوع من الفعل، وقد ترتب على اختلاف هذا الموقع أن جعل (زيد) في الجملة الأولى فاعلا، وفي الثانية مبتدأ على حين لم يتغير أي شيء فيما عدا الرتبة بين العناصر المنطوقة من الجملتين.

وإذا قلنا: (جاء زيد يركب الحصان الذي يزهو به) فقد علمنا من رتبة (الذي) أنها صفة للحصان لا لزيد، وأن صلة الموصول هي (يزهو به)

وليس (يركب الحصان)، أي أن الجملة لا يمكن فهمها على نحو ما نفهم (جاء زيد الذي يركب الحصان يزهو به) ؛ لأن الرتبة هنا كانت قرينة على المعنى المراد من حيث إن الصلة لا تتقدم على الموصول أبداً". (١٥)

وتعتبر الرتبة المحفوظة قرينة لفظية يستفيد منها التركيب النحوي، ومن فوائدها :

أ - الرتبة تسوغ القبول بالحذف تعد قرينة الرتبة المحفوظة مسوغاً من مسوغات القبول بالحذف في النحو العربي " فإذا وجدنا مثلاً دليلاً على الجواب المحذوف متقدماً، ولم يذكر الجواب متأخراً، قيل: إن الجواب محذوف فسر ما تقدم " (١٦)

وذلك كما في جواب الشرط المحذوف، أو جواب القسم المحذوف، يقول ابن جني: " ولا يجوز تقديم الجواب على المجاب شرطاً كان أو قسماً أو غيرهما، ألا تراك لا تقول: أقم إن تقم، فأما قولك: أقوم إن قمت، فإن قولك: أقوم ليس جواباً للشرط، ولكنه دال على الجواب، أي إن قمت قمت، ودلت أقوم على قمت " (١٧)

ب - الرتبة تحدد المعنى الوظيفي للأداة تعمل الرتبة كقرينة لفظية في تحديد المعنى الوظيفي المقصود للأداة ذات المعاني الوظيفية المتعددة من خلال سياقات متنوعة ؛ لأن

٢ - الرتبة المحفوظة تكثر في الكلمات المبنية

إذا تتبعنا التراكيب التي تستأثر بالرتبة المحفوظة وجدنا أكثر ألفاظها مبنية مما يشير إلى أن الرتبة المحفوظة "تتجاذب مع البناء أكثر مما تتجاذب مع الإعراب، وتتجاذب من بين المبنيات مع الأدوات والظروف أكثر مما تتجاذب مع أي مبني آخر" (١٩)

وذلك نحو أدوات الصدارة جميعها، وحروف الجر، وأدوات نصب المضارع، وأدوات جزمه فكأن "عدم وجود قرينة العلامة الإعرابية في المبنيات قد جنح بها إلى قرينة الرتبة عوضاً لها من العلامة الإعرابية" (٢٠).

٣ - الرتبة المحفوظة تتأثر بنوع العامل

للعامل النحوي أثر كبير وواضح في التراكيب التي تحفظ رتبتها، فأحياناً يكون نوع العامل هو السبب المباشر في حفظ الرتبة، ومن أمثلة ذلك:

أ - ضعف العامل أكد النحاة على أن ضعف العامل يوجب حفظ الرتبة له بينه وبين معموله؛ لأن العامل الضعيف لا يعمل في معموله إذا تقدم عليه، كالذي بين (إن وأخواتها وأخبارها، والجار

" الصدارة هي الفارق الوحيد في الرتبة بين الأداة وبين الظرف ؛ لأن الظرف يتقدم على مدخوله نحو: أزورك متى أهل رمضان، ولكن هذا الظرف إذا تعدد معناه الوظيفي، فأصبح أداة شرط لزم الصدر في الجملة، فتصير الجملة الشرطية: متى أهل رمضان أزرك، ولا تكون متى في الشرط إلا في هذا الموضع" (١٨)

فالرتبة المحفوظة المتمثلة في الصدارة هي التي فرقّت بين المعنى الوظيفي للأداة الواحدة في سياقين مختلفين، فحين تصدرت (متى) حكم عليها بأنها شرطية، وحين لم تصدر حكم عليها بأنها ظرفية.

ج - الرتبة تحدد الفاعل والمفعول به في الجملة الفعلية عند اللبس إذا حدث لبس في الجملة الفعلية كخفاء العلامة الإعرابية، فيعول على الرتبة المحفوظة كقرينة لفظية للتفريق بين الفاعل، والمفعول، نحو: ضرب موسى عيسى، أو: أكرم هذا أخي، قابلت سلوى نجوى، فالمخرج الوحيد للتمييز بين الفاعل والمفعول هنا هو الرتبة المحفوظة التي تحتم كون الأول فاعلاً، والثاني مفعولاً به.

والمجرور، والناصب والمنصوب،
والجازم والمجزوم) هذا بخلاف
العامل بالأصالة فهو قوي ولديه
القدرة على التصرف في معموله
سواء تقدم على معموله أم تقدم
معموله عليه. (٢١)

ب - جمود العامل العامل الجامد
لا يتصرف في معموله، فتلزم
الرتبة المحفوظة بين العامل الجامد
ومعموله كالذي بين العوامل الاسمية
ومعمولاتها، والعوامل الحرفية
ومعمولاتها، والأفعال الجامدة
ومعمولاتها. (٢٢)

ج - معنوية العامل العامل المعنوي
أضعف في العمل من العامل
اللفظي لذا يجب حفظ الرتبة
بينه وبين معموله، كما في الحال
وعاملها إذا كان اسم إشارة أو
حرف تمن أو تشبيه أو ترج، أو
تبيين مثل: (تلك هند مجردة، ليت
زيداً أميراً أخوك، كأنَّ زيداً ركباً
أسد، لعلَّ هنداً مقبلة قمر، ها أنت
زيد ركباً)

ومن هذه الأمور ما يتعلق بالمعمول:
كأن يكون المعمول غير ظرف أو جار
ومجرور ؛ لأن النحاة لم يجوزوا
التوسع في غيرهما. (٢٣)

٤ - تأثر الرتبة المحفوظة بأدوات
الصدارة

أدوات الصدارة تعمل على حفظ

الرتبة باعتبارها حكماً نحوياً
" يخص مجموعة من الكلمات يكون
لها صدر الكلام مهما كانت رتبته
في الجملة " (٢٤)

فجميع الألفاظ التي لها الصدارة
محفوظة الرتبة في تركيبها،
وموقعها ثابت هو صدر التركيب.

وأدوات الصدارة تؤثر على الرتبة
غير المحفوظة بجعلها محفوظة في
بعض التراكيب، فالمفعول به على
سبيل المثال رتبته غير محفوظة،
ولكن إذا ارتبط بأداة الصدارة
قيدت رتبته، وأصبحت محفوظة،
وذلك نحو قوله تعالى: " إذ حضر
يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون
من بعدي " (البقرة آية: ١٣٣) في
الآية السابقة جاء اسم الاستفهام
(ما) وهو ما له الصدارة في محل
نصب مفعول به مقدم، ومن هنا
نستطيع أن نقول: " إن الصدارة في
النحو العربي تعد أحد أسباب جعل
الرتبة غير المحفوظة في بعض
الأبواب محفوظة " (٢٥)

ومثل هذه الألفاظ التي ليست لها
الصدارة إذا أضيفت إلى ما له
صدر الكلام لزمّت الصدارة نحو
قوله تعالى: " قل هل أنبئكم على من
تنزل الشياطين " (الشعراء آية ٢٢١)
ونحو: (غلام من تضرب أضرب)،
تصدر حرف الجر (على) في الآية
لدخوله على (مَن) الاستفهامية،

ليست مطلقة ؛ لأنها مقيدة بعدم العطف " الصدارة لأدوات هذه الجمل نسبية ومقيدة بعدم العطف أو مفتقرة معه، فإذا قيل بصدارة أداة النداء أو القسم أو الشرط أو التمني أو غير ذلك فمع إسقاط احتمال حروف العطف. انظر مثلاً إلى الشواهد القرآنية التالية:

- ١ - قوله تعالى: (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) (الأعراف آية ١٩)
- ٢ - قوله تعالى: (فورب السماء والأرض إنه لحق) (الذاريات آية ٣٣)
- ٣ - قوله تعالى: (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) (البقرة آية ٢٨٢)
- ٤ - قوله تعالى: (فليعلمن الله الذين صدقوا) (العنكبوت آية ٣)

ففي جميع الشواهد السابقة نجد الصدارة للعطف وليس للأداة التي يعتمد عليها معنى الجملة، مما يشير إلى أن صدارة أدوات الجمل - فيما عدا همزة الاستفهام - صدارة مقيدة بعدم العطف " (٢٩) وإنما استثيت همزة الاستفهام لأنها ذات صدارة مطلقة أي " أنها لا يتقدم عليها أي عنصر آخر من عناصر الجملة حتى حرف العطف، مثل قوله تعالى ١ :- (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) (طه آية ١٢٨) ٢ - قوله تعالى: " أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم "

وتصدرت كلمة (غلام) لإضافتها إلى (من) الشرطية، وسبب الصدارة هنا " لأن معنى الشرط والاستفهام ما يسري إلى المضاف، وإلا لم يجز تقدمه على ما له الصدر " (٢٦)

ماذا يحدث عند اجتماع أداتين من أدوات الصدارة في تركيب واحد ؟ إذا اجتمع في الكلام أداتان من أدوات الصدارة كاجتماع إحدى أدوات التنبيه مع غيرها من أدوات الصدارة الأخرى مثل اجتماع أداتي: التنبيه والنفي في قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل
فوق جهل الجاهليتنا (٢٧)

واجتماع أداة النداء مع رُب في قول أم معاوية:

يا رُبَّ قاتلة غدا يا لهف أم معاوية (٢٨)

ففي مثل هذين المثالين تكون الصدارة الأولى للأداة التي يكون معناها أكثر جذباً للسامع، وأقرب إلى توصيل مراد القائل، ففي المثالين السابقين قدمت الأداتان (ألا، ويا) جذباً لانتباه السامع؛ لأن كلتيهما للتنبيه، والتنبيه أكثر جذباً لأذان السامعين.

هل معنى الصدارة في الأدوات مطلق أم مقيد ؟

أدوات الصدارة صدارتها نسبية،

(البقرة آية ١٠٠) ٣ . قوله تعالى: " أثم إذا وقع آمنتم به " (يونس آية ٥١)

فتلاحظ في الآيات السابقة أن الهمزة تقدمت على (الفاء) أولاً، وعلى (الواو) ثانياً، وعلى (ثم) ثالثاً، وهي حروف عطف من شأنها أن تتقدم على غيرها، بدليل أنها تتقدم على أدوات الاستفهام الأخرى غير الهمزة، كما في قوله تعالى: ١ - " فلم تقتلون أنبياء الله من قبل " (البقرة آية ٩١) ٢ - وقوله تعالى: " فهل أنتم منتهون " (المائدة آية ٩١) ٣ - وقوله تعالى: " فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم "

(النساء آية ٦٢) (٣٠) ويرجع سبب إطلاق صدارة همزة الاستفهام، وتميزها عن غيرها من أدوات الصدارة، وأدوات الاستفهام الأخرى ؛ لأن الاستفهام هنا يبدأ قضية جديدة هي موضع إنكار ؛ ولأن الهمزة أم الباب كما يقول النحاة.

هل يجوز الترخص في عناصر الرتبة المحفوظة بالتقديم والتأخير؟

الرتبة المحفوظة تعني أن يكون للكلمة موقع ثابت من صاحبها، ولا يترخص في ثبات هذا الموقع إلا عند

أمن اللبس، وأن يتوافر من القرائن ما يسمح بالترخص، " لأن هذه الرتبة المحفوظة لو اختلت لاختل التركيب باختلالها " (٣١)

ومن الشواهد التي اختلت فيها الرتبة المحفوظة لتضافر القرائن التي سمحت بالترخص فيها، قول الشاعر:

ألا يا نخلة من ذات عرق
عليك ورحمة الله السلام (٣٢)
وهناك بعض المسوغات التي ساعدت على الترخص في الرتبة المحفوظة بين المعطوف (ورحمة الله) والمعطوف عليه (السلام) في البيت السابق، ومنها:

١ - ما بين المتعاطفين من شهرة التعاطف على نسق خاص حتى أصبحا كالمثل، وذلك هو التضام.

٢ - حفظ الرتبة بين حرف العطف والمعطوف.

٣ - توسط المعطوف بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر مما جعله لا يزال في حيز الجملة.

فكذلك تغني القرائن حين تتضافر عن قرينة أخرى يتضح المعنى بدونها (٣٣)

ومما سبق نستشف أنه لا يسمح بالتقدم على الرتبة المحفوظة إلا عند أمن اللبس ووضوح المعنى،

وتوافر القرائن التي تسمح بذلك الترخص.

وجوب حفظ الرتبة: يجب حفظ الرتبة في التراكيب العربية بنوعيتها: الاسمية والفعلية في أمرين رئيسين:

الأول: وجوب حفظ الرتبة في الترتيب الأصلي للتركيب.

ثانياً: وجوب حفظ الرتبة في تقديم ما حقه التأخير.

أولاً: وجوب حفظ الرتبة في الترتيب الأصلي للتركيب

من صور الرتبة المحفوظة في التراكيب ما عبر عنه النحاة من وجوب اتباع الأصل في ترتيب العناصر داخل بعض التراكيب النحوية بنوعيتها الاسمية والفعلية، والتي جاءت عندهم كالتالي:

أ - وجوب حفظ الرتبة في الترتيب الأصلي للتركيب الاسمي

هناك عدة أشياء تعمل على حفظ الرتبة في الترتيب الأصلي للتركيب الاسمي أي وجوب تقدم المبتدأ وتأخر الخبر، فلا تسمح بالتقديم ولا التأخير، ومنها:

١ - أن يكون الترتيب هو الوسيلة الوحيدة للتمييز بين المبتدأ والخبر، ويجب حفظ هذا الترتيب واتباعه، إذا كان تقدم الخبر يؤدي إلى ارتباك في تحديد المعاني الوظيفية

للصيغ، أو ارتباك آخر باختلاط الجملة الاسمية بالفعلية.

فمثال الأول: (الأصدقاء المخلصون) وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (الدين المعاملة)، فلو تقدم الخبر في مثل هذه التراكيب لاختلط الأمر، ولأدى ذلك إلى اللبس، ولم توجد أية قرينة تميز بين الركنين - في مثل هذه الحالة - إلا وجوب اتباع الرتبة الأصلية.

ومثال الثاني: (الحق ينتصر) و (الباطل يندحر) فلو تقدم الخبر في مثل هذه التراكيب، (ينتصر الحق) و (يندحر الباطل) لأدى إلى اختلاط الجملة الاسمية بالفعلية.

٢ - إذا كان المبتدأ من أدوات الصدارة (اسم استفهام: مثل ما أو أي) نحو: (ما غرض الدين من بيان الخير والشر؟) أو (أي الطريقين أسلم لك؟).

فالملاحظ أن المبتدأ وقع في المثالين السابقين اسم استفهام، لذا وجب تقدمه على الخبر.

٣ - أن يتصل المبتدأ بما له صدر الكلام أي أن يتصل بالمبتدأ شيئاً من أدوات الصدارة مثل (لام الابتداء) فيجب هنا تقدمه على الخبر، نحو قولنا: (لزيد قائم).

وشذ عن ذلك قول الشاعر:

خالي لآنت ومن جرير خاله

ينل العلاء ويكرم الأخوالا (٣٤)
الشاهد في البيت السابق (خالي
لأنت) والواجب أن يقال (لأنت
خالي) لدخول لام الابتداء على
المبتدأ فكان واجبه التقديم،
وشذ هنا على القاعدة للضرورة
الشعرية

٤ - أن يأتي الخبر محصوراً بـ (إلا)
أو مقصوراً بـ (إنما) فحصر الخبر
أو قصره يوجب تأخره عن المبتدأ،
ويصبح المبتدأ واجب التقديم، فمثال
الحصر قوله تعالى: "وما محمد
إلا رسول" (آل عمران آية)، ومن
أمثلة القصر قوله تعالى: "إنما أنت
نذير" (سورة هود آية: ١٢)
وشذ عن ذلك قول الكميت:

فيا رب هل إلا بك النصر يرتجى
عليهم وهل إلا عليك المعول (٣٥)

والشاهد في البيت (وهل إلا عليك
المعول) قدم الشاعر الخبر المحصور
بـ (إلا)، وكان من الواجب تأخيره

بـ. وجوب حفظ الرتبة في الترتيب
الأصلي للتركيب الفعلي

ذكر النحاة حالة واحدة لوجوب
اتباع الترتيب الأصلي في الجملة
الفعلية، أي تبدأ الجملة بالفعل،
ثم الفاعل، ثم المفعول، وذلك إذا
خيف من وجود لبس في الكلام،
مثل: (ضرب موسى عيسى) و

(أكرمت هذه سلوى) و (كلم يحيى
هذا) فعند غياب علامات الإعراب،
وغياب بقية القرائن اللفظية
والمعنوية، فيجب اتباع الترتيب
الأصلي للتركيب الفعلي بذكر الفعل
ثم الفاعل ثم المفعول.

ثانياً: وجوب حفظ الرتبة في تقديم
ما حقه التأخير

ومن صور الرتبة المحفوظة. أيضاً
في لغتنا ما عبر عنه النحاة في
كتبهم من وجوب تقديم ما حقه
التأخير في التراكيب النحوية
بنوعيتها: الاسمية والفعلية.

أ - وجوب حفظ الرتبة في تقديم
ما حقه التأخير للتركيب الاسمي
ذكر النحاة بعض الحالات التي
يجب فيها تقديم الخبر على المبتدأ
في التراكيب الاسمية، ومنها:

١ - أن يأتي المبتدأ محصوراً بـ
(إلا) أو مقصوراً بـ (إنما) فحصر
المبتدأ أو قصره يوجب تأخره
عن الخبر، ويصبح الخبر واجب
التقديم، فمثال حصر المبتدأ: (ما
للبيخيل إلا المهانة)، ومن أمثلة قصر
المبتدأ: (إنما من عمله جزاؤه).

٢ - إذا كان في المبتدأ ضمير يعود
على شيء من الخبر ففي مثل هذه
الحالة يجب تأخر المبتدأ لاتصاله
بالضمير الذي يعود على الخبر،
فلو قدم المبتدأ لعاد الضمير على

متأخر في اللفظ والرتبة، وهذا ما تأباه لغتنا. ومثال ذلك قول المجنون:

أهابك إجلالا وما بك قدرة

علي ولكن ملء عين حبيبها (٣٦)
فالشاهد في البيت السابق هو وجوب تقدم الخبر (ملء عين) على المبتدأ (حبيبها) وذلك لاتصال المبتدأ بضمير يعود على الخبر.

٣ - إذا كان الخبر من أدوات الصدارة: يتقدم الخبر وجوباً على المبتدأ في التركيب، عندما يكون الخبر من أدوات الصدارة (اسم استفهام) مثل (أين، كيف) نحو قولنا: (أين المسجد؟، وكيف صحتك؟).

ب - وجوب حفظ الرتبة في تقديم ما حقه التأخير للتركيب الفعلي
الأصل في ترتيب عناصر التركيب الفعلي أن يأتي الفعل ثم الفاعل ثم المفعول، وأحياناً يتعرض التركيب الفعلي لبعض العوارض التي تغير من ترتيبه فتوجب تقدم المفعول به على الفاعل تارة، أو تقديم المفعول به على الفعل والفاعل تارة أخرى:
أولاً: وجوب توسط المفعول به أي وقوع المفعول به بين الفعل والفاعل: ومن ذلك:

١ - أن يتصل الفاعل بضمير يعود على المفعول أي أن يتضمن الفاعل

ضميراً يعود على المفعول به قال ابن عصفور: "أو متصل بالفعل ضمير يعود على المفعول نحو: ضرب زيدا غلامه" (٣٧) وقال صاحب التصريح: "إن يتصل بالفاعل ضمير المفعول نحو: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه) (سورة البقرة: آية (١٢٤)). ف (إبراهيم) مفعول مقدم، و (ربه) فاعل مؤخر وجوباً، ونحو: (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) (سورة غافر: آية (٥٢))." (٣٨) "والتقدم هنا واجب عند الأخفش وابن جنى وابن الطوال وابن مالك، ولا يوجبها كثير من النحاة" (٣٩)

ويربط النحاة بين وجوب التقديم هنا وبين العامل الدلالي ويظهر هذا فيقوله صاحب التصريح: "وإنما وجب تقديم المفعول فيهما؛ لتلا يعود الضمير على المفعول، وهو متأخر لفظاً ورتبة" (٤٠)

ويذكر ابن يعيش الدور الدلالي فيوجوب التقديم في هذه الحالة بأنه لو قدم الفاعل لأصبح الضمير غير مفهوم من الناحية الدلالية لعدم وجود اسم صريح قبله يفسره، وبهذا يحدث لبساً في المعنى، فقال: "ولو قلت (ضرب غلامه زيدا) برفع الغلام مع أنه متصل بضمير المفعول لكان ممتعاً؛ لأن الضمير فيه قد تقدم على الظاهر لفظاً ومعنى؛ لأن الفاعل وقع أولاً وهي

مرتبتة، والشيء إذا وقع في مرتبته لا يجوز أن ينوى بها غيرها " (٤١)
قال صاحب التصريح: "ولأجل ذلك لا يجيز أكثر النحويين: نحو (زان نوره الشجر) بتقديم الفاعل على المفعول لا فينثروا في شعر " (٤٢) *
والسبب في ذلك يرجع إلى غموض المعنى *

ويجيز صاحب التصريح ذلك التقديم فيالشعر دون النثر لعامل الضرورة فيقول: " والصحيح جوازه فيالشعر فقط للضرورة، وهو الإنصاف؛ لأن ذلك إنما ورد فيالشعر فلا يقاس عليه " (٤٣)
وقد شذ عن القاعدة قول الشاعر: سليط بن سعد:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سليلهم (٤٤)
والشاهد في البيت السابق (جزى بنوه أبا الغيلان)، وكان من الواجب أن يكون (جزى أبا الغيلان بنوه) لاتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول. وجاء على خلاف القاعدة توسعا في لغة الشعر.

وقد أجاز ابن جنى ذلك وجعله قياساً فقال: " وذلك لكثرة ما جاء من تقديم المفعول على الفاعل حتى صار تقديمه كالأصل " (٤٥)
وقد أجاز ذلك ابن مالك أيضاً، ويظهر ذلك من قوله: " والنحويون

إلا أبا الفتح يحكمون بمنع مثل هذا والصحيح جوازه " (٤٦)

ويستدل ابن مالك على جواز ذلك بمجيئه فيشعر العرب فقال: " لوروده عن العرب فيالآبيات ٠٠، ولأن جواز نحو: ضرب غلامه زيدا، أسهل من جواز: ضربوني وضربت الزيديين أو نحو: ضربته زيدا، على إبدال (زيد) من الهاء، وأجاز الأول البصريون،

ويجيز صاحب التصريح ذلك التقديم فيالشعر دون النثر لعامل الضرورة فيقول: " والصحيح جوازه فيالشعر فقط للضرورة، وهو الإنصاف؛ لأن ذلك إنما ورد فيالشعر فلا يقاس عليه " (٤٧)

٢ - أن يكون الفاعل محصوراً بـ (إلا) أو مقصوراً بـ (إنما) أي: عند حصر الفاعل، فإذا قصد حصر الفاعل فيالتركيب الفعلى يجب تأخره وتقدم المفعول به عليه ؛ لأن المحصور يجب أن يتأخر، وذكر ابن أبى الربيع أن حصر الفاعل يوجب تقدم المفعول به على فاعله *

فقال: " ومثال ما يوجب التوسيط قولهم: ما ضرب زيدا إلا عمرو، وما ركب الفرس إلا خالد " (٤٨)

ويعلل ابن أبى الربيع وجوب التوسط فيمثل هذه الحالة بالعامل الدلالى فيقول: " لأنك لو أخرت المفعول، وقلت: ما ركب خالد إلا الفرس،

به على فاعله عند الحصر بـ (إلا) وخالفهم الكسائي، ذكر ذلك صاحب التصريح بقوله: " وكذا الحصر بـ (إلا) عند غير الكسائي فإنه يجب تأخير الفاعل المحصور بـ (إلا) نحو: ما ضرب عمراً إلا زيد " (٥٢)

" واحتج الكسائي على عدم تأخير الفاعل المحصور بـ (إلا) بقوله:

ما عاب إلا لنائم فعل ذي كرم
ولا جفا قط إلا جباً بطلا " (٥٣)
فقدم الفاعل المحصور بـ (إلا) فيالموضعين، والأصل: ما عاب فعل ذي كرم إلا لنائم، ولا جفا بطلا إلا جباً " (٥٤)

" وغير الكسائي قدر للمنصوب غير المحصور فيهذا البيت، وغيره من الأبيات عاملاً، فقد قبل فعل ذي كرم (عاب)، وقبل بطلا (جفا) بناء على أن ما قبل (إلا) يعمل فيما بعدها إلا فيمستثنى، أو مستثنى منه، أو تابع له، وعليه جرى فيالتسهيل " (٥٥)

" والخلاصة: أن فيحصر المنصوب أو المرفوع بـ (إلا) بالنسبة إلى التقديم ثلاثة أقوال: الجواز مطلقاً، فاعلاً أو مفعولاً، وهو قول الكسائي، المنع مطلقاً فاعلاً أو مفعولاً وهو قول الجزولي وجماعة، التفضيل بين الفاعل فيجب تأخير، والمفعول

لكان المعنى غير معنى الأول، وذلك إذا قلت: ما ركب الفرس إلا زيد، لم يركب أحد الفرس إلا زيد، وأما أن زيداً ركب غير الفرس فمسكوت عنه، فإن قلت: ما ركب زيد إلا الفرس، فمعناه أن زيداً لم يركب إلا الفرس لم يركب غيره، وأما أن غير زيد ركب الفرس فمسكوت عنه " (٤٩)

قال ابن عصفور عن شروط وجوب تقدم المفعول به على الفاعل: " أو يكون الفعل مقروناً بإلا نحو: ما ضرب زيداً إلا عمرو. أو فيمعنى المقرون بإلا نحو: إنما ضرب زيداً عمرو، يريد ما ضرب زيداً إلا عمرو " (٥٠)

وجميع النحاة اتفقوا على تأخير الفاعل المحصور بـ (إنما)، أما الفاعل المحصور بـ (إلا) فجمهور النحاة يوجب عدا الكسائي، قال صاحب التصريح: " والمسألة الثانية من مسالتي وجوب توسط المفعول بين الفعل وفاعله: أن يحصر الفاعل بـ (إنما) باتفاق، نحو: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) " (سورة فاطر: آية (٢٨). ف (العلماء) فاعل محصور فيه الخشية، فوجب تأخير، فلزم توسط المفعول والمعنى: ما يخشى الله من عباده إلا العلماء " (٥١)

وأوجب النحاة تقدم رتبة المفعول

فيجوز تقديمه وهو مذهب البصريين،
والفراء، وابن الأنباري " ٥٦)

ويوضح الرضي معنى الحصر
والاحتمال فيمثل هذا التركيب
بقوله: " كما إذا قلت مثلاً: ما
ضرب زيد إلا عمراً، فضارية زيد
محصورة في عمرو أي: ليس ضارباً
لأحد إلا لعمرو، وأما مضروبية
عمرو فعلى الاحتمال، أي: يجوز
أن يكون مضروباً لغير زيد أيضاً " (٥٧)

ويفرق الرضي بين حصر الفاعل
وحصر المفعول بقوله: " وبالعكس
لو قلت: ما ضرب عمراً إلا زيد،
مضروبية عمرو مقصورة على زيد،
أي: لم يضربه إلا زيد، وضارية
زيد باقية على الاحتمال، أي: يصح
أن يكون ضارباً لغير عمرو " (٥٨)

ومما سبق نستنتج أن دلالة الحصر
لها دور بارز فيوجوب تقدم المفعول
به على الفاعل أو وجوب تأخره،
فإذا كان معنى الحصر للمفعول به،
وجب تقدم الفاعل عليه، وإذا كان
الحصر للفاعل وجب تقدم المفعول
به عليه، وهذا يعكس أثر العامل
الدلالي فيالتقعيد النحوي .

ثالثاً: إذا كان المفعول به ضميراً
متصلاً، والفاعل اسماً ظاهراً قال
أبو حيان: " فإن كان المرفوع ظاهراً

والمنصوب ضميراً لم يسبق الفعل
وجب تأخير الفاعل نحو: أكرمك
زيد، الدرهم أعطيه عمرو " (٥٩)
وقال ابن عصفور: " قسم يلزم فيه
تقديم المفعول على الفاعل، وذلك
إذا كان المفعول ضميراً متصلاً
والفاعل ظاهر نحو: ضربني زيد
" (٦٠)

وسبب تقدم المفعول به هنا " كي
ينطق معتمداً على الفعل، لئلا يراد
به الإضافة إذا اعتمد على الفاعل
فيالنتطق " (٦١)

رابعاً: أن يكون العامل مصدراً
مقدراً بأن والفعل، أو بأن ومعموليهما
مضافاً إلى المفعول به

قال ابن عصفور: " أو يكون
المفعول مضافاً إليه المصدر المقدر
بأن والفعل، أو اسم الفاعل نحو:
يعجبني ضرب زيد عمرو، وهذا
ضارب زيد أبوه أي: ضاربُ زيداً
أبوه " (٦٢)

خامساً: أن يكون العامل صفة مشتقة
مضافة إلى المفعول به، حينئذ يجب
أن يتأخر فاعلها، فتقول: هذا مكرم
سمير أبوه، أي: مكرم أبوه سميراً
٠٠ وتقول: هذا شراب اللبن حاله،
هو كاتب الدرس فاهمه " (٦٣)

سادساً: عند ضرورة الشعر، قال
ابن عصفور: " أو فيضرورة شعر
نحو قوله:

وكانت لهم ربيعة يحذرونها

إذا خضخضت ماء السماء القبائل

" (٦٤) (٦٥)

سابعاً: يبدو إنه إذا كان الفاعل نكرة مع كون المفعول به معرفة فإن المفعول به يرجح تقديمه، نحو لم يظهر الشك فيخبره إنسان، لم يهمل الدرس طالب، ويظهر فيالمثالين معنى العموم والشمول، وهو ما يفيد الحصر، وإذا عُد ذلك فإنها تكون حالة وجوب لتقديم المفعول به على الفاعل " (٦٦)

ويرتكز د/ إبراهيم بركات على الجانب الدلالي فيوجوب تقديم المفعول به على الفاعل فيكلامه السابق، ويظهر ذلك من قوله: " ويظهر فيالمثالين معنى العموم والشمول، وهو ما يفيد الحصر " (٦٧) أي ظهور الفاعل بصيغة النكرة كان سبباً فيوجوب تقديم المفعول به عليه، وهذا معنى مستفاد من الاسم النكرة لدلالته على العموم والشمول، وهذا العموم يقود التركيب إلى معنى حصر الفاعل، لذا يجب تقدم المفعول به عليه .

ثانياً: وجوب تقدم المفعول به على الفعل والفاعل

يشيع في لغتنا العربية تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، ويكون هذا التقديم واجباً فيما لتالي:

١- إذا كان المفعول به اسماً له الصدارة يجب التقدم في التركيب الفعلي في حالة تقدم المفعول به على الفعل والفاعل، وذلك عندما يكون اسماً من الأسماء التي تحتل الصدارة أي يقع (اسم استفهام) مثل (أي، وماذا، ومن) كقولنا: (أي الدراستين تحب: النحو أم الأدب؟) و (ماذا صنعت بعلمك؟) و (من رأيت اليوم؟) ومثل ذلك قوله تعالى: " ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو " (البقرة آية ٢١٩) إعراب (ما) في الآية السابق يختلف باختلاف قراءة القراء لكلمة العفو، فمنهم من قرأ العفو بالرفع(أبو عمرو)، ومنهم من قرأها بالنصب (جمهور القراء)، فالرفع على أن (ما) الاستفهامية و(ذا) موصولة، فوقع جوابها مرفوعاً خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير: إنفاقكم العفو، والنصب بمنزلة واحدة فتكون مفعولاً مقدماً، تقديره: أي شيء ينفقون ؟ ويكون جابها منصوباً بفعل مقدر: أنفقوا العفو.

٢- أن يقع عامل المفعول به بعد الفاء الجزائية، وليس له منصوب غيره مقدم عليها ويكون هذا المفعول به بعد (أما) بنوعيتها: الظاهرة أو المقدر.

أ - ف (أما) الظاهرة فمثل قوله تعالى: " فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ".(الضحى

- ٤ . خبر أفعال المقاربة واسمها (٧٣)
- ٥ . خبر إن وأخواتها الذي هو ظرف أو جار ومجرور واسمها (٧٤)
- ٦ . المفعول به وفاعله . (٧٥)
- ٧ . المفعول به وفعله . (٧٦)
- ٨ . المخصوص بالمدح أو الذم ونعم وبئس . (٧٧)
- من خصائص الرتبة غير المحفوظة تتسم الرتبة غير المحفوظة ببعض السمات التي تميزها عن الرتبة المحفوظة، ومنها:
- ١ . الرتبة غير المحفوظة تكثر في الكلمات المعربة إذا تتبعنا التراكيب التي تكثر فيها الرتبة غير المحفوظة وجدنا أكثر ألفاظها معربة مما يشير إلى أن الرتبة غير المحفوظة تتجاذب مع الإعراب أكثر مما تتجاذب مع البناء، وتتجاذب من بين المعربات مع المعربات بالإعراب الظاهر أكثر مما تتجاذب مع المعربات بغيره، فظهور "علامات الإعراب في اللغة العربية يساعد على مرونة مراكز العناصر المفردة وتقدمها في حال أو تأخرها في حال أخرى ما لم تمنع من ذلك موانع تتعلق بإرجاع الضمير، أو يكون بعض العناصر لها الصدارة، أو بتغيير المعنى " (٧٨) فإذا كان وجود علامات الإعراب يساعد على المرونة بين مواقع
- الآيتين: ٩، ١٠)، فاليتيم منصوب لأنه مفعول تقهر، والسائل منصوب لأنه مفعول تنهر.
- ب - و (أما) المقدرة: فمثل قوله تعالى: "وربك فكبر" و "والرجز فاهجر" (المدثر الآيتان: ٣، ٥) قال أبو حيان: "هو قريب مما قدره النحاة في قولك: زيدا فاضرب، قالوا تقديره: تنبه فاضرب زيدا، فالفاء جواب الأمر، وهذا الأمر إما مضمن معنى الشرط، وإما الشرط بعده محذوف على الخلاف " (٦٨)
- ٣ - أن يكون المفعول به ضميراً منفصلاً، لو تأخر وجب اتصاله كقوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" (الفاتحة آية ١)، ولو تأخر لكان (نعبذك) وهذا غير مراد.
- ثانياً: الرتبة غير المحفوظة لقد حصر الدارسون المحدثون مواضع الرتبة غير المحفوظة في النحو العربي في واحد وأربعين موضعاً، جاءت مرتبة على أبواب النحو حسب ألفية ابن مالك (٦٩) ومنها على سبيل التمثيل:
- ١ . الضمير ومرجعه يستثنى من ذلك عود الضمير على متأخر في اللفظ والرتبة. (٧٠)
- ٢ . الخبر والمبتدأ. (٧١)
- ٣ . خبر كان وأخواتها غير الجملة واسمها. (٧٢)

فإذا كان المعمول ظرفاً أو جاراً ومجروراً توسع في الموقعية بين المعمول وعامله بالتقديم والتأخير كما لا يتوسع في الموقعية مع غيرهما من المعمولات، ومن هنا يتضح مدى تأثير العامل في عدم حفظ الرتبة بين الألفاظ أو الأبواب النحوية، كما للعامل دور رئيس أيضاً في الحكم بحفظ الرتبة كما عرفنا سابقاً. (٨٠)

ج. لفظية العامل فاعامل اللفظي أقوى في العمل من العامل المعنوي لذا يجوز عدم حفظ الرتبة بين العامل اللفظي وبين معموله كما يجوز التوسع في معموله إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً.

ما القرائن التي لجأ إليها النحاة لمعرفة الرتبة عند اختفاء علامات الإعراب؟

وضع النحاة عدة قرائن عرفوا بها مواقع العناصر اللغوية داخل تراكيبها، وحددوا بها رتبة كل لفظة في تركيبها، منها اللفظية، ومنها المعنوية، من هذه القرائن:

أولاً: قرينة حفظ الرتبة لجأ النحاة إلى حفظ الرتبة في العناصر التي تختفي عليها علامات الإعراب وذلك خوفاً من وقوع اللبس في فهم مضمون الجملة، وذلك كقولهم: ضرب موسى عيسى، وضربت سلوى هذه، وزار هذا أخي، وزارت

العناصر اللغوية، فإن غياب هذه العلامات يفقد العناصر التي تغيب عنها هذه المرونة، لذا لم يذكر في مسائل الرتبة غير المحفوظة من الألفاظ المبينة إلا القليل النادر نحو: مسألة الضمير ومرجعه، ومسألة معمول (لن)، ومسألة معمول أدوات جزم المضارع، فالضمير، ولن، وأدوات الجزم من المبنيات، وهذا يؤكد تجاذب الرتبة غير المحفوظة مع الإعراب أكثر من تجاذبها مع البناء.

٢. الرتبة غير المحفوظة تتأثر بنوع العامل

للعامل النحوي أثر كبير وواضح في التراكيب التي تخضع للرتبة غير المحفوظة، فأحياناً يكون نوع العامل هو السبب المباشر في عدم حفظ الرتبة، ومن أمثلة ذلك:

أ. أصالة العامل أكد النحاة على أن العامل بالأصالة قوي يوجب عدم حفظ الرتبة لأنه يتصرف مع معموله بالتقدم أو التأخر، فيتقدم المعمول على العامل، وذلك كالذي بين كان و(أخواتها) وخبرها غير الجملة، والحال غير الجملة المصدرية بواو، وعاملها الذي هو فعل متصرف أو ما يشبهه. (٧٩)

ب. تصرف العامل فاعامل المتصرف له القدرة على التصرف مع معموله بالتقديم أو التأخير،

هذه تلك. ففي مثل هذه الأمثلة لجأ النحاة إلى حفظ الرتبة فأعربوا الأول فاعلاً، والثاني مفعولاً.

ثانياً: قرينة معنى التركيب ويشمل علاقات المعاني المفردة لألفاظ الجملة بعضها ببعض، وأسمى الدكتور/ تمام حسان هذه القرينة بـ (عدم انتقال الفعل) (٨١)

وذلك في مثل: (أكلت الكمثرى سلمى) فعلى الرغم من أن الكمثرى وسلمى مقصوران، أما الكمثرى فلا يمكن أن تأكل سلمى، لذا تحول الفعل بهذه العلاقة إلى فعل غير منتقل، فأصبح عدم الانتقال قرينة على المعنى تقدمت الكمثرى أو تأخرت، فإذا وضعنا (موسى) في مكان (سلمى) انضمت قرينة المطابقة إلى عدم انتقال الفعل، فأتضح المعنى بقرينتين لا بقرينة واحدة. (٨٢)

ثالثاً: قرينة المطابقة يتبدى دور هذه القرينة عند مطابقة الفعل لأحد ركني الجملة، مثل مطابقة الفعل لفاعله في نحو: (شريت هذا هذه)، فعلم من قرينة المطابقة أن الفاعل هنا (هذه) لدلالة تاء التأنيث المتصلة بالفعل، وإن جاء الفاعل متأخراً، وتقدم عليه المفعول.

رابعاً: القرينة الخارجية كأن نشير إلى امرأة تحمل طفلة أو تمشي

معهما ثم نقول: (ولدت هذه تلك) أو تقول في أنثيين: (هاتان ولدت إحداهما الأخرى) فيفهم من فارق السن أن الكبرى هي التي ولدت الصغرى وليس العكس. وبهذا تصبح القرينة الخارجية دليلاً على المعنى النحوي.

خامساً: قرينة الإتيان ويتضح ذلك في النعت أو العطف أو التوكيد عندما تظهر العلامة الإعرابية على التابع، وتختفي من المتبوع، نحو: (ضرب عيسى نفسه موسى) فإذا قرئت (نفسه) بضم السين عرفنا أن الفاعل (عيسى) وإذا قرئت بفتح السين عرفنا أن المفعول (عيسى)؛ لأن التوكيد يتبع المؤكد في الإعراب، ومثل ما سبق يمكن أن يقال في نحو: (ضربت سلوى الصغيرة سلمى) و (ضرب هذا وأخاه موسى)

سادساً: قرينة السياق وهي قرينة تفهم من سياق الكلام الذي يرد فيه التركيب، ومن أمثلة هذه القرينة ما نراه من دورها الواضح في صرف معنى المفعولية إلى التبعية بالنسبة للاسم الموصول في قوله تعالى: " لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبلاً " (طه الآيتان: ٥٢، ٥٣) فالاسم الموصول من حيث التركيب يبدو وكأنه مفعول به للفعل (ينسى)

الحال بياناً لما تعني، وكذلك قولك:
ولدت هذه هذه، من حيث كانت
حال الأم من حال البنت معروفة
غير منكورة، وكذلك إن ألحقت
الكلام ضرباً من الإتياع جاز لك
التصرف لما تعقب من البيان، نحو:
ضرب يحيى نفسه بشري، أو كلم
بشري العاقل معلى، أو كلم هذا
وزيداً يحيى " (٨٤)

جواز حفظ الرتبة يجوز حفظ
الرتبة في التراكيب العربية
بنوعيتها: الاسمية والفعلية في
أمرين رئيسيين: الأول: جواز
حفظ الرتبة في الترتيب الأصلي
للتركيب.

ثانياً: جواز حفظ الرتبة في
تقديم ما حقه التأخير.

أولاً: جواز حفظ الرتبة في الترتيب
الأصلي للتراكيب

من صور الرتبة غير المحفوظة
في التراكيب ما عبر عنه النحاة
من جواز اتباع الأصل في ترتيب
العناصر داخل بعض التراكيب
النحوية بنوعيتها الاسمية والفعلية،
والتي جاءت عندهم كالتالي:

أ . جواز حفظ الرتبة في الترتيب
الأصلي للتراكيب الاسمي

الأصل في لغتنا العربية أن تأتي
الجملة الاسمية على الترتيب
الأصلي بأن يتقدم المبتدأ ويتأخر

ولكن قرينة السياق حالت دون
هذا المعنى، وأكدت كون الموصول
نعتاً للفظ (ربي)، ومعنى حيولة
قرينة السياق دون فهم المعنى على
المفعولية أن المعنى لا يستقيم معها
لأن المعنى عند ذلك سيؤول إلى: لا
يضل ربي ولا ينسى ذاته. (٨٣)

وقرينة السياق هي التي صرفت
معنى التبعية إلى المفعولية في قوله
تعالى: " ويرى الذين أوتوا العلم
الذي أنزل إليك من ربك هو الحق
ويهدي إلى صراط العزيز الحميد
" (سبأ آية: ٦) فالاسم الموصول
(الذي) جاء بعد لفظ (العلم) مما
يجعله من حيث التركيب نعتاً للعلم،

لكن قرينة السياق حالت دون ذلك
الفهم وأكدت كون الموصول (الذي)
مفعولاً به أول للفعل (يرى) إذ لا
يستقيم المعنى مع تبعية (الذي) ؛
لأن المعنى سيؤول إلى: ويرى الذين
أوتوا ما أوتيت من العلم.

وقد أجمل النحاة الأوائل القرائن
السابقة في كتبهم، قال ابن جني
" فإن كانت هناك دلالة أخرى
من قبل المعنى، وقع التصرف فيه
بالتقديم والتأخير نحو: أكل يحيى
الكثيرى..... وكذلك ضربت هذا
هذه، وكلم هذه هذا... وكذلك لو
أومأت إلى رجل وفرس فقلت: كلم
هذا هذا، فلم يجبه، لجعلت الفاعل
والمفعول أيهما شيءت ؛ لأن في

الاسمية، ومجيء الجملة بهذا الترتيب يقصد به أوجهاً بلاغية متنوعة، ذكرها البلاغيون، ومنها:

١ - قصد التشويق وذلك عندما يشتمل المبتدأ على شيء يدعو إلى التشوق إلى الخبر، ومن ذلك قول المعري:

والذي حارت البرية فيه

حيوان مستحدث من جماد (٨٦)
فقوله: (حارت البرية فيه) مما يدعو إلى الدهشة والتشوق إلى الخبر.

٢ - الإخبار بأمر مستغرب وذلك أن يقصد الإخبار عن المسند إليه بأمر مستغرب خلاف ما قد يتبادر إلى الذهن، كقولك: (الزاهد يشرب ويضطرب) فإذا ذكرت كلمة الزاهد كان ظن السامع عند النطق بها بعيد عن كونه يشرب ويضطرب فإذا أتيت بعد ذلك بالمسند الغريب بالنسبة إلى المسند إليه كان ذكره أوقع في النفس لغرابته.

٣ - تعجيل المسرة أي أن يكون المبتدأ يحمل بشرى للخبر، نحو قولك: العفو عنك صدر به الأمر.

٤ - تعجيل المساءة وذلك على النقيض من السابق، وهو أن يحمل المبتدأ نبأ سيئاً للخبر، مثل: القصاص منك حكم به القاضي.

٥ - تعجيل التبرك نحو: اسم الله اهتديت به.

الخبر، فالترتيب بين المبتدأ والخبر - في استعمال الفصحى - ترتيب مطلق، والذي يميز المبتدأ من الخبر ظروف الكلام تلك التي تعين المسند إليه (المبتدأ) تقدم أو تأخر من المسند (الخبر) تقدم - أيضاً - أم تأخر. فإذا اختفيا للبس من التركيب، وتعين المبتدأ من الخبر بسياق الكلام، جاز في مثل ذلك التقديم والتأخير، لوضوح المعنى. ومن ذلك قول الكمي:

كلام النبيين الهداة كلامنا

وأفعال أهل الجاهلية نفع (٨٥)
والشاهد في البيت السابق (كلام النبيين الهداة كلامنا) وهو جواز تقدم الخبر (كلام النبيين الهداة) وتأخر المبتدأ (كلامنا) لوضوح معرفتهما من السياق.

ومن أمثلة ذلك: العبارة المأثورة في قولهم: (أبو يوسف أبو حنيفة) فالركنان معلومان لدينا بدلالة خارجية هي معرفتنا بأن أبا يوسف هو تلميذ لأبي حنيفة، فلا ضير هنا من التقديم والتأخير.

من بلاغة تقديم المبتدأ على الخبر

الأصل في الجملة الاسمية أن يتقدم فيها المسند إليه (المبتدأ) على المسند (الخبر) كما أوضحنا، وهذا هو الأصل في ترتيب الجملة

٦ - تعجيل التلذذ بذكر المبتدأ ومنه قول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا
ليلاي منكن أم ليلى من البشر
(٨٧).

٧ - التعجيل بإظهار تعظيمه نحو: (رجل فاضل عندنا)

أو بيان تحقيره، نحو: (رجل جاهل راحل عنا).

٨ - قصر الخبر عليه أي تخصيص المبتدأ بالخبر الفعلي: نحو ما أنا قصرت في حاجتك، تنفي عنك التقصير، ولا تنفيه عن غيرك، ولهذا لا يصح أن تقول: ما أنا قصرت ولا غيري.

٩ - تقوية الحكم وتقريره: نحو: (هو يعطي الجزيل)، و(أنت لا تكذب)، فتقوية الحكم هنا مرجعها إلى تكرار الإسناد، ومنه قوله تعالى: "والذين هم بربهم لا يشركون" (المؤمنون آية) فهذا أبلغ في تأكيد نفي الإشراك مما لو قيل: والذين لا يشركون أو بربهم لا يشركون.

من بلاغة تقديم الخبر على المبتدأ

الأصل في الجملة الاسمية أن يتقدم فيها المسند إليه (المبتدأ) على المسند (الخبر) كما أوضحنا، فإذا تقدم الخبر على المبتدأ نظرنا في سبب ذلك، فنجد أن هذا

التقديم وراءه أغراضاً بلاغية جلية، لا تتضح إلا مع وجود التقديم والتأخير. ومن هذه الأغراض:

١ - التخصيص إذا كان المخاطب خالي الذهن مما ستخبره، قدمت له المبتدأ، فتقول: (زيد قائم) و

(محمد منطلق) فهذا إخبار أولاً يعلمه السامع. ولكن إذا كان السامع يظن أن زيدا قاعد لا قائم، وجب أن تقدم له الخبر لإزالة الوهم من ذهنه فتقول له: (قائم زيد) أي لا قاعد. جاء ذلك في المثل السائر في التفريق بين (زيد قائم، وقائم زيد): "فقولك (قائم زيد) قد أثبت له القيام دون غيره، وقولك (زيد قائم) أنت بالخيار في إثبات القيام له ونفيه عنه بأن تقول: ضارب أو حارس أو غير ذلك " (٨٨)

وجاء في الإيضاح: "وأما تقديمه - يعني المسند إليه - فإما لتخصيصه بالمسند إليه كقوله تعالى: "لكم دينكم ولي دين" (الكافرون آية) وقولك (قائم هو) لمن يقول: زيد إما قائم أو قاعد فيرده بين القيام والقيود من غير أن يخصه بأحدهما " (٨٩)

وجاء في الطراز "فقولنا (زيد منطلق) إخبار لمن يجهل انطلاقه، وقولنا: (منطلق زيد) إخبار لمن يعرف زيدا وينكر انطلاقه، فتقديمه اهتمام بالتعريف بانطلاقه " (٩٠)

دل عليه بتقديم الضمير أولاً ثم صاحبه ثانياً .

وأما ثانياً فلأنه إذا قدم الخبر، أفاد أن الأبصار مختصة بالشخص من سائر صفاتها من كونها حائرة أو مطموسة أو مزورة إلى غير ذلك من صفات العذاب " (٩٢)

ومن بلاغة الاختصاص في هذا الباب تقديم الخبر الظرف على المبتدأ المعرفة مثل قولنا: (زيد في الدار) هذا تركيب جاء على الأصل وهو إخبار أولي عندما يكون المخاطب خالي الذهن، فإذا قلنا: (في الدار زيد) كان المعنى إن المخاطب ينكر أن يكون زيد في الدار، أو يظن أنه في المكتب، فقدم للاختصاص والحصر، وذلك نحو قوله: " له الملك وله الحمد " (التغابن آية: ١) قدم الظرفان ليبدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل لا بغيره " (٩٣)

ولو قال (الملك له) لكان إخباراً بأن الملك له دون نفيه عن غيره، فتقديم الخبر أفاد حصره عليه واختصاصه به دون غيره.

٢ . الفخر يقدم الخبر على المبتدأ أحياناً لغرض بلاغي يفهم من السياق وهو الفخر، وذلك كقولهم: (تميمي أنا)، والأصل (أنا تميمي) والفرق بين التركيبين يتبدى في

وذكر العلوي بلاغة تقديم الخبر على المبتدأ في قولنا (قائم زيد) فقال: " فإنك إذا أخرت الخبر فليس فيه إلا الإخبار بأن زيدا قائم لا غير من غير تعرض لمعنى من المعاني البليغة بخلاف ما إذا قدمته وقلت: (قائم زيد) فإنك تفيد بتقديمه أنه مختص بهذه الصفة من بين سائر صفاته في الأكل والضحك أ، تفيد تخصيصه بالقيام دون غيره من سائر أمثاله، وتفيد وجهاً آخر، وهو أنه يكون كلاماً مع من يعرف زيدا، وينكر قيامه فتقول: (قائم زيد) رداً لإنكار من ينكره " (٩١)

ومن لطائف هذا الباب تقديم الخبر (شاخصة) على المبتدأ في قوله تعالى: " واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا " (الأنبياء آية ٩٧)، ذكر صاحب المثل السائر غرضين بلاغيين لتقديم الخبر في الآية السابقة، فقال: " فإنه إنما قال

ذلك ولم يقل: فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة لأمرين: أحدهما: تخصيص الأبصار بالشخص من دون غيرها. أما الأول: فلو قال: فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة لجاز أن يضع موضع شاخصة غيره فيقول: حائرة أو مطموسة أو غير ذلك فلما قدم الضمير اختص الشخص بهم دون غيرهم.

(رضي الله عنه) يمدح النبي (صلى الله عليه وسلم):

له همم لا منتهي لكبارها

وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها

على البر كان البر أندى من

البحر (٩٧)

والشاهد في قوله: (له همم) و (له راحة) فلو قال: (همم له) أو (راحة له) لتوهم أنهما نعتان، وأن الخبر سيذكر فيما بعد.

ب . جواز حفظ الرتبة في الترتيب الأصلي للتركيب الفعلي

ذكر ابن عصفور جواز تقديم المفعول على فاعله ولم يغل الأثر الدلالي فيجوز ذلك التقديم فقال: "وقد يجوز تقديم المفعول على الفاعل وذلك بشرط أن يكون في الكلام إعراب مبين نحو: ضرب زيداً عمرو، أو معنى مبين نحو: أكل كمثرى موسى، أو تابع مبين نحو: ضرب موسى الكريم عيسى العاقل، أو لفظ مبين نحو: ضربت موسى سلمى، لأن التاء علامة لتأنيث الفاعل " (٩٨) .

وتلحظ الأثر الدلالي فيقول ابن عصفور السابق: "أو معنى مبين" (٩٩) وكذلك اعتماده على دلالة التأنيث للفاعل.

وذكر صاحب التصريح جواز تقديم

أن الثاني إخبار عن نفسه، وأما الأول الذي قدم فيه الخبر فللفخر بنفسه وقبيلته. ذكر ذلك الرضي بقوله: "وإذا كان تقديم الخبر يفهم منه معنى لا يفهم بتأخير، وجب التقديم، نحو قولك: (تميمي أنا) إذا كان المراد التفاخر بتميم " (٩٤)

٣ . التفاؤل أو التشاؤم فقد يقدم الخبر على المبتدأ من أجل التفاؤل أي تقديم ما يسر كقولنا: (ناجح زيد) أو قولك للمريض (في عافية أنت)، وأحياناً يكون الغرض من التقديم إظهار التشاؤم، مثل قولك: (مقتول خالد).

٤ . التشويق وذلك عندما يكون في الخبر ما يشوق لسماع المبتدأ، ومن ذلك قول الشاعر يمدح المعتصم:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها

شمس الضحى وأبو إسحق والقمر (٩٥)

على تقدير أن (ثلاثة) هي الخبر، ومن ذلك أيضاً قول أبي العلاء:

وكان نار الحياة فممن رماد أو آخرها وأولها دخان (٩٦)

فقوله: (كان نار) مما يشوق النفس لمعرفة الذي يشبه النار.

٥ . التنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت وذلك عندما يكون الخبر شبه جملة، والمبتدأ نكرة، فيقدم الخبر وجوباً للتنبيه على أنه خبر لا نعت، ومن ذلك قول حسان

المفعول فقال: "وأما توسط المفعول بين الفعل والفاعل جوازاً، فنحو: (ولقد جاء آل فرعون النذر) "سورة القمر: آية (٤١) ف (النذر) فاعل جاء، و (آل فرعون) مفعول به متوسط بين الفعل والفاعل، ونحو ذلك: خاف ربّه عمرُ، ف (عمر) فاعل و (ربه) مفعول " (١٠٠)

ومن التقديم الجائز قول جرير يمدح عمر بن عبد العزيز (من البسيط):

جاء الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدر " (١٠١)

ف (موسى) فاعل و (ربّه) مفعول متوسط بين الفعل وفاعله، ولا يضر اتصاله بضمير الفاعل المتأخر، لتقدمه في المرتبة

من بلاغة تقديم الفاعل على فعله ومما سبق عرفنا اختلاف النحاة حول جواز تقديم الفاعل على فعله، فمنهم من أجاز ذلك ومنهم من منعه، "وانحصر جل خلافهم في الأمور الاصطلاحية التي تتمثل في تقديم الفاعل المثنى أو الجمع على فعله، فهل تضاف علامة التثنية والجمع للفعل أم لا ؟ أو دخول (إن) على الفاعل المقدم، هل سيصبح الفاعل اسم إن والفعل بلا فاعل ؟ " (١٠٢)

وكان من الأحرى أن ينصب خلاف النحاة حول العامل الدلالي فيتقديم الفاعل على فعله ؛ لأن هذه

أولاً: -إزالة الوهم من ذهن المخاطب وذلك أنه قد يكون المخاطب يظن أن الذي حضر هو خالد لا سعد، فتقدم له الفاعل لإزالة هذا الوهم من ذهنه، فالسامع في الجملة الأولى، لا يعلم شيئاً عن الأمر، وفي جملة التقديم يعلم أن شخصاً ما حضر، ولكن يظنه خالدًا لا سعدًا. فهو يعلم الحكم لكنه لا يعلم صاحبه بخلاف الجملة الأولى، فإنه لا يعلم أصل المسألة " (١٠٤)

ثانياً: القصر والتخصيص أي تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي..... فإن قولك: (سعى محمد في حاجتك) يفيد أن محمداً كان من الساعين فيها، ولا يمنع أن يكون سعى فيها غيره، ولكن قولك (محمد سعى في حاجتك) قصرت فيه السعي على محمد دون غيره " (١٠٥) ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى:

(وبالأخرة هم يوقنون) (سورة البقرة: آية (٤) قال الزمخشري: "وفيتقديم الآخرة وبناء يوقنون على (هم) تعريض لأهل الكتاب، وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وإن قولهم ليس بصادر عن إيقان، وإن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك" (١٠٦)

ثالثاً: تعجيل المسرة أو المساءة "نحو: الحبيب حضر، البركة حلت، الجيش انتصر أو لتعجيل المساءة نحو: السفاك حضر، المحظور وقع، الأمر انتشر" (١٠٧)

رابعاً: دلالة التعظيم أو التحقير "نحو: الملك أعطاني الجائزة، القائد منح محمداً وساماً. أو التحقير نحو: الكناس أهان سعيداً" (١٠٨)

خامساً: التعجب والغرابة "نحو: المَقْعَد مشى، الأخرس نطق" (١٠٩)

سادساً: تحقيق الأمر وإزالة الشك من ذهن المخاطب "كأن تقول: هو يعلم أن الأمر على ما قلت لك، وذلك إذا كان المخاطب ينفياً أن يكون المتحدث عنه عالماً بالأمر، فتقدم المسند إليه لإفادة هذا الأمر وتحقيقه " (١١٠) "وأنت ترى فرقا بين قولنا: (محمد تكفل بهذا الأمر) وقولنا: (تكفل محمد بهذا الأمر) ففيتقديم المسند إليه من التحقيق والتأكيد ما لا يخفي" (١١١) وعن

دلالة التحقيق يقول الجرجاني: "أن تقديم المحدث عنه يقتضى تأكيد الخبر، وتحقيقه له، أنا إذا تأملنا وجدنا هذا الضرب من الكلام يجئ فيما سبق فيه إنكار من منكر، نحو أن يقول الرجل: (ليس لي علم بالذي تقول)، فتقول له: أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ولكنك تميل إلى خصمي" (١١٢) وعن دلالة إزالة الشك يقول الجرجاني: "أو يجئ فيما اعترض فيه شك، نحو أن يقول الرجل: (كأنك لا تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك)، فيقول: أنا أعلم ولكني أداريه. أو فيتكذيب مدع كقوله عز وجل: (وإذا جاءوكم قالو آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به)" (سورة المائدة: آية (٦١). وذلك أن قولهم (آمنا) دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به، فالموضع موضع تكذيب " (١١٣) وقال أيضاً: "ومما يحسن ذلك فيه، ويكثر، الوعد والضمان، كقول الرجل: أنا أعطيك، أنا أكفيك... وذلك أن من شأن من تعده وتضمن له، أن يعترضه الشك فيتنام الوعد وفيالوفاء به فهو من أحوج شيء إلى التأكيد" (١١٤) "وكذلك يكثر فيالمدح كقولك: أنت تعطى الجزيل... وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به، ويباعدهم من الشبهة، وكذلك المفتخر" (١١٥)

جاءك رجل لا امرأة، ويكون كلامك مع من قد عرف أن قد أتاك آت. فإن لم ترد ذاك، كان الواجب أن تقول: (جاءني رجل) فتقدم الفعل " (١٢٠)

ثامناً: إظهار الفرق بين الحدث وبين صاحبه فيالنفى والاستفهام جاء فيالبرهان

" فإذا قلت: ما ضربت زيدا كنت نافيا للفعل الذي هو ضريك إياه. وإذا قلت: (ما أنا ضريته) كنت نافيا لفاعليتك للضرب " (١٢١) " فإن قلت: الصورتان دلتا على نفيالضرب فما الفرق بينهما ؟ قلت: من وجهين: أحدهما: أن الأولى نفت ضريا خاصا، وهو ضريك إياه، ولم تدل على وقوع ضرب غيرك ولا عدمه، إذ نفيالأخص لا يستلزم نفي الأعم، ولا ثبوته.

والثانية: نفت كونك ضريته ودلت على أن غيرك ضربه بالمفهوم. " (١٢٢) ويتضح الفرق بين التقديم وعدمه عند النفي " فلو قلت مثلاً: (ما سعى محمد فيحاجتك) لكنك نفيت السعى عن محمد ولم تثبته لغيره، ولو قلت: (ما محمد سعى فيحاجتك) لكان المعنى أنك نفيت السعى عن محمد وأثبتته لغيره " (١٢٣) وأما عن دلالة التقديم فيالاستفهام فيذكرها الجرجاني بقوله: " وهذه مسائل لا يستطيع

وينتفيالتقديم إذا انتفيالشك قال الجرجاني: " ويزيدك بيانا أنه إذا كان الفعل مما لايشك فيه، ولا يُنكر بحال، لم يكذب على هذا الوجه، ولكن يؤتى به غير مبني على اسم، فإذا أخبرت بالخروج مثلاً عن رجل من عادته أن يخرج فيكل غداة قلت: قد خرج ولم تحتج إلى أن تقول: هو قد خرج، ذاك لأنه ليس بشيء يشك فيه السامع فتحتاج أن تحققه وإلى أن تقدم فيه ذكر المحدث عنه " (١١٦)

سابقاً: قصد الجنس " وهذا يكون فيالانكرات إذا تقدمت نحو: رجل حضر، وأما قولك: (حضرني رجل) فإنه يحتمل الجنس والواحد " (١١٧) قال الجرجاني: " إذا قلت: آجاءك رجل ؟ فأنت تريد أن تسأله: هل كان مجيء من واحد من الرجال إليه ؟ فإن قدمت الاسم فقلت: أرجل جاءك ؟ فأنت تسأله عن جنس من جاءه، أرجل هو أم امرأة ؟، ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد آتاه آت، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي " (١١٨) " وإذا كان كذلك، كان محالاً أن تقدم الاسم النكرة وأنت لا تريد السؤال عن الجنس " (١١٩) وحكم الابتداء بالنكرة فيالخبر مثل الاستفهام، جاء عن الجرجاني قوله: " فإذا قلت: (رجل جاءني) لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي

أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها وترك تقديمه. ومن أبين شيء فيذلك الاستفهام بالهمزة "١٢٤) ويستدل على رأيه بقوله: "فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: أفعلت؟

فبدأت بالفعل، كان الشك فيالفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده.

وإذا قلت: أأنت فعلت؟ فبدأت بالاسم، كان الشك فيالفاعل من هو؟ وكان التردد فيه "١٢٥)

"ومثال ذلك أنك تقول: أبينيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟ أقلت الشعر الذي كان فينفسك أن تقوله؟ أفرغت من الكتاب الذي كتبت كتبه؟ تبدأ فيهذا ونحوه بالفعل؛ لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه؛ لأنك فيجميع ذلك متردد فيوجود الفعل وانتفائه "١٢٦) "وتقول: أأنت بنيت هذه الدار؟ أأنت قلت هذا الشعر؟ أأنت كتبت هذا الكتاب؟ فتبدأ فيذلك كله بالاسم، ذاك لأنك لم تشك فيالفعل أنه كان، كيف؟ وقد أشرت إلى الدار مبنية، والشعر مقولا، والكتاب مكتوبا، وإنما شككت فيالفاعل من هو؟ "١٢٧)

ومن ذلك قوله تعالى: "أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل" (سورة الفرقان آية ١٧)

" والمعنى ءأنتم أوقعتموهم فيالضلال عن طريق الحق؟ أم هم ضلوا عنه بأنفسهم؟ "١٢٨) قال الزمخشري: "فإن قلت: ما فائدة (أنتم) و(هم) وهلا قيل: أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل؟ قلت: ليس السؤال عن الفعل ووجوده، لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه مسؤول عنه" "١٢٩)

من بلاغة تقديم المفعول به على الفاعل

أولاً: يجوز تقدم المفعول به لقصد دلالة العناية به، وهذا هو شأن معظم أغراض التقديم فيبلغتها،

لذا فقد قال سيبويه: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم "١٣٠) لذا فإن المفعول قد يتقدم على فاعله أو عامله لهذا الغرض، قال صاحب البسيط: "الاعتناء بالمفعول، ولكون الكلام إنما جيئ لبيان المفعول، وذلك أن تقول لمن يعلم أن زيدا قد ركب، وجعل ما ركب: الفرس ركب زيدا، والخبر أكلت، تقول ذلك لمن يعلم أكلك، ويجعل مأكولك "١٣١) .

ثانياً: يجوز تقدم المفعول به على فاعله لإظهار دلالة شرف المفعول،

ضرب عمرًا زيدً أي: لا ضارب له غيره " (١٣٤)

ويقدم المفعول أيضاً لدلالة الاختصاص، يقول السيوطي: " وإذا قدم المفعول أفاد الاختصاص عند الجمهور " (١٣٥)

من بلاغة تقديم المفعول به على الفعل و الفاعل معاً

وهناك دلالات أخرى من أجلها يتقدم المفعول على فاعله أو على فعله و فاعله معاً وهذا مما يجعل فكرة التقديم تقوم أساساً على ركيزة المعنى وحده لا لمجرد التقديم فحسب، والدلالة هي المسئلة عن هذا التقديم والمتحكمة فيه *

ولاشك أن كل عدول من التعبير الطبيعي الذي هو الأول يصحبه عدول من معنى إلى معنى " (١٣٦) لذا فإن تقديم المفعول به على عامله يأتي مصحوباً بدلالات متعددة من أهمها،

أولاً: الاختصاص فيقوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) (سورة الفاتحة: الآية (٥)). قال الزمخشري " تقديم لقصد الاختصاص كقوله تعالى: (قل أغير الله تأمروني أعبد) (سورة الزمر: آية (٦٤)). (قل أغير الله أبغى ربا) (سورة الأنعام: آية (١٦٤)). والمعنى: نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة " (١٣٧)

ذكر ذلك صاحب البسيط بقوله: " شرف المفعول على الفاعل، وإن كان المقصود بيانهما، فتقول: أكرم الأمير زيد، فتقدم الأمير لشرفه فينفسه " (١٣٢)

والسؤال هنا لماذا لم يقتصر النحاة على جعل الفاعل مقدماً والمفعول مؤخراً أي: ثبوت رتبة الفاعل بالتقديم، ورتبة المفعول بالتأخير ؟

أجاب صاحب العلل عن ذلك بأنه لو فعل ذلك لضاق الكلام على العرب هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لاحتياجهن إليه فيالشعر فقال: " لو فعلوا هذا لضاق الكلام عليهم، وفيكلامهم الشعر الموزون، ولابد أن يقع فيه تقديم وتأخير لينتظم وزنه، فجعلوا للفاعل علامة يعرف بها أين وقع، وكذلك المفعول " (١٣٣)

ومما سبق رأينا أن المفعول يتقدم على الفاعل وجوباً وجوازاً فيغير الشعر، وهنا يبرز دور العامل الدلالي فيقيادة هذا التقديم، ومن هذه الدلالات . كما عرفنا . دلالة الحصر، وفيها إذا حصر الفاعل يجب تقديم المفعول به عليه قال السيوطي: " ويجب تأخير المحصور فاعلاً أو مفعولاً ظاهراً أو ضميراً محصوراً بـ (إنما) إجماعاً خوف الإلباس، وكذا بـ (إلا) على الأصح إجراءً لها مجرى (إنما) نحو: إنما

منك على إنسان، وظن أن ذلك الإنسان زيد فنفيت أن يكون إياه" (١٤١)

وذكر السيوطي أنه: "إذا قدم المفعول أفاد الاختصاص عند الجمهور نحو: (إياك نعبد وإياك نستعين) (سورة الفاتحة: آية (٥) أى لا غيرك) (بل الله فاعبد) (سورة الزمر: آية (٦٦) أى لا غيره) وخالف في ذلك ابن الحاجب ووافقه أبو حيان فقالا: الاختصاص الذي يتوهمه كثير من الناس من تقدم المفعول وهم " (١٤٢) ويتقدم المفعول على عامله لا لقصد دلالة الاختصاص فحسب بل لدلالات أخرى قال الزركشي: "ما ذكرناه من أن تقديم المفعول يفيد الاختصاص، فهمه الشيخ أبو حيان في كلام الزمخشري وغيره، والذي عليه محققوا البيان أن ذلك غالب لا لازم، بدليل قوله تعالى: (كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل) (سورة الأنعام: آية (٨٤) (١٤٣)

ثانياً: رد الخطأ فيالتعيين، جاء فيالإيضاح: "وأما تقديم مفعوله ونحوه فلرد الخطأ فيالتعيين كقولك: (زيداً عرفت) لمن اعتقد أنك عرفت إنساناً وأنه غير زيد، وأصاب فيالأول دون الثاني، وتقول لتأكيدي وتقريري (زيداً عرفت)" (١٤٤)

ثالثاً: التعجب "كقولك (ديناراً

وتعتبر دلالة الاختصاص من أبرز دلالات تقديم المفعول به على فاعله، ومن ذلك قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم) (سورة الفاتحة: الآيتان (٥ - ٦). "ألا ترى كيف قدم المفعول فيالعبادة والاستعانة دون طلب الهداية، وذلك لأن المعنى نخصك بالعبادة والاستعانة لا نعبد أحداً إلا إياك، ولانستعين أحداً إلا إياك، ولايصح ذلك فيطلب الهداية، إذ لا يصح أن تقول (إيانا اهدنا) لأن المعنى سيكون خصنا بالهداية، أى: اهدنا دون غيرنا" (١٣٨) جاء فيالمثل السائر: فإن فيقولك" (زيداً ضربت) تخصيصاً له بالضرب دون غيره، وذلك بخلاف قولك" (ضربت زيدا) لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار فيإيقاعه على أى مفعول شيءت، بأن تقول: ضربت خالداً أو بكراً أو غيرهما، وإذا أخرته لازم الاختصاص للمفعول" (١٣٩) وقال الجرجاني: "ويجئ لك هذا الفرق على وجهه فيتقديم المفعول وتأخير، فإذا قلت: ما ضربت زيدا، فقدمت الفعل، كان المعنى أنك قد نفيت أن يكون قد وقع ضرب منك على زيد، ولم تعرض فيأمر غيره لنفيولا إثبات، وتركته مبهماً محتملاً" (١٤٠)

"وإذا قلت: ما زيداً ضربت، فقدمت المفعول كان المعنى أن ضرباً وقع

أن يقهر غير اليتيم، وأن ينهر غير
السائل ،وهو غير مراد" (١٤٨)

أعطى خالد) إذا كانت مثل هذى
الحادثه مستغرية ، كأن يكون أكبر
من أن يعطيه خالد،أو أقل فيكون
مثار تعجب" (١٤٥)

(١) (اللغة العربية معناها ومبناها، د/
تمام حسان، صد ٢٠٧ - البيان في روائع
القرآن، د/ تمام حسان، ١/ ٦٧، ٢٣٣ -
الخلاصة النحوية، د/ تمام حسان، صد
٢٠، ٢٤).

(٢) (دلائل الإعجاز، لعبد القاهر
الجرجاني: صد ٧٤)

(٣) (الكتاب: ١/ ١٥ - دلائل الإعجاز:
٧٤)

(٤) (دلائل الإعجاز ٧٦)

(٥) (عن دراسات في العربية وتاريخها،
للشيخ / الخضر حسين صد ١٨٣)

(٦) (البيان في روائع القرآن: ١/ ٦٧، ٢
/ ١٠٨ - الخلاصة النحوية: صد ٨٣)

(٧) (انظر: الموقعية في النحو العربي
د/ حسين رفعت حسين، ٩٧: ١٠٩)

(٨) (انظر: الخصائص: ٢/ ١٦١ - شرح
المفصل: ٣٨٩)

(٩) (شرح المفصل: ٣/ ٣٨٥ - الخصائص:
١٦٠/ ٢)

(١٠) (انظر: ارتشاف الضرب: ٢/ ٨٨ -
الهمع: ٣٤٧)

(١١) (انظر: شرح الكافية: ٤/ ٢١٢،
٢١٧ - شرح الأشموني: ١/ ٣٧١ - الهمع:
٤٢٠/ ١)

(١٢) (انظر: الخصائص: ٢/ ١٦٠ - شرح
المفصل: ١/ ١٤٧)

(١٣) (انظر: الخصائص: ٢/ ١٦٣ - شرح
المفصل: ١/ ٣٧٩ - ضرائر الشعر: صد
٢١٣)

رابعاً: المدح والثناء ومثال ذلك قوله
تعالى: (ووهبنا له إسحق ويعقوب
كلاهدينا ونوحاً هدينا من قبل)
(سورة الأنعام: آية (٨٤) وقوله
تعالى: (وإسماعيل واليسع ويونس
ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين)
(سورة الأنعام: آية (٨٦) " فهذا
ليس من باب

التخصص والحصر، إذ ليس معناه
ماهدينا إلا نوحاً من قبل، وإنما هو
من باب المدح والثناء" (١٤٦)

خامساً: العناية بالمتقدم مثل قوله
تعالى: (وثيابك فطهر)" (سورة
المدثر: آية (٤)

سادساً: الحذر من المتقدم مثل قوله
تعالى: (والرجز فاهجر) " (سورة
المدثر: آية (٥)

سابعاً: التعظيم: " كقولك لمن سأل
الله: عظيماً سألت " (١٤٧)

ثامناً: التوجيه والإرشاد نحو قوله
تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر وأما
السائل فلا تنهر) (سورة الضحى:
الآيتان (٩، ١٠). " فهذا ليس من
باب الحصر كما هو واضح، إذ
المعنى على الحصر يكون أنه منهي
عن قهر اليتيم دون غيره أى يباح له

- (٢٤) (الصدارة في الجملة العربية دراسة نحوية دلالية من خلال القرآن الكريم، ص ١٤ وما بعدها، رسالة دكتوراه بدار العلوم، ١٩٩٨ م، د / جمال عبد الناصر عيد)
- (٢٥) (الصدارة في الجملة العربية دراسة نحوية دلالية من خلال القرآن الكريم، ص ١٦ - المعنى النحوي: مفهومه ومكوناته، د/ صلاح الدين مصطفى بكر، مجلة الحصاد في اللغة والآداب، ص ١٥٣، عدد ١، ١٩٨١، جامعة الكويت)
- (٢٦) (انظر: الخصائص: ١ / ٣٥١ - شرح المفصل: ٢ / ٣١٥ شرح الكافية: ١ / ٢٢٩ - الارتشاف: ١ / ٣٨١ - شرح الأشموني: ١ / ٣٣٧، ٤ / ١١٧)
- (٢٧) (البيت من الوافر لعمر بن كلثوم من معلقته الشهيرة، انظر ديوانه: - الصاحبي في فقه اللغة: ١ / ٥٨ - معاهد التنقيص على شواهد التلخيص: ١ / ٢١٩)
- (٢٨) (البيت من مجزوء الكامل، انظر: الجني الداني في حروف المعاني: ١ / ٧٦ - معني اللبيب: ١ / ١٨٣)
- (٢٩) (الخلاصة النحوية ص ٨٥ وما بعدها - انظر: الارتشاف: ٣ / ٢٥٨)
- (٣٠) (انظر: الارتشاف: ٣ / ٢٥٨ - الخلاصة لنحوية ص ٨٤ وما بعدها)
- (٣١) (اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٢٠٧)
- (٣٢) (البيت من الوافر، للأحوص الأنصاري: انظر: حاشية ديوانه: ٢٣٩ - أمالي بن الشجري: ١ / ٢٧٦ - شرح الجمل: ١ / ٢٤٥، ٢ / ٨٤ - الخزانة: ٢ / ١٩٢)
- (٣٣) (انظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٢٠٧ وما بعدها - مقالات في اللغة والأدب: ص ٣٧٠ - درجات
- (١٤) (الخصائص: ٢ / ١٦٢، ١٦٥ - شرح الكافية: ٢ / ٦٧ - ارتشاف الضرب: ٢ / ٥٠٩)
- (١٥) (البيان في روائع القرآن: ١ / ٦٧ - انظر: شرح الكافية: ٣ / ٢٧٠)
- (١٦) (انظر: الارتشاف: ٢ / ٥٥٨ - البيان في روائع القرآن: ١ / ٢٧ وما بعدها)
- (١٧) (الخصائص: ٢ / ١٦٢)
- (١٨) (اللغة العربية معناها ومبناها: ص ١٢٦ - التتضام في النحو العربي ص ٦٩، رسالة ماجستير بدار العلوم (القاهرة) د/ محمد صلاح الدين مصطفى بكر، ١٩٨٣)
- (١٩) (اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٢٠٨ - انظر: مقالات في اللغة والأدب، د/ تمام حسان، ص ٤٩ - قرينة الرتبة وقيمتها في النحو العربي، ص ١٠٤، رسالة ماجستير بدار العلوم (القاهرة) د/ أحمد عبد الباقي عباس، ١٩٧٧)
- (٢٠) (اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٢٠٨، ٢٢٤ - البيان في روائع القرآن: ١ / ٢٧ - العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د/ محمد حماسة عبد اللطيف، ص ٣١٣)
- (٢١) (انظر: الكتاب: ١ / ٥٩ - المقتضب: ٣ / ٣٦، ٢٠٢، ٢٣٢، ٤ / ١٨٩ - الخصائص: ٢ / ١٦٣ - شرح المفصل: ١ / ١٩٨ - شرح الكافية: ٢ / ٦٣، ٢١٩، ٤ / ٢١٧ - ١٩٨ - الهمع: ١ / ٤٢٠، ٤٣٤، ٣ / ٨٢)
- (٢٢) (انظر: المقتضب: ٣ / ٣٦، ٤ / ١٩٠ - شرح المفصل: ١ / ٢٠٠، شرح الكافية: ١ / ٢٥٧، ٢ / ٤٦، ٤ / ١٠٩، الهمع: ٢ / ٢٣٨)
- (٢٣) (انظر: شرح الكافية: ٢ / ٦٣ وما بعدها، شرح ابن عقيل: ١ / ٣٢٢ وما بعدها)

- (٤٠) التصريح: ٢/ ٢٩٤.
- (٤١) شرح المفصل: ١/ ٧٦.
- (٤٢) التصريح: ٢/ ٢٩٤-٢٩٥.
- (٤٣) السابق: ٢/ ٢٩٦.
- (٤٤) البيت من البسيط، وهو لتسليط بن سعد في الأغاني ٢/ ١١٩؛ وخزانة الأدب ١/ ٢٩٣، ٢٩٤؛ والدرر ١/ ٢١٩؛ ومعجم ما استعجم ص ٥١٦؛ والمقاصد النحوية ٢/ ٤٩٥؛ وبلا نسبة في تخلص الشواهد ص ٤٨٩؛ وتذكرة النحاة ص ٣٦٤؛ وخزانة الأدب ١/ ٢٨٠؛ وشرح ابن عقيل ص ٢٥٢؛ وهمع الهوامع ١/ ٦٦.
- (٤٥) انظر: الخصائص، لابن جني ١/ ٢٩٤: ٣٠١.
- (٤٦) شرح التسهيل، لابن مالك ١/ ١٦١.
- (٤٧) التصريح مضمون التوضيح: ٢/ ٢٩٦.
- (٤٨) البسيط في شرح الجمل: ١/ ٢٧٦-٢٧٧. انظر الظواهر النحوية في الحواميم ص ٣٠٤.
- (٤٩) السابق: ١/ ٢٧٧.
- (٥٠) شرح الجمل، لابن عصفور ١/ ١٦٤.
- (٥١) التصريح: ٢/ ٢٩٧. انظر الظواهر النحوية في الحواميم ص ٣٠٤.
- (٥٢) التصريح: نفسه.
- (٥٣) البيت من البسيط، ولا يعلم قائله، ورد في العيني ٢/ ٤٩٠ - تعليق الفرائد ٤/ ٢٧٣ - الهمع ٢/ ٢٦١ (الصدر فقط).
- شرح الأشموني ٢/ ١١٤ - الدرر ١/ ١٤٣ - التصريح ٢/ ٢٩٧.
- (٥٤) التصريح: ٢/ ٢٩٧-٢٩٨ - انظر: المقاصد النحوية، للعيني، ٢/ ٢٣٥.
- (٥٥) انظر: شرح التسهيل، لابن مالك ١/ ١٥٩، ١٦٠ - التصريح: ٢/ ٣٠٠.
- الخطأ والصواب في النحو والأسلوب، د / تمام حسان، ص ١٦، ٧٧، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد ٥٦، ١٩٨٥ - ظاهرة الربط في التركيب والأسلوب العربي، د / تمام حسان، ص ١٦، ٧٧، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد ٦٣، ١٩٨٨.
- (٣٤) البيت من الكامل، وهو بلا نسبة في خزانة الأدب: ١٠/ ٣٢٣؛ وسر صناعة الإعراب ص ٣٧٨؛ وشرح التصريح: ١/ ١٧٤؛ وشرح ابن عقيل: ص ١٢١؛ ولسان العرب ١/ ١٠٥ "شهرب"، والمقاصد النحوية ١/ ٥٥٦.
- (٣٥) البيت من الطويل، وهو للكميت في تخلص الشواهد ص ١٩٢؛ والدرر ٢/ ٢٦؛ وسر صناعة الإعراب ١/ ١٣٩؛ وشرح التصريح ١/ ١٧٣؛ والمقاصد النحوية ١/ ٥٣٤؛ وليس في ديوانه؛ وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ٢٠٩؛ وشرح ابن عقيل ص ١٢١؛ وهمع الهوامع ١/ ١٠٢.
- (٣٦) البيت من الطويل، وهو للمجنون في ديوانه ص ٨٥؛ ولنصيب بن رياح في ديوانه ص ٦٨؛ وتخلص الشواهد ص ٢٠١؛ وسمط اللآلي ص ٤٠١؛ وشرح التصريح ١/ ١٧٦؛ والمقاصد النحوية ١/ ٥٣٧؛ وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ٢٥١؛ وشرح ابن عقيل ص ١٢٣؛ وشرح عمدة الحافظ ص ١٧٣.
- (٣٧) شرح الجمل، لابن عصفور، ١/ ١٦٤.
- (٣٨) التصريح بمضمون التوضيح: ٢/ ٢٩٤. انظر: الظواهر النحوية في الحواميم، ص ٣٠٤، رسالة ماجستير للباحث محمد قاسم محمد، بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (٣٩) النحو العربي د/ إبراهيم بركات، ١٩٠/٢.

- (٥٦) المقاصد النحوية: ٢/ ٢٣٥.
- (٥٧) شرح الرضى على الكافية ١٩٢/١.
- (٥٨) السابق: نفسه.
- (٥٩) ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبى حيان، تحقيق د/ مصطفى أحمد النحاس ٢٠٠/٢ مطبعة المدنى، ط/ الأولى
- ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م.
- (٦٠) شرح الجمل، لابن عصفور، ١/ ١٦٤.
- (٦١) النحو العربى، د/ إبراهيم بركات، ١٩١/٢.
- (٦٢) شرح الجمل، لابن عصفور، ١/ ١٦٤.
- (٦٣) النحو العربى، د/ إبراهيم بركات، ١٩٢/٢.
- (٦٤) البيت للناطقة الذبياني فيالثرءاء، مجالس ثعلب: ص ٩٥ - اللسان: (خ،ض،ض) - شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ١٦٤ - المحكم، لابن سيده، ٢/ ١٠٠، الربيع غزوة فيالربيع، ١/ ١٦٤.
- (٦٥) شرح الجمل، لابن عصفور، ١/ ١٦٤.
- (٦٦) النحو العربى د/ إبراهيم بركات ١٩٢/٢ - انظر: الجملة الخبرية فينثر الجاحظ رسالة دكتوراه الباحث إبراهيم بركات ص ٨٩، آداب القاهرة سنة ١٩٧٩ م.
- (٦٧) النحو العربى: ١٩٢/٢.
- (٦٨) (البحر المحيط: ٨ / ٣٧٠)
- () انظر: الموقعية في النحو العربي د/ حسين رفعت حسين، ١٢٦: ١٣٢)
- (٧٠) (انظر: شرح المفصل: ١ / ١٧٩ - الارتشاف: ١ / ٤٨١ وما بعدها - شرح الكافية ٣ / ٩ وما بعدها - الخصائص: ١ / ٣٠٠)
- (٧١) (انظر: الكتاب: ٢ / ١٢٤، ١٢٧ - شرح المفصل: ١ / ١٧٨ - دلائل الإعجاز: ص ١٠٦ - الهمع: ١ / ٣٢٩، ٣ / ٩٣ - شرح الأشموني: ١ / ٣٣١)
- (٧٢) (انظر: الكتاب: ١ / ٤٥، ٤٧ - المقتضب: ٤ / ٨٧ - شرح المفصل: ٣ / ٣٦٣ - شرح الكافية: ٢ / ١٨٣ - الارتشاف: ٢ / ٨٥ - شرح الأشموني: ١ / ٣٦٦)
- (٧٣) (انظر: الارتشاف: ٢ / ١٢٢ - الهمع: ١ / ٤٢٠)
- (٧٤) (انظر: الكتاب: ٢ / ٨٨، ١٤٣ - المقتضب: ٤ / ١٠٩ - شرح المفصل: ١ / ٢٠٠ - شرح الكافية: ١ / ٢٥٧)
- (٧٥) (انظر: الكتاب: ١ / ٨٠، ٤٢، ٤٣، ٣٠٠، ٣١١ / ١ - الخصائص: ٢ / ١٢٧ - شرح الكافية: ١ / ١٦٤ - الارتشاف: ٢ / ١٩٩ - الهمع: ١ / ٥١٥، ٢ / ٦ - شرح الأشموني: ٢ / ٧٨)
- (٧٦) (انظر: الكتاب: ١ / ٨٠، ٢ / ١٢٧ - المقتضب: ٤ / ١٦٨ - شرح المفصل: ٣ / ٣١١ - شرح الكافية: ١ / ٣٠٤ - الخصائص: ٢ / ١٥٨)
- (٧٧) انظر: شرح الكافية: ٤ / ٢٣٩ - الارتشاف: ٣ / ٣٠ - الهمع: ٣ / ٢٧، ٣٢ - شرح الأشموني: ٣ / ٥٣)
- (٧٨) (انظر: الأصول: ٢١٤، ٢٣٢ - الإيضاح في علل النحو: ٦٩ - الهمع: ١ / ٣٧٥ - الظواهر اللغوية في التراث النحوي ٩٣)
- (٧٩) (انظر: الكتاب: ١ / ٥٩ - المقتضب: ٣ / ٣٦، ٢٠٢، ٢٣٢، ٤ / ١٨٩ - الخصائص: ٢ / ١٦٣ - شرح المفصل: ١ / ١٩٨ - شرح الكافية: ٢ / ٦٣، ٢١٩، ٤ / ٢١٧ - الهمع: ١ / ٤٢٠، ٤٣٤، ٣ / ٨٢)
- (٨٠) (انظر: المقتضب: ٣ / ٣٦، ٤ / ١٩٠)

- شرح المفصل: ٢٠٠ / ١، شرح الكافية: ٢٥٧ / ٢، ٤٦ / ٤، ١٠٩ / ٤، الهمع: ٢ / ٢٣٨ - الموقعية في النحو العربي: صد (١٣٥، ١٣٤)
- (٨١) (انظر: البيان في روائع القرآن: ١ / ٢٧)
- (٨٢) (الموقعية في النحو العربي. دراسة سياقية، د/ حسين رفعت حسين صد (١٣٩، ١٤٠)
- (٨٣) (انظر: البيان في روائع القرآن: ٢٧ / ١ - قرينة الرتبة وقيمتها في النحو العربي، صد ١٠٣، ١٠٦، رسالة ماجستير بدار العلوم، ١٩٧٧ م د/ أحمد عبد الباقي عباس).
- (٨٤) (الخصائص: ٨٩ / ١ - انظر: شرح المفصل: ١ / ١٤١ - المقتضب: ١٥٤ / ٣، ١١٨ / ١ - شرح الكافية: ١ / ١٦٧ - الارتشاف: ٢ / ١٩٩، ٢٧٦ - الهمع ٥١٥ / ١ - شرح الأشموني: ٢ / ٧٩)
- (٨٥) البيت من الطويل، منسوب للكُميت في شح ابن عقيل: ١ / ٢٤٢
- (٨٦) البيت من الخفيف لأبي العلاء المعري انظر: زهر الأكم في الأمثال و الحكم: ١ / ٢٤٧ - تاج العروس: ١ - ٤٠٦٠ - الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٧ - مفتاح العلوم: ١ / ٧٩ - معاهد التصنيف على شواهد التلخيص -: ١ / ٤٧ - وجواهر البلاغة للهاشمي: ١ / ٦.
- (٨٧) البيت من البسيط نسب لمجنون ليلي، ولذي الرمة، وللحسين بن عبد الله الغريبي انظر: البديع في نقد الشعر: ١ / ٢٠ - والعمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١ / ١٣١ - وخزانة الأدب: ١ / ٣٤ - ونهاية الأرب في فنون الأدب: ٢ / ٣٠٣ - تاج العروس: ١ / ص ١٧٦١ - والإيضاح في علوم البلاغة:
- ١ / ١٢٠ - وجواهر البلاغة للهاشمي: ١ / ٦ - ١ / ٦ - موسوعة النحو والإعراب: ٢٨ / ١.
- (٨٨) (المثل السائر: ١ / ٩٣)
- (٨٩) (الإيضاح: ١ / ١٠١،
- (٩٠) (الطراز: ٢ / ٣١)،
- (٩١) (الطراز: ٣ / ٦٨)
- (٩٢) (الطراز: ٢ / ٦٨، ٦٩).
- (٩٣) (الكشاف: ٣ / ٢٣٦ - المثل السائر: ٢ / ٤٣)
- (٩٤) (شرح الرضي على الكافية: ١ / ١٠٧)
- (٩٥) البيت من السيط، لمحمد بن وهيب، انظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٠١ - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: ١ / ١٢١ - مختصر المعاني، للتفتازاني: ١ / ١٤٨
- (٩٦) البيت من الوافر، لأبي العلاء المعري، انظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٠١ - ١٥٤ / ٢ - البلاغة العربية: ١ / ٢٩٣ - تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي: ١ / ٨٠.
- (٩٧) البيتان من الطويل لحسان بن ثابت، انظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٠١، ١٤٤ / ٢ - البلاغة العربية: ١ / ٢٩٢ - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: ١ / ٣٢.
- (٩٨، ٩٩) شرح الجمل، لابن عصفور، ١٦٣ / ١.
- (١٠٠) التصريح بمضمون التوضيح: ٢ / ٢٩٣.
- (١٠١) البيت لجبرير فيديوانة صد ٢٠٥ - آمالي ابن الشجري ٧٤ / ٣ - الأزهية صد ١٢٠ - العيني ٤ / ٢، ١٤٥ / ٤٨٥ - الدرر ١٨١ / ٢ - التصريح ٢ / ٢٩٣.

- (١٠٢) انظر: شرح ابن عقيل ٤٢٣/١ — شرح الصبان ٤٥/٢.
- (١٠٣) معاني النحو: ٤٠/٢.
- (١٠٤) السابق: ٤٠/٢ - ٤١.
- (١٠٥) معاني النحو: ٤١/٢.
- (١٠٦) الكشف: ٤٢/١.
- (١٠٧) معاني النحو: ٤١/٢.
- (١٠٨) السابق نفسه.
- (١٠٩) السابق نفسه.
- (١١٠) السابق نفسه.
- (١١١) السابق نفسه.
- (١١٢) دلائل الإعجاز: صد ١٣٣.
- (١١٣) دلائل الإعجاز: صد ١٣٣ - ١٣٤.
- (١١٤) السابق: صد ١٣٤.
- (١١٥) السابق: صد ١٣٤ - ١٣٥.
- (١١٦) السابق: صد ١٣٥.
- (١١٧) معاني النحو: ٤٢/٢.
- (١١٨) دلائل الإعجاز: صد ١٤٢.
- (١١٩) السابق: نفسه.
- (١٢٠) السابق: صد ١٤٣.
- (١٢١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقق / محمد أبو الفضل إبراهيم: ٣٧٧/٢، دار الفكر ط الثالثة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- (١٢٢) السابق: نفسه.
- (١٢٣) معاني النحو: ٤٣/٢.
- (١٢٤) دلائل الإعجاز: صد ١١١.
- (١٢٥) السابق: صد ١١١.
- (١٢٦) السابق: نفسه.
- (١٢٧) السابق: نفسه.
- (١٢٨) الكشف: ٢٦٨/٣.
- (١٢٩) السابق: ٢٦٨/٣.
- (١٣٠) الكتاب: ٣٤/١ - البسيط: ٢٧٦/١.
- (١٣١) البسيط: نفسه.
- (١٣٢) السابق: نفسه.
- (١٣٣) علل النحو، لأبي الحسن الوراق صد ٣٧٨.
- (١٣٤) همع الهوامع: ٢٦٠/٢.
- (١٣٥) السابق: ١٢/٣.
- (١٣٦) معاني النحو: ٧٦/٢.
- (١٣٧) الكشف: ١٣/١.
- (١٣٨) معاني النحو: ٧٦/٢.
- (١٣٩) المثل السائر: ٢١٧/٢ - انظر: البرهان: ٢٣٦/٣.
- (١٤٠) دلائل الإعجاز: صد ١٢٦ - الإيضاح: ١١٠/١ - ١١١/١.
- (١٤١) دلائل الإعجاز: نفسه - الإيضاح ١١١/١.
- (١٤٢) الهمع: ١٦٦/١.
- (١٤٣) البرهان: ٢٣٧/٣.
- (١٤٤) الإيضاح: ١١٠/١ - ١١١.
- (١٤٥) معاني النحو: ٧٩/٢.
- (١٤٦) معاني النحو: ٧٩/٢.
- (١٤٧) معاني النحو: ٧٩/٢.
- (١٤٨) معاني النحو: ٧٩/٢.

"أولاد حارتنا" بين الواقعية والعبثية

الفصل الحادي عشر- الجبلاوي آفة التغيير (٦-٦)

بقلم: سليمان الحزامي *

الجبلاوي شخصية مركزية في رواية أولاد حارتنا، فالرواية أساساً تقوم على هذه الشخصية التي من الممكن أن تأخذ أكثر من صورة، وهنا نبدأ بالصورة العبثية التي رسمها نجيب محفوظ لهذه الشخصية، فقد أعطاه نجيب محفوظ من الصفات الكثير، من حيث الحجم والقوة وقوة الحجة والحدة في النظر حتى أنه يبصر في الليل كما النهار تماماً، كذلك أعطاه قوة الشخصية القيادية، فهو القائد لأولاده ولنسائه ولكل ما يدور في البيت الكبير، وهو صاحب القرار حاد، بمعنى أنه عندما يتخذ قراراً ما فإنه لا يتراجع مهما كانت النتائج، كما أنه شخصية ترفض المجادلة وترفض المناقشة ويتمسك برأيه إلى آخر لحظة، والأمثلة على ذلك في الرواية كثيرة، نأخذ منها على سبيل المثال حدة نقاشه مع إدريس وطرده من البيت؛ لأنها شخصية ترفض تلقي الأوامر ويؤمن بإعطاء الأوامر من منطلق القوة والأنانية وإنتي أنا صاحب القول الأخير.

كذلك في حالة الرضا نجد أن لديه قمة الرضا والموافقة عندما فكر أدهم بالزواج من أميمة، فالجبلاوي بشخصيته القوية الشرسة تحول إلى طفل وديع ووافق على هذا الزواج بل يباركه، وقبل أن يعيش الزوجان في كنفه، وعندما جرت محاولة سرقة الحجة من قبل أدهم وأميمة تم الطرد وبشكل نهائي، أي أن الجبلاوي شخصية لا تعرف التسامح ولا تتعامل مع الغفران ولكنها شخصية تتعامل مع فرض الرأي وقوة الشخصية من زاوية القيادة للأكبر، وأن الأصغر هو من يسمع وينفذ الكلام.

ويتم الطرد وتبدأ الحياة للزوجين أدهم وأميمة ولا يفكر الأب الجبلاوي في الرحمة أو الرأفة اتجاه هذين الزوجين، بل قسا عليهما قسوة لا حدود لها، لكن نرى نجيب محفوظ يستدرك الجانب العاطفي عند شخصية الجبلاوي

* كاتب من الكويت.

نهاية الرواية وفي الفصل الخاص بعرفة، نجد أن هذه الشخصية العملاقة مادياً ومعنوياً قد مات، مثله مثل أي إنسان على وجه البسيطة، فالجبالوي بشر له أولاد وله زوجات ويأكل مما يأكل البشر ويمارس كل ما يمارسه البشر إلا أن حواسه جعلها نجيب محفوظ متفوقة عن حواس ممن هم حوله، وذلك من باب التميز ومن باب إضفاء اللامعقولية والعبثية على هذه الشخصية، فشخصية الجبالوي بكل المقاييس هي شخصية عبثية إن كان جسماً أو قدرات أو حكماً، ولكننا في النهاية نجد إن الجبالوي هو مجرد إنسان يموت كأني إنسان آخر، وإن الموت هو النهاية الطبيعية لكل مخلوقات الله عز وجل، وهذا السبب يجعل بعض الدارسين لهذه الرواية يفكرون بطريقة أنها بعيدة عن الإيمان المطلق؛ لأن الجبالوي كما رسمه نجيب محفوظ وكما ذكرنا في بداية هذه الدراسة شخصية عملاقة لديه من الحواس ولديه من الإحساس ما ليس للآخرين، وهنا -كما ذكرنا أيضاً- نقول إن هذا التصور هو تصور عبثي مطلق، فالكتابة العبثية تعطي الكاتب ما يشاء من الصفات والمواصفات للشخصية التي يبتكرها أو يتحدث عنها والأمثلة في أدب العبث كثيرة لا أريد الخوض فيها.

عندما يستدعي همام لزيارته ويحاول أن يدعو للإقامة معه في البيت الكبير، وعندما يرفض همام هذا العرض نرى الجبالوي الأب قد التفت إلى الشراسة وفرض الرأي وعمل على عدم أخذ رأي همام، بمعنى أن شخصية الجد عند الجبالوي كانت شخصية قاسية، وهي امتداد لشخصية الجبالوي الأب الذي كان طرده لإدريس وهمام بداية الخروج على الحياة في البيت الكبير، لكن أيضاً مرة أخرى نرى نجيب محفوظ يمد خيطاً رفيعاً في محاولة بائسة فيها نوع من العقاب النفسي والاعتراف بالذنب أو الخطأ الذاتي عندما يزور الجبالوي الأب ولده همام في أواخر حياته ويحاول أن يسترضيه، أي أن الأب يسترضي الابن ويمنحه أموال الوقف لأن تكون له، أي لهمام ولذريته، وهي إشارة واضحة لبداية، كما يرى الكاتب، التغني -إن جاز التعبير- بالاشتراكية الشيوعية، أي إن الجبالوي في بيته كان رأسمالياً لكنه تخلى عن هذه الرأسمالية لذريته ومنحها لأدهم ليبدأ خط الرواية الاشتراكي الذي هو الهدف من كتابة أولاد حارتنا عند نجيب محفوظ وبشكل أكاد أقول مباشر رغم عبثية الطرح والمعالجة، فالجبالوي بشخصيته العملاقة وحواسه غير العادية، نجد أنه في

الأمر، وهي أمور أكاد أقول إنها غريزية رفضها نجيب محفوظ إرضاء للسلطة آنذاك ومحاولة منه للتقرب للأحزاب اليسارية رغم إنه وفدي المنشأ والفكر.

الخلاصة إن شخصية جبلاوي شخصية محورية في هذه الرواية، وهي الشخصية الحاضرة الغائبة في كل أحداث الرواية، ونجد أن الشخصيات التي جاءت بعد الجبلاوي كلها تذكر الجبلاوي بالسمعة الطيبة وأنه وأنه... وهذا هو بداية الدعوة إلى مبدأ الاشتراكية الشيوعية، لأن من مبدأ الاشتراكية الشيوعية تقديس الأفراد، لذلك نجد أن هذه الشخصيات وخاصة جبل، ورفاعة يمجدان الجبلاوي أكثر مما يذهب إليه قاسم، وأعتقد أن نجيب محفوظ عمل إلى هذا التخفيف من باب أن قاسم هو من حي الجرايع، والجرايع في رواية أولاد حارتنا هم العرب كما يصورهم نجيب محفوظ رغم وحدة المكان ووحدة الشخصية في الرواية، فوحدة المكان هي مصر، وتحديدًا جبل المقطم وما يحيط به، ووحدة الشخصية هي وحدة الشخصية المصرية التي عاشت في كف الإسلام، لكن التقسيم العبيث الذي مارسه نجيب محفوظ من خلال شعب بني حمدان وشعب الرفاعيين، وبعد ذلك شعب قاسم

كما أن العملاقة والألوهية عند الإنسان والتفرد بالرأي كل هذه الأمور نجدها قد ضاعت واندثرت عندما تقدم العلم، فالعلم يقول نجيب محفوظ هو سيد الموقف، بدليل أن المادة المتفجرة التي توصل إليها عرفة هي التي غيرت معطيات أولاد حارتنا كموقع وكشعب وكحضارة فقد اختفت عصا النبوت، والعصابات، والمعلمون لأن العلم سحق كل ما يعتمد عليه من قوة العضل أو القوة البدنية، وبشكل مباشر أوصل نجيب محفوظ إلى قراءة في أولاد حارتنا بأن الخلاص من كل هذه المظاهر هو قوة السلاح الحديث والفلسفة المادية الحديثة أو ما يسمى بالشيوعية أو الاشتراكية.

فالشيوعية في أولاد حارتنا أو الاشتراكية هي طريق الخلاص للشعوب من الظلم والاضطهاد والمعلمين وأصحاب الأتاوات؛ لأن الاشتراكية كما يراها نجيب محفوظ في أولاد حارتنا هي المساواة والعدل، وتكافؤ الفرص لأن التاريخ أثبت عكس ذلك، وكما ذكرنا في مكان سابق من هذه الدراسة، أن نجيب محفوظ كتب هذه الرواية -كما أرى- إرضاء للسلطة في ذلك الوقت ومحاولة منه لنشر الشيوعية الاشتراكية وضرب الملكية الفردية أو الرأسمالية المالية لأن هذه

لأنها ضد الفطرة والإسلام هو دين الفطرة ، ولكن عندما نفكر أن نجيب محفوظ كتب هذه الرواية إرضاء للسلطة في هذه الوقت ومحاولة منه للتلذذ نحو السلطة وهو الوفدي المعتقد رغم دراسته لليسار الفلسفي إلا أن شخصية نجيب محفوظ الشعبية ابن البلد ترفض -كما أرى أيضاً- الممارسة الاشتراكية، لكنه كتب أولاد حارتنا بهذا الشكل العبثي إرضاء للسلطة وهروباً إلى انتقاضات لهذا الإنسان العربي رغم أن الرواية عندما صدرت تم منعها في مصر وفي كثير من الدول العربية لأنها كما ذكرنا رواية تحمل الإنسان العربي المسلم ما لا يحتمله بأنها رواية رغم عبثيتها ورغم اللامعقولية التي تحتويها من أحداث وشخصيات فهي رواية بعيدة عن الفطرة الإنسانية في الأحداث وفي النتائج؛ لأن هذا الكلام لا يقلل من قيمة أولاد حارتنا من قيمة إبداعية فيها الحبكة الروائية الجميلة والأحداث المترابطة والشخصيات المرسومة بدقة والبعيدة عن الافتعال، فأنت ترى وأنت تقرأ أولاد حارتنا أنك تشاهد فيلماً سينمائياً جميلاً حتى وإن كانت أحداثه غير معقولة أو عبثية.

وأعطاهم من الصفات ما يوحي إلا أن جماعة قاسم أو شعب قاسم هم العرب، والإشارات التي تدل على ذلك كثيرة في الفصل الذي يتحدث فيه محفوظ عن شعب أو مجموعة الجرايع وشخصية قاسم.

لذلك نجد أن نجيب محفوظ بذكاؤه الروائي الجميل خفف كثيراً من ذكر الجبلاوي هذه الشخصية المحورية لم يقطع دابرها، ولكنه لم يذكرها كما ذكرها عند قوم جبل أو قوم رفاعه.

والجبلاوي هذه الشخصية المحورية صانعة الأحداث هي الكتاب الذي حاول أبطال الرواية التعرف عليه ولكنهم فشلوا في الوصول إلى حقيقته، وهذا يعني - كما أرى - غموض استخدام الاشتراكية عند نجيب محفوظ في المجتمعات العربية والإسلامية تحديداً، فالاشتراكية ربما تصلح في كثير من المجتمعات، ولكن محاولة تطبيق الشيوعية والاشتراكية في مجتمع إسلامي عربي هذا يعني الخروج عن المألوف وهذا ما يرفضه الإنسان العربي المسلم بطبعه، لذلك نجد أن الاشتراكية بكل ما تحمله من صفات إيجابية أو سلبية لم تنجح في الوطن العربي، ولم تنجح في كثير من الدول الإسلامية

المرأة في أولاد حارتنا

الأب الجبلاوي، وكانت أميمة في أيامها الأخيرة من الحمل أي إنها كانت تترقب، لكن الأب القاسي لم يرحم الزوجين ولم يعف عنهما وطردهما إلى الشارع.

وطبعاً صور نجيب محفوظ قمة الندم عند أميمة، كما صور قمة الحب عند أدهم عندما غفر وعفا عن خطأ زوجته الذي تسبب في طردها معه من البيت.

فأميمة هي المحرك لكل الأحداث التي عاشها أدهم بعد ذلك خارج بيت والده الجبلاوي وداخل بيت الجبلاوي كانت أم أدهم هي المشجع على الزواج، ولعبت دوراً في توضيح وتجميل الصورة عند الجبلاوي عندما فكر بالزواج من أميمة.

وظلت أميمة تحمل آثار الندم على خطئها في دفع زوجها في الحصول على الحجة، وهذا الندم كان واضحاً عند أميمة أيضاً بعد مقتل همام، ونجد دوراً آخر للمرأة وهو دور هند ابنة إدريس التي أيضاً حملت بها أمها سفاحاً، وخرجت أيضاً مع إدريس عندما طرد الأب ابنه الأكبر، وهند تلتقي مع قدري ليمثلان الخط الخارج عن المألوف في حياة البشر فكل منهما اقترب ذنباً لكنهما بنيا حياة وأبناءً استمرت بهما لتكوين مجتمع جديد بعد موت أدهم وأميمة وإدريس.

وينتقل نجيب محفوظ إلى حياة

لعل من أبرز ما يميز روايات نجيب محفوظ وقصصه القصيرة أنه يعطي المرأة مساحة من كتاباته، والمرأة من هذه الزاوية تأخذ دوراً شاسعاً ومحركاً ديناميكياً فيما يكتب هذا العملاق من قصص أو روايات، والأمثلة على ذلك كثيرة في روايات نجيب محفوظ، لأن المرأة عند محفوظ هي الإنسان في جميع أدواره الحياتية قد تكون بطل، وقد تكون ضحية وقد تكون وسيلة، وقد تكون غاية، ولكن المرأة في أدب نجيب محفوظ لا يمكن لها أن تكون هامشية الحدث، فوظيفة المرأة في أدب نجيب محفوظ واضحة تماماً إن كانت الأم في الثلاثية، أو الضحية في بداية ونهاية، أو المكافحة في ميرامار أو غيرها من كتابات نجيب محفوظ القصيرة أو الطويلة.

ونأتي إلى بيت القصيد، في الحديث عن رواية أولاد حارتنا، فنجد أن المرأة قد خرجت من ضلع أدهم عندما رأى أميمة أول مرة وهي تخرج من ظله، وكان تشبيهاً رائعاً من نجيب محفوظ في الرمز بأن المرأة هي مخلوق مكمل للرجل، وهنا ربط الحب بين القلبين أدهم وأميمة، وتم الزواج، ولعبت المرأة دوراً دافعاً للانحراف عندما أغرت زوجها أدهم بتشجيعه بالاستيلاء على الحجة، وكانت هذه بداية الخطأ الذي أخرجهما من بيت

كما نجده واضحاً في شخصية قمر مع قاسم أو شخصية بدرية مع قاسم، فهؤلاء النسوة لعبن دوراً واضحاً في توجيه الرجل الذي هو على علاقة تبدأ بعلاقة معرفة عند رفاة ويخاطبهم، لكنها مع قاسم تنتهي بعلاقة الزواج/ حيث يتزوج قاسم من قمر ويعمل في تجارتها وبعد ذلك يتزوج من بدرية التي هي شقيقة صديقه صادق؛ ودور المساندة والدعم والمؤازرة عند قمر و بدرية اتجاه قاسم في تحديه للفتوات والفتونة واضحاً في محاولة من نجيب محفوظ في إبراز وتأثير دور المرأة في حياة الرجل، وهذا الجانب أجده واضحاً بشكل لا يدعو للشك عند هذه الشخصيات بالإضافة إلى شخصية عواطف التي أيضاً توازى عرفة، وتقف معه وتموت معه ناهيك عن دور ياسميننا مع رفاة والتي ضحى رفاة بزواجه منها إنقاذاً لحياتها من القتل، فهنا نجد أن المنقذ للمرأة هو رفاة في زواجه من ياسميننا كما نجد نفس الدور يلعبه عرفة بزواجه من عواطف.

وأيضاً نجد الفرق في موت ياسميننا التي يقتلها أصحاب رفاة انتقاماً له، وهي -كما يراها أصحاب رفاة- هي الشريرة أو الجانب السلبي في حياة رفاة، بينما نجد أن عواطف هي الجانب الإيجابي في حياة عرفة وإن موتها معه -كما ذكرنا في مكان سابق في هذه الدراسة- إنها تمثل ربما مصر المحروسة عندما يعمل الأعداء على محاولة لطمس

المرأة عند جماعة جبل، فبائعة البرتقال تمر حنة هي صوت المرأة في مجتمع حمدان، وهي المرأة التي تحتفظ بتاريخ هذه الجماعة أي جماعة حمدان، ودور بائعة البرتقال دور ثانوي، لكنه موجود تقريباً في الجزء الخاص لجماعة حمدان حيث إنها هي التي تعمل على التأكيد على مساندة جبل في دعوته وتأييده واستقبال زوجة جبل السيدة شفيقة، وشفيقة أيضاً لها دور هامشي، ولكنه يؤكد على تلاحم الأسرة وعلى أن بناء الأسرة شيء أساسي في الدعوة التي يحملها جبل، خاصة وأنه تزوجها عن نظرة بدأت منذ لقاء جبل بها عند صنوبر الماء العمومية.

وبعد ذلك تنتقل في دور المرأة عند نجيب محفوظ عند الحديث عن عبدة، وهي والدة رفاة، تلك الأم الحنون التي صورها نجيب محفوظ بشكل عاطفي جداً وصور العلاقة بينها وبين ابنها رفاة تصويراً متصلاً بالعلاقة بين الأم والابن من جهة وعلاقة الابن والإم من جهة أخرى، وهناك أيضاً بخاطرهم هذه المرأة التي تتعامل مع الزار وجلسة الزار ويأخذ منها رفاة هوس هذه الخرافة والتي تهين رفاة بأن يتعامل مع العفاريات بطريقة تختلف عن بخاطرهم، وأيضاً نجد أن بخاطرهم تلعب دوراً مؤثراً في حياة رفاة، وهذا يؤكد على إيجابية المرأة في تحريك الشخصية الذكورية عند نجيب محفوظ في هذا الجزء تحديداً،

كلها علاقات تبني بدون مقدمات وبشكل عبثي اللهم إلا علاقة قاسم بقمر حيث كان قاسم الراعي يأخذ نعجة قمر ومن خلال هذا الظرف يتم التعارف بينهما، بالإضافة إلى وجود الوسيط الجارية السوداء سَكينة، والتي تلعب دوراً مهماً في ربط العلاقة بين قمر وقاسم بالإضافة إلى اهتمام الجارية بآبنة قاسم من قمر.

إن اهتمام نجيب محفوظ بالمرأة من خلال أعماله بشكل عام واهتمامه بدور عبثية المرأة في أولاد حارتنا يؤكد على أن نجيب محفوظ يتعامل مع المرأة من خلال أدبه تعاملًا بناءً وأساسياً في تقديم الصورة الواقعية في المجتمع المصري؛ حتى وإن كانت كما هي في أولاد حارتنا صورة عبثية، المرأة عند نجيب محفوظ عامل مكمل وأساسي؛ لأن هناك العديد من روايات نجيب محفوظ التي تحمل أسماءً نسائية.

وأخيراً، وكما ذكرت في مكان سابق، على الدارسين البحث والتقصي في دور المرأة في أدب نجيب محفوظ لعلنا نصل إلى رؤية حديثة تتفق ومعطيات هذا الأديب العملاق ومعطيات هذا العصر والتقلبات الموجودة في هذا العصر ومن أهمها عند نجيب محفوظ إيمانه بالوفدية وتحوله إلى الاشتراكية في رواية أولاد حارتنا والحرافيش وغيرها من الروايات، حيث نجد أن المرأة تلعب دوراً اشتراكياً في المجتمع العربي المصري، وهذه وجهة نظر أضعها أمام القارئ والدارس.

القيمة التاريخية والمادية للشخصية المصرية من خلال قتل عواطف رغم تضحيتها بالزواج من عرفة.

إن الحديث عن دور المرأة وتحليل دور المرأة في رواية أولاد حارتنا أتمنى أن يتصدى له الدارسين؛ لأن نجيب محفوظ أعطى المرأة مساحة كبيرة من هذه الرواية وهذه المساحة ذات ألوان متعددة منها اللون الإيجابي والسلبي ومنها المجبر ومنها المختار أي إنها أدوار مرسومة بطريقة ليست بعيدة عن الحياة.

فالنماذج النسائية التي قدمها محفوظ في رواية أولاد حارتنا نماذج أرى أنها ليست بعيدة عن أي مجتمع رغم عبثية الطرح، والبناء في هذه الرواية وهذا يقودنا أيضاً إلى عبثية الشخصية النسائية عند نجيب محفوظ في أولاد حارتنا وهي عبثية واضحة المعالم من خلال العلاقة السريعة التي تنشأ بين الطرفين أعني الذكر والأنثى أو لرجل والمرأة، فنجيب محفوظ يقدم هذه العلاقة بطريقة شبه عفوية، ولكن من خلال أحداث عبثية، على سبيل المثال، فلقاء أميمة مع أدهم في البيت الكبير لم يكن مرسومًا، وإنما كان عبثياً حيث أن أدهم كان يعزف الناي وشاهد ظل امرأة تقف خلفه فالتفت إليها وحصل بينهما ما حصل من زواج وخلافه، وينطبق هذا الحدث بشكل آخر وبصورة أخرى على علاقة قدرى وهند، وأيضاً علاقة جبل وشفيفة إلى آخر العلاقات الثنائية في أولاد حارتنا،

"أولاد حارتنا" بين الواقعية والعبثية

الفصل الثاني عشر

أسماء وأماكن

من البصر إلى السمع إلى آخره ،
والاسم كما هو واضح مستمد من
الجبل فالجبلأوي هو صفة لكلمة
الجبل أو شيء ما قريب من الجبل
فيوصف بأنه جبلاوي، والشخصية
أعني شخصية الجبلاوي أعطاهـا
محفوظ كل أو معظم صفات
الجبل الشامخ في آرائه وحدة
نظره وقسوته وعناؤه ناهيك عن
التحولات التي يمر بها هذا الجبل
من كبر الحجم إلى الاندثار أو
الموت من خلال زلزال يحدث وهذا
ما حدث لشخصية الجبلاوي الذي
عمر أكثر من مائة وخمسون سنة
كما تقول الرواية وهو عمر عبثي
وافترضني، لكن في النهاية إن
هذا الجبلاوي قد تحول إلى شيء
منسي، وأنه مات وانهار كغيره من
البشر فلا حجمه ولا بصره ولا
قوته أعطته حق الاستمرار لأنه في
النهاية هو إنسان عبثي من خلال
تعامله مع أولاده وخاصة مع أدهم
الذي طرده وزوجته خارج البيت،
كما فعل مع إدريس، والطرد هنا
جاء من الشخصية الحادة التي
تنطبق مواصفاتها على الجبل
وضخامته أو الجبلاوي بشخصه،
وهذه الشخصية هي مفتاح لمعظم
شخصيات الرواية بل أكاد أقول

الواقعية والعبثية بالأسماء والأماكن
عند محفوظ

مرة أخرى نتحدث وبشيء من
التفصيل في أدب العبث أو أدب
اللامعقول إن كان مسرحاً أو رواية
أو شعراً والحديث الذي نحن بصدد
مستمر عن رواية العملاق نجيب
محفوظ، في روايته أولاد حارتنا من
خلال هذا الفصل الذي نحاول أن
نتعرف على عبثية الأسماء والأماكن
التي اختارها محفوظ لروايته أولاد
حارتنا، فلولهة الأولى نجد أن
تاريخ أحداث الرواية غير محدد
بشكل قاطع، ولكنه يقع في الفترة
بين بناء مدينة القاهرة ومحاولة
الإنسان في اكتشاف الديناميت،
فأحداث الرواية التي تمتد بين مائة
 وخمسون إلى مائتي سنة تقريباً
تدور في منطقة مصرية تعرف
باسم جبل المقطم وما يحيط به من
أحياء ابتداءً من البيت الكبير الذي
يسكنه الجبلاوي تلك الشخصية
العبثية التي بدأها محفوظ من
خلال الاسم بالضخامة والقوة
البدنية أو قوة الرأي وذلك من
خلال وصفه للجبلاوي بأنه أكبر من
الإنسان العادي، وأنه يتمتع بحواس
غاية في الدقة والحدة ابتداءً

موجودة في المجتمعات، ولكن نجيب محفوظ أتجه إلى هذه الخطة دون إقناع في أن الزواج القائم على تغطية العيوب قد يؤدي إلى نتيجة إيجابية بمعنى إن ياسمينا رغم زواجها من رفاعة استمرت في خيانتة مع عشيقها الفتوة أي أن نجيب محفوظ يريد أن يقول أن الرذيلة موجودة في المجتمع حتى وإن وجدت التضحية، وهذه مسألة نسبية في الواقع، ولكنها عندما نعالجها عبثيا تكون مقبولة بل ومقبولة جدا، فأدب العبث دائما يؤكد تصديق ما لا يمكن تصديقه في الحياة لأننا نرى في شخصية ياسمينا استمرار الفساد في المجتمع رغم محاولة الإصلاح الذي يقوم بها رفاعة ورغم التضحية بزواجه منها، والغريب أن رغم الأجواء العبثية نجد أن الحالات الزواج التي تمت في الرواية، جبل من شفيقة ورفاعة من ياسمينا وقاسم من قمر كلها تتم بصورة جميلة قادمة من الحارة المصرية والزفاف المصري المعروف في المناطق الشعبية من مصر المحروسة، وهذا جانب خلط به نجيب محفوظ بين واقعية الحدث وعبثية النتيجة لأننا نجد أن زواج جبل من شفيقة كان زواجا تقليديا بحثا نتج عن حب من النظرة الأولى بين جبل وشفيقة عندما رآها أول مرة عند سبيل الماء، وتم الزواج بطريقة تقليدية حيث اقتنع الأب بجبل وتم الزواج بشكل سريع دون

إنها هي الخلفية لجبل من بني حمدان، و لرفاعة، ولقاسم من حي الجرايع، فهذه الشخصيات التي جاءت جبل بعد جبل تحمل صفات الدعوة إلى إصلاح المجتمع وإلى التتوير وإلى محاربة الظلم والفساد، ولو أخذنا هذه الشخصيات بشيء من التفصيل فسوف نجد أن جبل وهو من بني حمدان الذي تسبب في قتل أحد الفتوات وهرب إلى منطقة قريبة من الحي الذي يسكنه، وتعرف على لاعب الأفاعي الذي علمه نفس الحرفة، وبالتالي فإن المعجزة التي جاء بها جبل إلى مسقط رأسه لم تكن معجزة خاصة بجبل إنما هو تعلمها من ذلك الرجل الذي هو أساسا من بني حمدان وتزوج جبل من ابنته شفيقة، وهنا نجد تأثير الجبالوي على شخصية جبل بأنه طلب منه أن يقف في وجه الظلم ويحارب مع جماعة بني حمدان ويسترد حقهم في الأموال التي أخذها الأفندي مع فتوات الحي، ونجد أن نفس الخط يسير مع رفاعة الذي أيضا يتعلم طريقة استخراج العفاريات أو بعبارة أخرى تطهير الإنسان من العفاريات أو من الأرواح الشريرة ويدعو إلى محاربة الفساد وأيضا يعمل على التضحية بزواجه من ياسمينا التي وضعها نجيب محفوظ كعنوان للرذيلة في المجتمع، ودفع رفاعة إلى أن يتزوج منها من باب التضحية ومن باب المثالية التي هي نادرا ما تكون

أن نرى ردة الفعل عند شفيقة من حيث الحب ومن عدمه.

أما وزاج رفاعة من ياسمينه فهو زواج الإنقاذ، فقد حاول سكان الحي أن يقوموا بقتل ياسمينه لأنها تسير في طريق الخطيئة، لكن رفاعة في سبيل إنقاذ هذه المرأة، تقدم لها وتطلب الزواج منها لينقذ حياتها وهو موقف لو ربطناه بالشخصية المصرية في ذلك الوقت فهو لن يتم إطلاقاً وبأي شكل من الأشكال، فالقيم الأخلاقية والشرف والسمعة من سمات الإنسان المصري، والقتل هو النتيجة الطبيعية لموقف امرأة مثل ياسمينه في الحارة المصرية، لكن عبثية الحدث دفعت محفوظ للتضحية غير المنطقية في سلوكيات الإنسان المصري، في هذا العصر فما بالك لو رجعنا إلى أكثر من ١٠٠ سنة في مصر المحروسة، أو أكثر من ذلك، لأن -كما ذكرنا- الشخصية المصرية كما هو معروف شخصية عربية غيورة جداً في أمرين لا ثالث لهما الدين والشرف، وهذه قضية لا يختلف عليها اثنان في المجتمع المصري، إذن الخطوة الذي أقدم عليها رفاعة حسب معطيات الشخصية المصرية والمجتمع المصري هي خطوة عبثية مائة بالمائة ولا أقول مثالية.

ونأتي إلى زواج قاسم الراعي البسيط الفقير وزواجه من المرأة الثرية قمر التي تكبره سناً، وهنا

يعزف نجيب محفوظ على وتر الحب من المرأة التي وجدت في قاسم شاباً يافعاً قد يعطيها الكثير من الحب الذي فقدته في زواجها السابق، وهنا أتساءل أيضاً حسب معطيات المجتمع المصري هل الإنسان المصري يضحي بشبابه في سبيل الزواج من امرأة أرملة وكبيرة في السن لأنها ثرية فقط؟ أيضاً لو عدنا إلى تاريخ المجتمع المصري إن مثل هذه الصورة إن لم تكن معدومة مائة بالمائة فهي نادرة الحدوث لكن أيضاً عبثية الحدث تدفعنا إلى أن نفرض النظر عن المثالية في التعامل مع المرأة ومع المجتمع لأن زواج قاسم من قمر حسب أيضاً معطيات المجتمع المصري حالة غير طبيعية وحالة عبثية -كما أراها- قد تحدث ولكن أشك في أنها تكون موجودة في المجتمع المصري قبل مائتي سنة، وهذه قضية إذا أخذناها بواقعية فهي تحتاج إلى كثير من الدراسة ولكن لو تعاملنا معها كحدث عبثي فالأمر مقبول بل ومقبول جداً.

حيث إننا نرى أن زواج قاسم من بدرية وهي أصغر منه سناً أمر مألوف جداً في المجتمع المصري، ولا أجد في زواج قاسم من بدرية أي عبثية أو أي غضاضة لأن زواج الكبير في السن في المجتمع المصري أمر مألوف ومقبول، لذلك نجد أن هناك فرق بين معقولية الزواج في حالة قاسم وبدرية وعبثية الزواج بين قمر وقاسم.

أم هي الاشتراكية أم هما الاثنان معاً؟ وأكاد أذهب إلى أن الشخصية النسائية في هذا الجزء من الرواية وهي شخصية عواطف كما ذكرنا في مكان سابق من هذه الدراسة هي مصر، وهنا أجد أن شخصية نجيب محفوظ الوفدية وعشقها لمصر وخوفه عليها دفعت ارتباط عرفة بعواطف كما عمل هذا العملاق على موت مصر أو الشخصية المصرية خوفاً من الاشتراكية الشيوعية رغم أن حنش قد أخذ الكراسية وهرب بها من منطلق الحفاظ على الطرح الاشتراكي أو الشيوعي في المجتمع المصري، لكن موت عواطف كما يبدو لي أو كما يبدو للكاتب هو محاولة عبثية لرفض النهج الاشتراكي في المجتمع المصري الوفدي الذي ينتمي إليه نجيب محفوظ، وهذا التفسير لو نوقش عند صدور الرواية لاختلف الوضع ولتغيرت المفاهيم، لكن يبدو أن النقاد تعاملوا مع هذا الجزء من رواية أولاد حارتنا على الشيء من التضحية الرومانسية أعني موت عواطف، لكن في الحقيقة هو هروب عبثي من المؤلف عن النهج الاشتراكي الشيوعي رغم الطرف الآخر دفع نجيب محفوظ إلى أن النهج الاشتراكي كتطبيق قد هرب به حنش ليتم تطبيقه في يوم ما على المجتمع المصري.

إن التناغم بين الشخصيات الأساسية في أولاد حارتنا والاختلاف هو

وينتقل بنا نجيب محفوظ إلى بدايات عصر الثورة العلمية والقضاء على حرب النبوت باختراع المادة المتفجرة أو الديناميت على يد عرفة الذي هو الثورة العلمية أو هو العلم، أو هو السلاح الحديث، واسم الشخصية كما هو واضح مستمد من مادة (عرف) أي علم، علم الشيء أو هو العلم نفسه، وهو إسقاط عبثي واضح من أن نجيب محفوظ يريد أن يقول أن تلك الشخصيات التي غيرت في المجتمع المحيط بأمكن أحداث الرواية ابتداء من جماعة الحمدانيين وجماعة رفاة وحي الجرابيع، إن العلم هو الوسيلة لتغيير هذه المجتمعات وبناء حضارة تقوم على العلم، وهنا يأتي نجيب محفوظ وينتقل بشكل مباشر إلى الدعوة إلى الاشتراكية أو الشيوعية الاشتراكية؛ لأن عرفة شخصية تؤمن بالماديات وهو النهج الشيوعي الاشتراكي والذي -كما ذكرنا في مكان سابق في هذه الدراسة- المحاولة التي حاول النظام المصري بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن يعمل على تطبيقه وتحويل المجتمع المصري من مجتمع رأسمالي إلى مجتمع اشتراكي يؤمن بالماديات أكثر مما يؤمن بأي شيء آخر.

والإسقاط العبثي في شخصية عرفة مستمدة من سؤال يطرحه نجيب محفوظ بشكل مستتر وغير علني وهو هل العلم هو الطريق الصحيح نهضة الأمم والشعوب

الخاتمة

وأخيراً أجد أن الكاتب يذهب إلى الوصف الذي وضعه نجيب محفوظ للحارة المصرية، فكما اتفقنا، فإن أحداث الرواية تدور في عهد أو في عصر الإسلام أي أن المجتمع المصري كان مجتمعاً مصرياً والدين الإسلامي دين يدعو إلى النظافة.. نظافة المكان ونظافة البدن ونظافة النفس، هذا هو الواقع، لكن الطرح العبثي الذي طرحه نجيب محفوظ في أولاد حارتنا نجده عكس ذلك تماماً فالحارة المصرية مليئة بالقاذورات والفئران والقطط والكلاب وأكوام الزباله وكأننا في مجتمع لا يمت إلى الإسلام بأي صلة، فالأطفال عرايا وشبه عرايا والقمل والذباب يملأ الرؤوس والأفواه، والكلاب والقطط تتبح وتموء بحثاً عن الأكل، بمعنى آخر أن مجتمع أولاد حارتنا في المناطق الثلاث التي أوردتها نجيب محفوظ حي جبل، وحي رفاعه، وحي قاسم كلها أحياء بعيدة وبعيدة جداً عن نظافة المجتمع الإسلامي ناهيك عن المجتمع المصري، لكن كما ذكرنا أيضاً في مكان سابق من هذه الدراسة أن الطرح العبثي يعطي المؤلف أو الكاتب ما لا يعطيه لغيره فالحارة المصرية في رواية أولاد حارتنا هي حارة عبثية بكل المقاييس، فلا نظافة ولا مياه، ولكن مقاهي مليئة بالشيشة والدخان

تتأخم مبني على العبثية الصرفة والاختلاف مبني على عدم القبول بمثل هذه الشخصيات في الحياة العامة أي إننا لو ذهبنا إلى المجتمع المصري في زمن أحداث أولاد حارتنا فإننا لن نجد شخصية كالجبلاوي ولن نجد شخصية جبل، ولا رفاعه ولا قاسم، كلها شخصيات تقوم بأدوار عبثية رسمها المؤلف بشيء من الذكاء ليقدم النهج السياسي في مصر في ذلك الوقت بالإضافة إلى الشخصيات الثانوية، المساندة الأخرى وهم المعلمون أو الفتوات والأفنديات، كذلك شخصية هدى التي حاول نجيب محفوظ أن يعطيها دوراً بشيء من القدسية، ولكنه في النهاية فشل بأن تكون تلك المرأة التي تضحي في سبيل جبل الذي أحبه كابن لها ورضخت لأن تكون تحت سيطرت زوجها الأفندي، ومن الواضح أن هدى كانت شخصية سلبية اتجأ جبل رغم محاولات بسيطة جداً حاول نجيب محفوظ أن يجعل منها أما حنونا لكن التمسك بالتقليدية المبنية على عدم الإيمان ورفض الجديد دفعت هدى للانصياع وراء زوجها وإعطاء جبل ظهرها رغم الحب الذي كانت تكنه له كأم، وهذه الجزئية فيها من العبثية، أستطيع أن أقول، التاريخية الشيء الكثير ولا أريد أن أذهب إلى تفاصيل أكثر.

بين مؤيد ورافض مع العلم أن هي الرواية التي رشحت نجيب محفوظ لجائزة نوبل والتي حصل نجيب محفوظ من خلال هذه الرواية العالمية على تلك الجائزة الكبرى.

إن أدب نجيب محفوظ، كما أرى، لو وضع في الميزان فإن كتابات وروايات نجيب محفوظ في جانب ورواية أولاد حارتنا في جانب آخر، بل هي كما ذكرنا علامة فارقة في تاريخ الرواية العربية المعاصرة.

وفي الختام أقول إن هذه الدراسة هي محاولة على الطريق للتعرف على فكر عملاق الرواية العربية نجيب محفوظ.

تم بحمده وتعالى

والحشيش والأفيون وكل الموبقات. ولو طبقنا هذه الصورة على المجتمع المصري فإن نجيب محفوظ قد أجرم في حق المجتمع المصري مكاناً وشخصية وأحداثاً وزماناً، لأن عكس ذلك هو ما يتمتع به المجتمع المصري، المياه موجودة والنظافة موجودة والألفة والتعاون موجود، والذين يتعاملون مع المخدرات والحشيش والشيشة هم القلة، نحن نتكلم عن الغالبية ولا نتكلم عن الأقلية، لكن الرؤية العيبية تدفعنا لأن نتعامل مع الأقلية ولا نتعامل مع الأكثرية.

إن رواية أولاد حارتنا تظل علامة فارقة في الأدب الحديث رغم ما كتب عنها ورغم ما أثارت من ضجة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

دراسة أسلوبية في "قنون الجنون"

بقلم: د. عبد السميع الأحمد *

يقول الشعراء: إن أعين النقاد لا تقع في النص إلا على العيوب والعثرات، ويقول النقاد: إن العين الناقدة تقع أول ما تقع على البارز البادي، إيجابيا كان أو سلبيا، دونما رصد مقصود لإبراز السلبيات أو الإيجابيات.

وأقول: إن الناقد البصير ليس من يلحظ البارز البادي في النص، فهذا حظ مشترك بين السواد الأعظم من الناس، بل هو من يغوص في أعماق النص؛ لاستكناه الدقائق، ورصد المسيرة، واكتشاف ما لا تقع عليه العيون الأخرى.

والحقيقة أنني، ومن خلال عملي في المعجم الشعري العربي المعاصر، سئمت لي فرصة الاطلاع على محاولات شدة الشعراء المعاصرين، وبخاصة الشباب منهم، فوقع منها على نصوص وأعدة، ولمحات مشرقة، تؤكد أن الشعر العربي الفصيح قد يخبو ويكبو، ولكنه لا يموت أبداً، ولذا فإن من واجب النقاد أن يشجعوا هذه الأقلام، ويأخذوا بأيدي هؤلاء الشباب الذين يستشرف لهم مستقبل شعري واعد، ليجدوا لأنفسهم مكاناً مرموقاً تحت قبة السماء.

بين يدي نص شعري، لشاب كويتي هو الشاعر سالم خالد بن ساير الرميضي، جمعتني به أمسية شعرية من أماسي رابطة الأدباء الكويتيين، فاستفزني أداؤه وكلماته، وأثارني صدقه ورقته، واستوقفتني منه قصيدة تلاعب بها، فألقاها مرة فصيحة خيلية، وألقاها مرة أخرى شعبية نبطية، دون تغيير في لفظة أو حرف، إنما هو الأداء والتغيم والنبر والصوت.

راقت لي هذه المحاولة الفذة، واجتذبتني جدتها وفراستها، فارتأيت أن أعقد حول هذا النص دراسة أسلوبية نقدية، علها تمنح شبابنا دفعة لتقدير إبداعاتهم، وعرض مقارباتهم، واخترت النص بقراءته الفصيحة، تاركاً لذوي الخبرة من متذوقي الشعر الشعبي النبطي دراسته والتعليق والتعقيب عليه.

وبين يديكم النص، حاولوا قراءته باللغة العربية الفصيحة تارة، وباللهجة العامية الشعبية النبطية مرة أخرى:

* أكاديمي من سوريا مقيم في الكويت.

تغنّى الطير من فوق الغصون
وهاج القلب وانطلقت فنوني
وغنيت القصائد والقوافي
على الأحباب لما فارقوني
رموا قلبي وهم كانوا علاجي
وفي نار التوجع حرقوني
هواهم مالك قلبي وعقلي
وذكراهم تحرك لي شجوني
ولو أنسى هواهم ذكرتني
خيالات لهم بين الجفون
أحن لهم ويذبحنى حنيني
وهم يا ليتهم لو ينصفوني
ولو اني خطرت لهم بذكرى
خيال عابر لو يذكروني
تعافى من هموم الصد قلبي
ومن سهد الليالي حروني
لهم نبضي وأشواقي وحبى
تضن في هواهم بالجنون
"فنون الجنون" قصيدة شعرية تأتي
ضمن غزليات الذكريات، تحكي لنا
قصة تستدعى إلى المشهد الحالي من
مرفأ الذاكرة الغابر كلما أثارها مثير،
أو هاجها داع، أو هزتها رياح رطبية.
هذه الخيالات المستكنة في الوجدان
ما زالت جميلة ومحبة لنفس
الشاعر التي تتوق إلى استعراضها
واستذكارها، بل وربما إسقاطها على
واقع جديد، وظروف جديدة.
النص جاء - كما هو واضح - اتباعياً
كلاسيكياً من حيث الفكر والعاطفة
والنمط والموسيقا، وليس ذلك

بمستغرب على شاعر ينتمي لتيار
تقليدي محافظ، ما زال صامداً أمام
طوفان الحداثة الجارف. وما محاولة
شاعرنا في ابتداع هذه الطريقة
الفذة التي تربط الشعبي بأصالته
إلا نمط من الالتزام بهذه التقاليد
العربية التي يعتز ونعتز بها.
أقول: وبرغم هذه النزعة الاتباعية
في النص إلا أن الشاعر حاول عبر
العنوان الذي اختاره لقصيدته أن
يرسل إشارات في غير هذا الاتجاه،
ف "فنون الجنون" عنوان حافز
ومستقطب وباعث على المجازفة،
يستفز قارئه للبحث واستكناه ما
وراء الكلمات. وقد تميز كثير من
الشعراء بإرسال مثل هذه العنوانات
المهيئة، وكأنهم يستذكرون المثل
العامي القائل: (يُعرف المكتوب من
عنوانه)، ولكن الحقيقة تقول: ما
لم يكن خلف العنوانات الجذابة
شاعرية/فنية، وصورة مبتكرة،
وعاطفة متوقدة، وموسيقا هامسة،
فإن ذلك لن يهب الجمال والخلود
للنص، وستفطت العين والحس من
جاذبيته شيئاً فشيئاً، كما يتفطت الآل
من بين يدي الظامئ الصديان.
فهل سنجد وراء "فنون الجنون" فناً
حافزاً، ولغةً مسيطرة، وإحساساً
ناعماً لدنا يقتص اللحظة، ويحفز
على المتابعة والتلقي؟
يبدأ الشاعر نصه بشدو الطيور
على الأغصان، وهذه صورة تقليدية،
ارتسمت في الذهنية العربية باعثة
ذكريات النفوس، ومهيجة لواعج
القلوب. فالبيت الأول يضعنا على

هنا ميزة خاصة، فـ"لو" حرف امتناع لامتناع، فكأن الشاعر لا يقبل مجرد مرور النسيان :

ولو أنسى هواهم ذكررتني

خيالات لهم بين الجفون

أما مزية كلمة "الجفون" فتأتي من أن الجفنين متصلان بالعينين، فهما جزء من حاسة الرؤية، بينما الخيالات جزء من "الرؤيا"، وباجتماع "الرؤية و"الرؤيا" تكون الذكرى رأي العين لا مجرد ذكريات.

لقد اعتاد الشعراء أن يظهروا دائما بصورة الأوفياء المخلصين، بينما الطرف الآخر يتدلل ويتمتع، وربما يخون وينسى، وهكذا برزت العلاقة بين شاعرنا وأحابيه، يقول:

أحن لهم وينبجني حنيني

وهم ياليتهم لو ينصفوني

ومن اللافت البارز في النص -على قصصهم- فشو أدوات التمني "ليت" و"لو":

ولو أني خطرت لهم بذكرى

خيال عابر لو يذكروني

إن صيغة التمني المتكررة تبرز لنا إجحاف الطرف الآخر وصده، ويعمق الشاعر هذه التمنيات باستعمال "لو" الشرطية، وهي حرف امتناع لامتناع، وكأنه غير واثق بعودة المياه إلى مجاريها، ولو حدث ذلك لـ"تعافى" من هموم الصد قلبه، ولحرروه من سهد الليالي.

ولكن، ومهما يكن من أمر، فالحب يظل وفاء وعهدا، أيا كان موقف الطرف الثاني، فالشاعر تكفيه

حافة التذكر، حيث الطائر يشدو فيتجاوب معه القلب، وكأننا إزاء إشارة بث واستقبال: الطائر يتغنى على غصونه، فيهيج القلب، وينطلق الشاعر يغني قصائده وقوافيه في استذكار أحابيه الذين فارقوه، ولم يخل حسهم من ذاكرته.

وهنا قد يختلف بعضنا مع الشاعر، فالغناء في الذهن العربي، سواء كان غناء طير أم غناء قصيد، مرتبط بالفرح، ومتصل بالسعادة، ونحن أمام نص حزين وذكريات شجية، وقد يدفع الشاعر عن نفسه بقوله: ليس الغناء فرحا على الدوام، فنقول: ربما، وإن الشاعر قد اعتمد المباشرة في لغته، وابتعد عن الانزياح والعدول.

وهو يصبر أن يتغنى على فراق الأحبة رغم الجراح والآلام:

وغنيت القصائد والقوافي

على الأحباب لما فارقوني

فهو لا يزال يحس بالأمل والرغبة في استدعاء الماضي البهيج، ومن هنا فهو يعيش ثنائية بين دمة الفراق وبسمة الأمل:

رموا قلبي وهم كانوا علاجي

وفي نار التوجع حرقوني

إن الشاعر صادق الرغبة بمحبة الطرف الآخر، فهوهم يملك قلبه وعقله، وذكراهم تحرك له شجونه، وهو لا يستطيع الانفكاك عن ذكراهم، وإن حدث ذلك فإن خيالاتهم الساكنة بين الجفون لن تمحى، ولاستعمال "لو" و"الجفون"

تجربته التي عاشها، وكيفيه أن يعلم
المحبوب صدقه وإخلاصه ووفاءه:

لهم نبضي وأشواقى وحبي

تفانٍ في هواهم بالجنون

إنه جنون الحب الذي يجري مع
العروق، فلا فكاك ولا خلاص
منه... إنه فتون الجنون.

المميزات الأسلوبية في النص

بعد هذا التطواف العام حول النص،
سنوقف عند بعض الخصائص
والمميزات الأسلوبية، ولن أتعلم
كثيرا في هذه الخصائص، بل
سأتناول البارز منها، ومن أهم ذلك:

- المعجم الأدبي الشعري للنص.

- المستوى التركيبي للنص.

- السمات المميزة لنظام التمثيل.

- التشكيل الموسيقي في النص.

١- المعجم الأدبي الشعري للنص

المعجم الشعري هو لغة القصيدة،
وهو الجدول الذي يختار منه الشاعر
الكلمات التي تؤلف لغته الشعرية،
وقارئ النص هو الذي يجري
الحركة القرائية داخله ليلم خيوط
هذا المعجم الشعري لهذا الشاعر،
فهو شكل من أشكال إنتاج الدلالة
النصية، وبالطبع يخضع المعجم
الشعري لمبدأ الإفادة إذ لا يمكن أن
نعد جميع الكلمات معجما، بل ينبغي
أن نستمع إلى اختيار الشاعر نفسه،
وإلى الأقطاب الدلالية التي يستمد
منها معجمه.

وفي نصنا نجد الشاعر قد استمد
لغته من المعاجم التالية:

أ- المعجم الفني:

ويمكن أن نسلک في هذا الباب من
الكلمات:

فتوني - القصائد - القوافي -
خيالات - خيال.

ب- المعجم العاطفي:

ويمكن أن نسلک في هذا الباب من
الكلمات:

شجوني - أحن - حيني - ذكرى
- نبضي - أشواقى - حبي -
هواهم.

ج- معجم السعادة:

ويمكن أن نسلک في هذا الباب من
الكلمات:

تغنى - غنيت - علاجي - تعافى -
حرروني - هاج القلب - انطلقت فتوني.

د- معجم الألم:

ويمكن أن نسلک في هذا الباب من
الكلمات:

فارقوني - رموا قلبي - نار التوجع
- حرقوني - شجوني - يذبحني -
لو ينصفوني - لو يذكروني - هموم
الصد - سهد الليالي.

وبحساب بسيط نجد أن المعجم الأدبي
للشاعر في هذا النص يتمحور حول
العاطفة بمعناها الواسع، ومن ثم فقد
اتسعت دائرة المعجم العاطفي وما
يتبعه من سعادة وألم. ولأن الشاعر
يسيطر عليه الحزن فقد طغى معجم
الألم على النص، واستغرق معظم
كلماته وتعبيراته، وهذا متوقع من
شاعر شاب، طوّحت به تجربة قاسية
وهو في مقتبل عمره.

٢- المستوى التركيبي للنص

يعتمد المستوى التركيبي للنص على تتبع المستوى الجملي فيه، وتحديد العنصر المهيمن، ثم رصد سيطرة الأسماء أو الأفعال، بالإضافة إلى مدى التنوع في أسلوب الضمائر، وأخيراً ما يعتري التركيب من خروقات لغوية بالتقديم والتأخير والحذف.

"يتشكل البناء التركيبي للنص من نمطين من الجمل: نمط الجملة الفعلية وقيودها، ونمط الجملة الاسمية وما يتعلق بها . وفيما يخص النمط الأول فإنه يكشف لنا عن الجانب الحدتي في النص ، وعن الفضاء الزمني الذي يؤطر مستويات النص الدلالية ، أما النمط الثاني فإنه يعكس لنا الجانب التقريري الإخباري لما يعتقده المتكلم بأنه ثابت وبقيني" (١)، ومن خلال نظرة إحصائية لهذا المستوى نجد أن الجملة الفعلية هي العنصر المسيطر على النص المدروس، فالجمل الفعلية شكلت النسبة الكبرى في نظامه، حيث بلغت (١٨) جملة، بينما الجمل الاسمية شكلت (٥) جمل لا غير.

وبرصد العنصر المهيمن في الأفعال نجد الفعل الماضي مسيطراً، فبينما اختفى فعل الأمر مطلقاً نجد أن الأفعال الماضية شكلت (١٣) فعلاً، والأفعال المضارعة (٥) أفعال، وهذا ما يؤكد أن مقام النص يوحى بوصف معاناة الذات، والتركيز على الجانب الحدتي الذي ولد هذه المعاناة، وللدلالة - كذلك - على عدم ثبوت واستقرار حالة الشاعر.

أما سيطرة الفعل الماضي على النص فهي مبررة ومنطقية في ظل حالة الاسترجاع التي يستذكر بها الشاعر أحداثاً سالفة شغلت تفكيره حيناً من الزمن، وهو يحاول استجلابها عبر سيل الذكريات.

وقد يتساءل أحدهم: ما دام المقام يدور حول الذكريات فما شأن إقحام الفعل المضارع بدلالته الحاضرة والمستقبلية في النص؟

وفي الجواب أقول: صحيح أن الشاعر يمتح من ماضي الذكريات، إلا أنه يرغب بقوة أن يعايش هذا الماضي، ولو أملاً، في حاضره ومستقبله، ويظهر ذلك جلياً من خلال هذه التعبيرات: (ذكرهم تحرك لي شجوني) و (أحن لهم) و (يذبحني حنيني)، إنه يعيش الماضي ماثلاً أمام عينيه: حزناً وألماً.

وعلى مستوى بنية الضمير، فإننا نجد ثلاثة أنواع من الضمائر تحيل على مرجعية الخطاب داخل النص، وتعمل على تحقيق الربط بين مستوياته الدلالية، وهي: ضمير الغائب وضمير المتكلم وضمير المخاطب.

ومن خلال الحساب العددي لبنية الضمير نجد أن الشاعر رآوح بين ضميري المتكلم والغائب، ولم يعمد إلى ضمير الخطاب؛ لأن المقام مقام سردي، أما اعتماده على ضمير الغيبة فيوحي بقيمة سردية تجلت معالمها من خلال تكرار الفعل الماضي: رموا قلبي- حرقوني... كل ذلك للتأكيد على أن زمن إنتاج النص يجسد لحظة الوقوف أمام

الذات لاسترجاع حلم غائر في الزمن.

وفي الجدول التالي نسبر حركة الضمير في نسق سيرورة النص:

أ- ضمير المتكلم:

انطلقت فنوني - غنيت - فارقوني
- قلبي - علاجي - حرقوني - قلبي
وعقلي - لي - شجوني - أنسى -
ذكرتني - أحن - يذبحني - حنيني
- ينصفوني - أني - خطرت
- يذكروني - قلبي - حرروني -
نبضي - أشواقني - حبي.

ب- ضمير الغائب:

فارقوني - رموا - كانوا - حرقوني
- هواهم - ذكراهم - هواهم -
لهم - هم - يا ليتهم - ينصفوني
- لهم - يذكروني - حرروني - لهم
- هواهم.

ومن خلال الرصد العددي نتبين أن ضمائر المتكلم شكلت (٢٤) ضميراً، بينما شكلت ضمائر الغائب (١٧) ضميراً، وفي هذا دلالات، فالتقارب العددي بين ضمير المتكلم، ويمثله الشاعر، وضمير الغيبة، ويمثله المحبوب، يؤكد حالة التماهي بين المعشوقين، ويبرز الاندماج بينهما، وإن كنت أجد أن "الأنا" عند الشاعر كانت متفوقة على الآخر؛ بدليل الزيادة العددية في ضمير المتكلم، وهذا دليل واضح على المظلومية التي يحس بها الشاعر، وحاجته الشديدة للمسمة حنان، وربما يكون لـ "أنا" الذكورية أثر من ذلك.

وقد حاول الشاعر في معظم النص التزام النسق القاعدي

للجملة العربية دون اختراقات، ومع ذلك فقد استعمل تقنية التقديم والتأخير، وإن كان ذلك على خجل، نجد ذلك في مثل:

(وفي نار التوجع حرقوني)، (ومن سهد الليالي حرروني).

وهذا التقديم لا يعد خرقاً لبنية الجملة، لأنه أصبح مكروراً لدرجة أنه لم يعد يثير القارئ، أو يحفز انتباهه، وهو ما نتوخى أن نستمتع به في نص شعري فذ، يكسر النمطية المألوفة للأذن والعين.

ومن الملاحظات التركيبية التي قد تثير النحاة قول الشاعر: (لو ينصفوني) و(لو يذكروني)، فالوجه الأفضل هو إثبات نون الرفع، كما هو معروف، ولكن الشاعر مال إلى التقشف اللغوي فاختر وجهاً إعرابياً آخر، وكأنه يريد أن يبعث لأحبائه برسالة يقول فيها: إنه يقبل منهم أقل القليل، ومن هنا فقد اكتفى بنون واحدة، هي نون الوقاية.

ومن الظواهر التركيبية التي يمكن دراستها في النص صيغ الجمع والإفراد، ومن الملاحظ أن الشاعر أصر في جميع أبيات النص أن يتكلم عن نفسه بصيغة المفرد، وعن الطرف الآخر بصيغة الجمع، وإن كان اختيار الإفراد في الحديث عن الذات مفهوماً، فإن "جمع" الطرف الآخر يحتاج إلى تفسير، ويبدو أن محاولة التعمية التي سلكها الشاعر لإخفاء رسم معالم المحبوب كانت أحد أهم أسباب إثارة صيغة الجمع، ولذلك نجده يهرع دائماً إلى هذه الصيغة

الجمعية "الأحباب"، "فارقوني"،
"رموا قلبي"، "وذكراهم" ...

إن إثارة الشاعر لصيغة الجمع في
التعبير عن الآخر يرقى بالتجربة من
عاطفة فردية، إلى عاطفة جمعية،
وهو ما أضفى عليها سموا ورفعة.

٣- التشكيل الموسيقي للنص

لموسيقا النص أثر واضح في استمتاع
القارئ والمستمع بالكلمات والألفاظ
والعبارات والبحر، وقد اختار الشاعر
لنصه بحرا إيقاعيا جميلا، هو بحر
الوافر بتفعيلاته الهازجة، وحركاته
الراقصة، ولعل ذلك متناسب مع
افتتاحية النص، وهي: (تغنى الطير)،
كذلك يتبين أثر الموسيقى جليا في
القافية النونية، والنون حرف يخرج
من طرف اللسان وما يحاذيه من غار
الحنك الأعلى، ويصاحب ذلك غنة
من الخيشوم، والغنة في الأصل هي
صوت الغزالة التي فقدت ولدها،
فاختيار الشاعر لهذه القافية جد
موفق. أضف إلى ذلك صوت المد بعد
النون، وهو صوت الياء الممدودة الذي
يخرج مع الشهييق والزفير.. فكأنني
بالشاعر وهو يتغنى بالقصيدة، يمد
الياء مدا طويلا، فيخرج ما في
صدره من أحزان وآلام، وكأنه يحاول
تجديد الحياة.

إن حروف المد عموما هي من الحروف
السهلة التي تناسب حالة الحزن
والشوق والوجد، وإن إكثار الشاعر
من هذه الحروف السهلة يناسب بلا
شك مقام النص؛ لأن الألفاظ السهلة
والرقيقة المكتسبة من الصوت تناسب
اللوعة والذكرى والتألم، فتعطي

مساحة صوتية للتعبير عما يختزنه
الصدر، وتكتفه الحنايا.

٤- السمات المميزة لنظام التمثيل

في السمات المميزة لنظام التمثيل
ندرس عادة ما يسمى قديما بلاغة
النص من صور فنية، ومحسنات
بديعية، وأساليب بلاغية، وغير ذلك.

والحقيقة أن هذه السمات لم تعد
وحدها تشكل جمالية النص في
ظل الدراسات الدلالية والأسلوبية
الحديثة، ومع ذلك فإن كثيرا من
الشعراء والنقاد ما زالوا يلبسون
هذه العباءة، ويستظلون بضيء هذه
الدوحة، ولذا فإنني سأعرض لها
سريعا دون تعمق.

يطالعنا من النظرة الأولى للنص
عنوانه المعبر: (فنون الجنون)، وقد
سبق لي حديث عن هذا الجانب،
والذي يهمننا هنا هو الصورة
المبتكرة ذات الإيحاء بالحالة التي
يعيشها الشاعر، وهي حالة الضياع
إزاء استجلاب ذكريات الأمس، وقد
ترك العنوان الحالة مفتوحة على
شتى الاحتمالات المتوقعة.

وبعد هذا العنوان الجاذب الخلاق
جاءت أغلب الصور من النوع
التقليدي المكرور، من مثل:

(يذبحني حنيني) و (تعافى من
هموم الصد قلبي) .

وغياب الصورة الواضح يصح
أيضا على غياب الرمزية المؤدية،
فالقصيدة تكاد تخلو من ذلك
الرمز المعبر، أو اللفظة ذات الإيحاء
الجذاب، أو الغموض المثير، وكما
هو معلوم، فإن المعنى الشعري يحلو

وبعد، فإن الدراسات النقدية للشعراء الشباب محفوفة بالحذر، مكتنفة بالتوجس، فكيف إذا كان النص المدروس لشاعر شاب، أراد أن يعتسف طريقة جديدة على العربية، ويبتكر أسلوباً فذاً في عالم الشعر؟

وللحقيقة أقول:

لقد قرأت لشاعرنا الشاب سالم الرميضي قصائد عديدة في غير هذا الباب الجديد، كانت -بحق- على مستوى راق وعال من القوة والجزالة، ومثل هذا النص الذي عقدنا عليه الدراسة لا يمثل ما عهدته من شاعريته الفذة التي تمكن منها، ولا موهبته الرقيقة التي يتمتع بها.

وبالطبع، فإنني أعزو ذلك إلى هذا "المخترع الجديد" الذي أراد الشاعر أن يدخله على العربية، وهو مرتقى صعب لا يذل إلا للمتمكن من الكتابة؛ لأن الشاعر يضطر فيه إلى كلمات محددة تفرضها عليه المساوقة والمجانسة التي أقامها الشاعر بين لونين مختلفين من الشعر العربي، هما النبطي الشعبي بأسلوبه المميز، وكلماته الخاصة، والفصح الخليلي بأوزانه المعروفة، وطرائقه المألوفة... فهل سنجد لهذه التجربة رائدة من صدى في أوساط شعراء العصر؟

المصادر والمراجع:

(١) نموذج قراءة أسلوبية لقصيدة: حب إلى مطرح - دراسة عبد الرحيم عبد الله مستاكو.

دائماً عندما يتخفى وراء غلالة من الغموض، الذي تبدأ تجلياته تتكشف للقارئ شيئاً فشيئاً، كلما أوغلنا في الغوص، وليس ذلك الذي يسلمك قياده، ويسلس لك من النظرة الأولى.

أما المحسنات البديعية، فقد استعملها الشاعر ضمن سياقاتها الطبيعية، فلم يتكلفها، أو يسع إليها، بل تركها عفو الخاطر، وهذه هي الطريقة المثلى لاستعمال المحسنات، ومن ذلك قوله:

ولو أنسى هواهم ذكرتني

خيالات لهم بين الجفون

فقد جاء الطباق في سياق النص الفني دون إقحام للفظ أو الفكرة.

أما الأساليب الخبرية والإنشائية، فنجد الشاعر قد أثر الأسلوب الخبري التقريري الذي يتناسب مع الجو العام للنص، وأرى أن الشاعر كان بإمكانه أن يفتعل حواراً مع نفسه، أو مع محبوبه، ليخرج النص من نمط السردية إلى حوار ذاتي داخلي.

ولولا أسلوب التمني الذي صبغ النص ل جاء كله سطرًا واحداً مفتقداً خاصية التحول والمراوحة، فقد كسر أسلوب التمني إلى حد ما نمطية التقرير، وأضفى على النص غلالة من الإحساس اليائس الذي خيم على الشاعر، وهو ما يجعل القارئ متعاطفاً مع الشاعر "الوفى" الذي لا يطالب بأكثر من جمع شمل القلوب العاشقة، وهذا ما يأمله الجميع، ويسعى إليه الجميع.

رواية "كان الرئيس صديقي" صرخة ثورية بلغة ملساء ناعمة..

بقلم: أشرف دسوقي علي *

في محاولة للتعاطي مع نص مثل هذا، كانت كل الأفكار تراودني، ولم يكن يبدو أن هناك شيئاً صعب التناول، سوى إشكالية البداية (فالنص ناعم شاعري أملس يراودك حين ملامسته وأنت تظن أنه بين يديك، سهلاً يسيراً مباشراً، وما إن تنتهي من قراءته، وتمسك بالقلم بأصابعك، تراه يراوغك كأنثى تراودها عن نفسها، فتستعصم، رغم ما أعياك من حيل.

هذا النص الصغير حجماً، الذي لا تتجاوز صفحاته ١٣٨ صفحة، يذكرك بإجابة كليماخوس حينما سأله: - لماذا أنت مقل في أعمالك؟، فقال: - إنني مقل في سطوري حقاً، ولكن قد تتفوق ديمتراً على شجرة البلوط الباسقة، ولقد نصحتني أبولو بالقربان الدسم والشعر الرقيق، وقال لي: - لا تقدر عريتك إلا في المسالك التي لم يطرقها أحد من قبلك، وحتى لو كان الطريق عسيراً!.. وهنا لا تجد نصاً صارخاً زاعقاً حماسياً، بل تجده واضحاً لا يرتدأً أقنعة ولا يتمنطق بالشعارات، لا رمزا ولا اصطناعاً للإسقاط تكنيكا للكتابة، لكن ذهنيته المحملة بهوم وطن وزخم قصيدة تمنحه شفافية الرؤية والرؤيا في آن، صنعا تكاملاً بين ماهو ذهني وماهو شعوري ليمنحك عرس الثورة في عدة إجراءات مكثفة.

ومن رأس الرجل الكبير إلى "كان الرئيس صديقي"، نلاحظ تلك الشراكة في جذر العنوانين "الرأس والرئيس" والتي تشي بلاوعي الكاتب الذي يهتم بالقضايا الكبرى والرئيسة، بعيداً عن اليومي والمعيش، إلى القضايا الكبرى التي تشغل الوطن.

يهدي الكاتب روايته إلى سورية قائلاً: - " إلى سورية وهي تعيد ترتيب حروف الأبجدية التي ابتكرتها أول التاريخ فتصبح

ح

ر

ي

ة

* كاتب من مصر.

كان الصوت النسائي متواريا - على مستوى الخطاب - لكنه يعلو على مستوى الفعل والأداء ويتبدى قدرة هذا الصوت النسائي على تحريك الأحداث ودفعها للأمام، فمرام حبيبة راكان التي تحت نورس على نشر الرواية هي واحدة من المحركات الفعلية والأساسية لتطهر راكان الحسيني، رجل الأمن السابق الذي انضم لثورة الشعب الحر في سورية، حتى أنه بلغ في تطهره مساعدة الثوار مثل نوار على الهرب والتخفي، بل واستشهاده هو نفسه قبل نهاية الرواية، كذلك ناريمان جارة راكان التي استخدمها راكان في المرحلة الأولى قبل التطهر - دون أن تعلم - للتجسس على نوار، ثم يستخدمها في تهريب نوار عقب انضمامه لثورة الشعب، فيعتقلها الأمن وتستشهد تحت التعذيب في مفارز الأمن دون أن يستطيع راكان فعل شيء لها.

وبالرغم من خصوصية الشخصيات والأمكنة والأحداث، إلا أنك لا تخطئ تشابها كبيرا مع ما يحدث في أمكنة وأزمنة أخرى، على الأقل في الثورتين التونسية والمصرية، فالسمات التي تجمع كثير من الشعوب العربية سمات واحدة يشترك الجلادون فيها، كما يشترك الضحايا في سماتهم كذلك، فيرصد الكاتب السجان الذي يجلد السجين، ثم تزداد همته حينما يلمح قدوم رئيسه فيزداد في شدة جلده، والمخبر الذي يتمتع بكبير غباء وهو يراقب الهدف، فلا يتمكن من الحصول على المعلومات المطلوبة،

إلا أنه يبتعد عن كل ضجيج، فهو يتعاطى والواقع الثوري وأجواء الحروب، وكأنه يحارب بكاتم للصوت، بعيدا عن أزيز الطائرات وطلقات الهاون، يصور كل ذلك بهدوء، وبقينا أن القارئ لديه كل الوسائل لمتابعة الحدث، ولا نبغي المبالغة في الوصف حتى لا يصل إلى غلو قد يضر القضية أكثر من كونه نافعا لها.

تسعى الشعوب العربية إلى التخلص من نير الظلم والقهر إلى فضاء الحرية والانعقاد، بدأت تونس وتلتها مصر ثم ليبيا واليمن وسورية، وإن كانت الثورة قد نجحت بدرجات في بعض هذه الدول، فإن قسوة بعض الأنظمة وبشاعة مذابحها، وسلمية الثوار في كثير من الأحيان يمنع من تحقق الثورة كما أراد لها صانعوها، إلا أن الكاتب الذي بشر بالثورة في بلاده في أعماله السابقة، مازال يزداد يقينه بثورة شعبه وأن النصر حليفه، حتى أن نهاية روايته تظل مفتوحة على أمل غير محدود.

شاعرية السرد

الكاتب، تشي إيجراماته التي بثها كاليقين عبر سرده بشاعر من طراز فريد، وأنه يمتلك القدرة على التكثيف، مبتعدا عن تفاصيل العمل السردى المفترضة والتي قد يراها البعض أحد العناصر الهامة في العمل السردى، مستخدما أكثر من تكنيك كالمونولوج ودائرية السرد - عودا على بدء - وتداخل الأزمنة والفلاش باك، كما تباينت الشخصيات بين كهل وشاب رجل وامرأة، وإن

يردد دائما -حتى في اللحظات الأخيرة قبل وفاته- "إنه لا يمكن لأحد أن يأتي إلى الدنيا أو يغادرها إلا بإذنه"، ذلك لكونه "مسؤولا عن دائرة المواليد والوفيات"، كذلك هو حفيد لجد كان يعمل دركيا لدى الفرنسيين إبان الاحتلال، وكانت وصيته للأب أن يحث الابن على أن يكون ضابطا، "فالجند الدركي-جندي بسيط - لديه عقدة، يريد تعويضها بأن يكون الحفيد ضابطا، فلاشك أنه كدركي كان يعاني القهر والذل تحت إمرة قادته من الضباط، علاوة على كونه أساسا تحت الاحتلال لوالأب الذي لديه الشعور أن السادية والمازوشية في آن -كأبن دركي وكونه مسؤول المواليد والوفيات، ووالد لضابط، أوصاه أن يقود انقلابا ويتولى السلطة ثم يسلمها للجماهير"، وظل يوصيه بذلك حتى اللحظات الأخيرة من عمره !.

بالرغم من كل هذه الأجواء المتناقضة، بل ربما بسببها، تعلم راكان الحسيني أشياء جديدة، وتغير إلى النقيض تماما، هل هو إحساسه بالضالة أمام الفنان الذي تعشقه الجماهير دون أن يكون لديه أدنى سلطة عليهم اللهم إلا فنه ؟ هل هو حب مرام التي كان يرى النساء نوعين "هن...وأنت ؟"، هل زوجته التي أراها السرد ولم يتحدث عنها إلا بقدر ؟ ربما مواقف ناريمان الشجاعة ؟ وربما نهر العاصي الذي يسير عكس أنهار المنطقة جميعا، فهو ينبع من الجنوب في لبنان ليصب في الشمال ؟ ربما المصادفة العجيبة "كون اسم كل من نورس،

فيتم استبداله برتبة أخرى، حتى هذه لا تغلج، فيتولى العميد الركن راكان المهمة بنفسه !، وحتى راكان نفسه الذي نقل لفرع الأمن لذرابة لسانه حين قال كلمة في حفل زفاف أحد زملاء، فتم نقله إلى فرع الأمن لمراقبة الأدباء والفنانين والمتقنين فهو مثقف وطلق اللسان وقادر على القيام بالمهمة خير قيام، لكنه يقع في "هوى" نورس ونوار رسام الكاريكاتير وعازف الكمان، وبالرغم من محاولته كتابة التقارير عنهما، كان يتسم أداءه بالبطء، لدرجة أن رئيسه سأله "أكتب تقريراً أم تؤلف حكاية ؟" مما أوحى له أن يكتب تلك القصة وأن تخرج للنور، بعد أن ساهم في تهريب نوار العازف، ولكن الأيدي الآثمة اغتالت براءة نوار، وقتلت ذلك القلب الأخضر الذي لا يقل رقة ورهافة عن قلب عصافيره التي أحبها وكان يهبها للحرية والنور، بل لم يسلم راكان نفسه من زملاء الأمس رؤساء ومروؤسين، بعد أن اكتشفت حقيقته، فسعوا للقبض عليه، لكنه قرر المقاومة، واستشهد قبل أن ينشر رواياته على الشعب الذي اعتذر له عما ارتكب في حقّه من جرائم وتطهر بالانضمام والارتواء في أحضان ثواره، ليقتل شهيدا على باب حرية سورية.

ما الذي يدعو رجل أمن متحقق من التمرد على منصبه وسلطوته وهو الذي يخشى الجميع من مجرد ذكر اسمه وقد يقع البعض مغشيا عليه ؟ ما الذي يدعو للنزوح إلى ضفة المجهول، وهو ابن لأب سادي " كان

" الحرية إذا جاعت ، خبزت لها أمهات الشهداء قرص الشمس، كي تولد الحياة من جديد"، تعد أنموذجاً لإيجراما، لا تقل روعة عن تلك التي تعبر عن اجترار رجل الأمن لذكرياته، نادما على ما ارتكبه من جرائم وسفك الدماء وتعذيبه للأبرياء في ظلمة الزنازين الضيقة، واستخدام كافة وسائل التعذيب من صعق كهربائي إلى جلد " أجلس الآن وحيدا كآخر عنقود تدلى، مستوحشا، بعد أن تركه الحصادون، معلقا على عريشة الزمان، لأن عصافير المساء، ثقت ب حياته، فلم يعد صالحا لشيء، ليس الآن، لدي ما أفعله سوى أسترداد ذكرياتي من دفاتر الوقت الذي مضى ". هكذا تشي الإيجرامات بقرار راکان جلد ذاته منفردا وحيدا، ليكفر عن ذنبه، وأن يطلب الغفران من الشعب الذي طالما أرهبه وروعه وعذبه دون ذنب إلا إرضاء للذات المتضخمة " لدى الضابط شعور بأنه إن لم يجد عملا، في ما لو لم يعثر في حياة الناس على ما يدينهم " ويقول:- لو أردنا اعتقال أحد، هل نحتاج لمبرر ؟، إلا أن الروح الشفيقة الذي بداخله، كان يوجهه إلى كعبة الإشراف، " ورغم كل الرهبة التي منحني إياها عملي في الأمن، إلا أنني شعرت بضالتي أمام الفن"

تيمة الموت

من الطبيعي في هذه الأجواء الثورية أن يكون الموت والدم والأشلاء هي المخيم الذي يسكنه أهل سوريا، وأن يكون هو الواقع الفعلي، وأن يكون مقدما على الحياة نفسها طوعا أو

نوار، وناريمان كلها تبدأ بحرف النون الذي ينتهي به اسمه راکان؟، لنتفاعل سويا، ولنتشرح صدورنا بأنه دائما ينتصر الثائر، وهنا استخدام حرف النون واللعب به قد يسبح بنا عبر تيار الوعي إلى نون " القلم " و نون " الحوت " و نون " يونس إنفراجة الأزمة " نون النجاة"، وأنه سيخرج من قلب الظلمة نون " النور " و نون " النبي "، كما أن الكاتب " عدنان " ليصدر لنا مفهوما غاب عنا كثيرا، أن نهاية اسم رجل الأمن، هي حتما بداية اسم الفنان !.

إيجراما طرح السؤال السياسي

يطلق الراوي صرخته الثورية عبر لغة ناعمة ملساء غير اعتيادية، لغة مكثفة هي إيجراما قادرة على الطرح والكشف وإزجاء اليقين، تكشفنا أمام أنفسنا وتعريتنا تماما، تعري ذلك العجز العربي والخزي الموروث الذي ران على قلوب أجيال متتالية، ذلك الجيل الذي لم يستطع سوى الربيع العربي تخليص بعضنا منه، كأحد أهم وأكبر منجزات هذا الجيل، لم تعلمه مدرسة ولم تلقنه جامعة، إنما اخترعته عبقرية فضاء الفيس والتويتر، في جدلية فائقة الصياغة، لم تحدث في تاريخ الأمة من قبل، أمة اعتادت أن يكون لها قائد أو زعيم كاريزمي، يحرضها ويخطط لها ويحركها ويذهب بها إلى حيث شاء، في حين أن هذه الثورات لم يكن لها قائد ولا زعيم ملهم، حركها العقل الجمعي، وانتصر، حتى وإن لم تكتمل ثورات هذا الشعب، فقد حطمت آلاف الأصنام والطواغيت والتابوهات التي ما جرؤ أحد على أن يحلم أساسا بالمساس بها مئات السنين.

"البطل" "المروي عنه"، وهو البطل الفعلي، وإذا كان راكان الحسيني راوياً عليهما من البداية، فإن نورس النبهان الذي نقرأ عنه ولا نراه إلا قبل نهاية الرواية بعدة صفحات، يتحول أيضاً إلى راوٍ عليهما، بكل لحظات الماضي، وحتى دهشته من بعض الأشياء التي عرفها عن راكان وعلاقته بمرام ومدى تطهر راكان في النهاية، لم تكن سوى تكنيك ذكي من الكاتب لخداع المتلقي، مما يجعلني أتجراً على ما تحدثني به "نفسى" وفتح آفاق التأويل بالقول، بأن راكان الحسيني لم يكن في الحقيقة سوى نورس النبهان، بل هو نوار أيضاً، فلم تختلف لغته عن لغتهم ولا مفرداته عن مفرداتهم، خاصة في مرحلة التطهر، فتتحو لغته إلى لغة فنان وأديب بروح شفيفة، في فكرة أشبه بالتناسخ، وبالرغم من وضوح الشخصيات وواقعيته، وأن الكاتب لم يستخدم التراث ولم يستخدم الرمز بشكل مباشر، فإنني قادر على القول أن راكان الحسيني هو قناع نورس ونوار أو هو الزهرة التي ذبلت وماتت وتسلفت إلى جسد آخر في صيرورة لانهاية.

جدلية التفاصيل الصغيرة ربما تمر بعض التفاصيل الصغيرة على كثيرين، خاصة النقاد الذين يبحثون عن "القضايا الكبرى"، فلا يلتفتون إلى تفاصيل صغيرة، قد يرونها غير ذات جدوى، إلا أن التفاصيل الصغيرة المنثورة هنا وهناك، تستمد قيمتها في أنها تؤصل للقيم المجتمعية والتي قد تكون هي

كرها، فإما تموت حتف أنفك، وإما مقتولاً أو مذبحاً على أيدي "بلاطجة النظام وشبيحته" أو مقاتلاً شجاعاً ذوداً عن أرضك وعرضك وثورتك، فيموت البطل راكان، وكذلك نوار وناريمان التي قتلت تحت تعذيب رجال التحقيق، وبمجرد استشهاد راكان الحسيني على يد رجال الأمن الذين تعقبوه بعد علمهم بمساعدته للثائر نوار ومحاولة تهريبه خارج البلاد، يتولى "نورس النبهان" استكمال سرد الرواية، وهو معطى جديد أضافه الكاتب موت الراوي واستلام راوٍ آخر الخيط لاستكمال القصة، وتتبدى هنا قدرة الكاتب على أن ينقل خيط السرد من راوٍ عليهما إلى راوٍ عليهما آخر في سلسلة سباقات التتابع، دون أدنى شعور بفجوة أو ارتباك، أو تباطؤ في زمن السرد.

يتسلم نورس النبهان رسام الكاريكاتير -البطل الحقيقي للرواية- الخيوط من راكان، ليحكي قصة هو بطلها، لكنه يتسلم ذلك في الأمتار الأخيرة من سباق السرد، لتبدو قصته هامشاً على متن، في حين أنها هي المتن، وأن قصته هي الرواية نفسها، لكنه تكنيك الكاتب وقدرته على التلاعب بالأزمنة والأبطال باعثاً على التساؤلات، مثيرة وحائثاً للقارئ على التأمل والبحث عن تساؤلات جيدة حول الشخصيات والأحداث ومبرراتها، علاوة على رغبته في بث التعاطف مع الثوار الذين قتل معظمهم على أيدي النظام الإرهابي، أضف إلى ذلك عنصر التشويق الذي أضافه موت البطل -الراوي- قبل انتهاء الرواية، وتسلم

الذي يعاني صراعاً مع المرض منذ فترة طويلة، كما بدت بوادر "طبية" من الوريث تجاه الفن والأدب، فسأل نورس عن نشره لرسوماته بالجرائد والمجلات، كما تحدث عن أهمية حرية الصحافة، وضرورة أن يتقبل المجتمع فكرة النقد، فرد نورس بالنفي، "ولم أشأ التحدث عن مشكلة الرقابة" لأن أحداً لا يجزؤ على التحدث عن الرقابة في هذا الوقت"، لقد أظهر الوريث مرونة كبيرة ورغبة في التقرب للشعب، بل لقد مزق بنفسه إحدى البورترتيات التي كان أحد المحلات قد علقها له، وكنا "نورس والوريث" قد نشأت بيننا صداقة، لدرجة استقلال سيارته والتمشية سوياً، وكان يحدثه عن حلم مجتمع مدني، ومحاربة الفساد، لكن عصابة ومستشاري السوء كانوا قادرين على إفساد الرجل وتغييبه -كما يرى الراوي العليم- "ربما أن الأشخاص الذين تحلقوا حوله، بعد أن أصبح رئيساً ساهموا في تحويل مسار عقليته"، وإن كنت أستطيع أن أضيف ذلك، إن الاستعداد السيكلوجي الكامن لدى الشخص هو المحرك الأساسي لكل فعل في حياة المرء، وربما يتعاطف نورس مؤقتاً إنسانياً، وبطرف خفي، مع الوريث "الصديق الرئيس السابق"، هكذا يتم إفساد الحكام، عندما يتحلق حولهم المفسدون، لحماية فسادهم المالي والسياسي، فالتناس هم الذين يصنعون الطغاة، لقد تشكلت لديهم صورة نمطية للحاكم، لا يريدون غيرها، صورة هتلرية، تعوضهم

الفاعلة والمؤثرة في تحريك القضايا الكبرى، وهذه المنظومة القيمية هي أكبر ضامن لانتصار أي قضية، فبالرغم من نصيحة نورس لراكان الذي كان يتردد على مصايف دمشق كالريوة والزيداني وبلودان "إذا أردت أن تعيش حياة مترفة، ولكن بشكل إنساني، اشرب قهوتك كالأثرياء ولكن تناول طعامك كالفقراء، ورغم ما يشبه تلك الحياة المترفة، تتجذر القيم الاجتماعية الموروثة، والتي لا يمكن تجاوزها مهما تقدم المجتمع" فوجئت بأن نورس مازال يحتفظ بعادة قديمة يقوم بها أهل حماة حين يدخلون إلى البناية التي يقطنونها، فتتحنج بصوت مرتفع، بينما صرخت أنا "يا الله.... في حدا 9.... و رصده لبعض الأمثال السورية" أيلول طرفه مبلول"، وبعض العادات والمشروبات الاجتماعية التي يتميز بها كل شعب، فيرصد شراب" المليسة" بتشديد اللام، الذي لا يكاد يوجد سوى في حماة فقط لونتعرف على هذا الشراب الاجتماعي في نهاية الرواية تقريباً، عند زيارة نورس لوالدة الشهيد راكان.

أما التفصيلة الصغيرة التي لم تستغرق سوى بضعة سطور - رغم أن الرواية تحت عنوانها "كان الرئيس صديقي"، وهي دخول الوريث الشاب طويل العنق "كالزرافة"، إلى معرض الرسوم الكاريكاتيرية، فجأة، وبساطة مظهره وزيه الكاجوال، ودماثة خلقه، ومحاولة التودد إلى الرسام، وسؤاله عن رسوماته التي لا تعليق عليها، لقد كان الوريث مزهواً بكونه الرئيس القادم خلفاً لوالده

عن ضعفهم النفسي، الأشخاص الذين يضعون في أعناقهم أطواق العبودية طواعية، سيشعرون بمهانة كبيرة حين يتحررون .

لم يكن نورس " ينتوي " أن ينشر الحكاية، لولا أن مرام — حبيبة راكان — قد حثته على ذلك، وربما ما عرفه نورس فيما بعد عن نيل راكان وتطهره، وجملة كان راكان قد تركها تحت نورس على " سرد حكايته مع الرئيس"، مما جعله يشعر بأن نشر القصة واجب كوصية من راكان الشهيد ومرام.

الثورة والتطهر

استغل الكاتب عقدة الذنب لدى رجل الأمن، ورغبته في التطهر، عقب اندلاع الثورة، واستطاع عبر ذلك، كتابة قصة الشعب السوري المقاوم، مستعرضاً إباء وقوة رجاله، وجيشه الحر، وشرفاء الوطن، الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل حرية الوطن، فمن المؤكد أن الاعتراف نوع من التطهر، الذي ساعد على حدوثه، تأجج الثورة، وصداقة راكان لكل النفوس الذكية مثل نورس ونوار وناريمان، وكان للفن دوره الأكبر في عملية التطهر التي تعد تطويراً لفكر التطهر في العمل السابق " رأس الرجل الكبير " من قبل.

لم تنته الرواية، فهو يرفض النهاية الكلاسيكية، فتحل دائرية السرد إلى إبحرامات شفيفة " امتزج ضوء الشمعة بزرقة الفجر الذي بدأ يطل من نافذة الصالة، التفت إلى العسكري، الذي لا يزال واقفاً

عند المدخل، في انتظار أن أضيء له الطريق، اقتربت منه بمشية نورس عائد إلى فضائه السحيق، بعد أن شفيت كسور جناحيه من ارتطامهما بشباك صياد همجي، مددت له يداً وسلمته مفتاح الثورة، كما لو أنني أسلم مدينة لأهلها، بعد طرد الغزاة.

كما يترك ما يشبه الوصية المفعمة بالأمل في "إذا سألك الزائرون عني في غيابي، فقل لهم أنني سأعود". بالرغم من كون هذه الجملة تمثل ختاماً للنص، إلا أنها تشي باستمرارية الوجود، وأن النضال من أجل الحرية لا ينتهي، ولا سقف له، عبر ذلك الوعد، "وقل لهم أنني سأعود" وكيف لا، وقد كان هناك توفيق كبير في اختيار الأسماء، نورس ذلك المسافر أبداً، المحلق في الفضاء، والذي لا يمكن لأحد أن يقيد في أي قفص.

نوار الذي يشي اسمه بالفتح والازدهار وإشراقة مستقبل طال انتظاره في شتاء قارص ممل، أما مرام فهي الفرصة المشتهاة والأمل المرجو، حتى راكان الحسيني نفسه، فيحمل معنى العزة والرصانة والمنعة، مع احتمالية، أن يكون الاسم غير عربي، كردي أو أوزيكي مثلاً، ولهذا شأن آخر. أما ناريمان قاسمها فارسي يعني "جميلة القوام" وهو ما لا يخطئ ناريمان بالطبع

ولاشك أن هؤلاء بأسمائهم وشخصهم كانوا قادرين على أن يحققوا ما صبا إليه الشعب، لقد

داخل الأشخاص، أكثر من تحريك الشخص في داخلها. ومنحها نوعين من البطولة، ربما البطولة كلها في بعض الأحيان، وحد سيكلوجية شخصه تقريبا، شخص خاص مثالون رغم شدة واقعيته، ليؤكد على أن الغد مختلف، وأن صانعي الثورة قد يكونان جزءا من هذا الشعب، لكن لهم مواصفات متفردة، هي وحدها قادرة على التغيير، تمنطق الكاتب ببلاغة الإقناع، والتحريض الناعم، محركا لضمائرنا، دافعا بعواطفنا لمربع الثورة، بالرغم من كونه لم يهول المشاهد، حتى أن استشهاده على بشاعة النظام الحاكم كانت صورا مزجاة دون تحريض فج، كصورة الأم القتلى التي كان رضيعها على صدرها، ونظرا لكثرة صراخه، كانت النساء تلقمه صدر أمه، أيما ثلاثة، وهي قصة حقيقية بالمناسبة، حدثت أيضا في حماة الثمانينات من النظام الإجرامي للأب، تحققت مرتكزات التحريض الروائي على فعلى القراءة والثورة بأبطال إشكاليين في مناخ الاستلاب وهيمنة الطغيان، واهبا قراءه بلاغة جديدة، وقيم تعبير مغايرة لكثير مما هو على ساحة السرد، ومبشرا بروائي مهموم بقضايا وطنه، عبر ذهنية قادرة على تجسيد الواقع دون الوقوع في دائرة التذكر السردى لما يكتبه الآخرون.

ضحى راكان بالمنصب، والمكانة، وانضم لصفوف الجماهير ليقضي شهيدا، كذلك نوار عازف الكمان الفنان الرقيق، أما نورس الذي مازال يتنفس، فيحمل من اسمه الكثير من الحرية والانطلاق، ولا يستطيع العيش وحيدا، ويستमित في إبعاد الطيور التي تهدد عشه وتضرب النوارس بأقدامها الرمال الطرية للتقاط الديدان البحرية، ولا شك أن الثورة مستمرة فتقضي على كل الطفيليات، هذه الفلول التي تحاول سرقة الثورة في كل دول الربيع العربي.

ختاما

لا يمكن أن تعبر نصا كهذا دون أن يستوقفك الكثير من إشارات، ودون التوقف عند لغته شديدة الكثافة التي تحمل العديد من المضامين، والتي أثر كاتبها أن تكون هادئة تماما، لكنها عاصفة كثورة، نهر كالعاصي يسير في الاتجاه المعاكس ليكون وجوده ثورة في حد ذاته، في سرد يجبرك على القراءة في جلسة واحدة متشوقا لاستكمال الرواية دون توقف، وهي تجبرك على الاستمرار حتى حرقها الأخير، فقد طرحت أسئلة الثورة، وأكدت الصراع بين السلطة والشعب بين الحاكم والمحكوم، وسعى الشعوب الدؤوب للانعتاق متمثلاً في روح فنانيين وهبا نفسيهما للحرية ولم يأبها للقهر وظلمة الزنازين، كان الكاتب بارعا في التحرك عبر الأزمنة والأمكنة و كان يحركها

الأنثروبولوجيا ورواية التاريخ ("نوة الكرم" لنجوى شعبان نموذجاً)

بقلم: شوقي بدر يوسف *

الرواية هي بحث عن قيم أصيلة في عالم لا أصيل، فهي بالضرورة وفي آن واحد سيرة وتاريخ اجتماعي.

لوسيان جولدمان

مدخل

منذ أن كتب سعد مكاوي روايته التاريخية "السائرون نياما" في أوائل الستينيات، وحشد لها وجه الحياة في مصر المحروسة بكل ما تحويه من زخم طاغ لصراعات كثيرة متبادلة بين الحكام المماليك بعضهم البعض والمحكومين المصريين المغلوبين على أمرهم، خلال تلك الفترة التي تبدأ من عام ١٤٦٨ وتنتهي عام ١٤٩٩ و سرد فيها وقائع الصراع الدائر في قصور المماليك، ووجه الواقع المزري في حواري القاهرة ومقاهيها وحلقات أذكارها، وأوكار مجونها وصوامع متصوفيه ومجاذيبها، وأيضاً ما كان يدور في قصر الملثم من ممارسات في قرية "ميت جهينة" وبيوت الفلاحين وطاحونة القرية والحقول وغيرها من الأماكن التي احتفى بها النص أنثروبولوجيا وتاريخيا، حيث قدم الكاتب في هذه الرواية الرائدة صورة واقعية صادقة لنضال المصريين ومعاناتهم خلال تلك السنوات المضطربة العجفاء، وقدم لنا شخصيات ومواقف أثتوجرافية حملت النص كثيرا من جماليته، وأعطته أبعادا سردية وتأويلية خاصة. منذ أن كتب سعد مكاوي هذا النص والرواية القائمة على سوسيوولوجيا الحياة، والتي تأخذ من التاريخ خطوطا، ومعالم أساسية تضيء بها مناطق اجتماعية كانت عائشة وموجوده على خريطة الحياة المصرية في ذلك الوقت القريب نسبيا إلى

* كاتب من مصر.

الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي، وكتب الكاتب الكويتي إسماعيل فهد إسماعيل ثلاثيته " النيل يجرى شمالا.. البدايات والنواطير.. والنيل الطعم والرائحة " عن الصراعات المملوكية إبان ظهور الحملة الفرنسية على مصر، وكتبت سلوى بكر " البشموري " عن مرحلة صعود الحضارة العربية، وكتب أمين معلوف أعماله الروائية عن الحروب الصليبية وصدام الحضارات في " ليون الأفريقي " و " صخرة طانيوس " وغيرها من أعماله الروائية، إلا أن الرواية التي تكاد تتناص مع " السائرون نياما " بل وتكاد أن تكملها زمنيا وربما فنيا أيضا هي رواية " نوة الكرم " للروائية نجوى شعبان، حيث انتهت أحداث " السائرون نياما " عام ١٤٩٩ في مدينة القاهرة، و بدأت أحداث " نوة الكرم " في الأول من يناير عام ١٥٠٠ في مدينة دمياط، بولادة التوأم " غياث الدين " و " ليث الدين "، ابني أسرة صباغ الأقمشة " السيد بصل " الذي تدور حولها وبها أحداث الرواية، والروايتان تمثلان عزفا سرديا على نغمة واحدة هي سوسيولوجيا التاريخ، وأثنوجرافية وقائعه وأحواله الاجتماعية وعاداته وتقاليده وشخصه الضاربة بجذورها في مساحات فضاءاته المختلفة المكانية والزمانية.

حياتنا المعاصرة، هي في حقيقة الأمر تعيد إلى الأذهان وتطلعنا على وقائع وحيوات وأشخاص تعطي دلالات وتأويلات لصور متشابهة معها في واقعنا الآن المعيش مع الفارق في النسق والشكل وصيغة الزمان والمكان، يبدو ذلك واضحا من خلال منطلق مهم يتمحور حول مقولة تقول بأن التاريخ يعيد ويكرر نفسه عبر مساحاته الزمنية الضيقة والواسعة، ولعل الساحة السردية للرواية المعاصرة قد احتفت بمثل هذه النصوص التي عكف بعض منها على الإختباء وراء قناع التاريخ، وقنع البعض الآخر بتجسيد مراحل من حولياته ووقائعه هي أولا وأخيرا تعبر تعبيرا مجازيا عن حاضر وواقع نلمسه ونعيشه ولكن بطريقة مغايرة تسير العصر، وقد حظي عصر المماليك بأعمال روائية جسدت ملامح ما كان يدور فيه من أحوال ووقائع لها خصوصيتها لما لهذا العصر من ثراء وخصوبة في تناول الواقعي الذي يعكس وجه الحياة، بل ويعتبر نموذجا حيا لعصور كثيرة لها وجه التشابه في القمع والقهر والصدام الحتمي بين الحاكم الجائر والمحكوم المغلوب على أمره، فبخلاف " السائرون نياما " لسعد مكايي، كتب جمال الغيطاني " الزيني بركات " مستلهما عصرا وشخصية معقدة وطاغية استدعاها من كتاب بدائع

وقائع التاريخ وخصوصية النص

إذا كان بول ريكور يقول في معرض حديثه عن الرواية والتاريخ : " إنه إذا كان التاريخ يوصلنا إلى معرفة الممكن ويفتح أمامنا أبواب هذه المعرفة ومجالاتها، فإن الرواية الخيالية حين تعرض علينا ما هو غير واقعي أو غير حقيقي فإنها تكشف لنا في الوقت ذاته عما هو جوهري في ذلك الواقع، كما أنها تتنبأ أيضا بما هو قابع خلف دهاليز ودروب الأيام والأزمان من أحوال تحتاج إلى من ينفذ عنها التراب ويعطيها معناها الحقيقي التي كانت عليه من قبل، وهذا القول يصدق تماما على العلاقة بين الأنثروبولوجي والرواية اللذان يمثلان معا منظومة واحدة تعيد تنشيط وجه من وجوه التاريخ الاجتماعي لطبقات متدنية من المؤسسة الاجتماعية العائشة في أزمان غابرة، كما يصدق أيضا على طريقة الكتابة نفسها والتي تتناول بحيادية تامة أزمانا هاربة وتاريخا مفعما بالصراع الذاتي، والتمرد الحياتي على كل شيء، فما فعلته الحياة مع أسرة " السيد بصل " المكونة من - أربعة أبناء - ولدين وأختين، الولدان هما " غياث الدين " و " ليث الدين " والأختان هما " ليل " و " سنانة " وتاريخ هذه الأسرة الفقيرة التي عاشت في

زمن تاريخي محدد في مدينة دمياط هو تاريخ الانسان في ذلك الوقت وهو ما كتبه الكاتبة نجوى شعبان في روايتها " نوة الكرم "، مجسدة بهذا البناء السردي معالم استدعاء التراث والتاريخ، والتعبير عن موروث رمزي ينطبق على كل زمان ومكان، حيث تتعدد الجنسيات والديانات في هذه المدينة الكوزموبوليتانية المكونة من ثغرين أحدهما نهري يرتبط بالنيل، والآخر بحري يرتبط بالبحر المتوسط وما يعبر عنه هذا الارتباط من دلالات يفرضها واقع الحياة مع النيل، وواقع الحياة المرتبطة أيضا بالبحر المتوسط كبيئة ساحلية لها خصوصيتها، وحيث الأبطال أناس عاديون بسطاء من عامة الشعب يتفاعلون مع الأحداث ويمثلون وجها خاص من وجوه الميثولوجيا المرتبطة بالبيئة الشعبية المتواجدة في هذا المكان المتنوع، وبهذه المناسبة فإن الكاتبة سبق أن حاولت في رواياتها الأولى " الغر " استلهام إشكالية أنثربولوجية وتاريخية وهي إشكالية تجارة الرقيق من خلال استكشاف جذور أسرة بسيطة كانت هي المحرك لوضعية اغتراب الإنسان، ومحاولات طمس هويته، ومحو إنتمائه إلى جذوره الأصلية من خلال حركة تهريب الرقيق التي أصدر الخديوي اسماعيل أمرا بإبطالها ومنعها، لذا كانت لعبة

والتعقيد في طبيعتها، لكن التواصل والحوارات على قدر من السلاسة" وتقول أيضا عن إعادة كتابة التاريخ "أكتب لأن الكتابة هي الحياة عندي، فإنها تحميني على المستوى السيكولوجي، إذ يحدث أن يتعذر علي هضم مظالم وقضايا مزيفة، وتاريخ مكتوب على المقاس، أو أتجاوز خبرات قديمة كانت أو حديثة.. هنا تتحول الأمور العامة إلى حبكة روائية وشخوص مثيرة للجدل". وتقول أيضا عن الشخصيات الأنثوية التي تجد فيها معالم تضيء وتوهج الأنثربولوجي في النص: "كان علي أن أتماهى وأتوحد مع كل شخصية أنثوية كانت أو ذكورية - هي نتاج خيالي محض - أن أكونها بتكوينها النفسي والعقلي:، لذا كانت شخصيات هذه الأسرة المصرية البسيطة وما حدث لها على المستوى التاريخي والمستوى الواقعي مثيرا فعلا للجدل في كل شيء، في أحلامها وطموحاتها وتوجهاتها وحياتها على القدر التي جسدتها لنا الكاتبة، ف "ليل" هي الأخت الكبرى وعائل الأسرة بعد وفاة أبويهم، بينما "سنانية" فهي الأخت الصغرى، بينما "غيات الدين" و"ليث الدين" وهما التوأم اللذان يمثلان جانبا هاما للتنوع والاختلاف، خاصة في هذه المرحلة التاريخية القائمة على سوسيولوجيا اجتماعية لها خصوصيتها في

الإنسان والأنثربولوجي المرتبط به وتاريخ هذه الأسرة وشخصيات "صافيا" الأم التي جاءت من غرب السودان كسرية مختطفة واستقرت في دمياط في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وصديقتها الأرمينية التي كانت تعمل بالتطريز وتختلف معها إلى الكنيسة، وغيرها من الشخوص والأحوال لعبت الكاتبة بها على وتر التاريخ الاجتماعي والإنساني والأنثربولوجي لشخصيات مستعادة من الماضي لتجسيد الحاضر من خلال هذا الماضي، الرامز بوقائع قد تتواجد الآن ولكن بطرق مغايرة ومختلفة عما كان يحدث في هذا الزمن. لذا فإن روايتها الأولى "الغفر" قد جاءت هي الأخرى بمعان من التاريخ استلهمت الماضي والحاضر من خلال شخصيات رمزية تعبر عن الواقع، وفي روايتها الثانية "نوة الكرم" إعادة الكاتبة نفس اللعبة، من خلال الدخول إلى مناطق من التاريخ تستطيع أن تقول مالا يستطيع أن يقوله الواقع، وبذلك أصبح التاريخ والتراث والموروث مصدرا للاستعارة والرموز والنماذج العليا التي تعبر عن الحساسية التي نعيشها الآن. وهي كما تقول عن فعل الكتابة عندها "أكتب كي أفهم أن أحل خيوط الصوف المتشابكة، حتى تصبح بكرة الخيط تمتلك الدقة

تحاول الكاتبة من خلاله أن تدين الواقع الذي كان، وأن تسقطه على الواقع المعاصر. خاصة وأن الكاتبة قد جسدت لنا وسط هذا الواقع شخصيات متخيلة، أولها " عبد الجليل المطراوي " الذي حاول الناس نسيانه خلال مراحل التاريخ، لأنه شخصية مثيرة للجدل انقسم الناس عليها ما بين ناقم ومحب حتى انتهى أمره إلى النسيان التام خلال مراحل التاريخ المختلفة، وثانيها شخصية " الترجمان "، والترجمان كشخصية مستقلة في نسيج النص وعلاقته بالسلطة هو جزء يمثل مصداقية الواقع داخل الأحداث من خلال ترجمته لمواقف السلطة تجاه الناس وفضحه لجوانب متعددة لممارساتهم المكشوفة تجاه مصادرتهم للحريات في الأسواق والحارات والأسبلة، بل ومصادرة الحرية الشخصية داخل البيوت أيضا، وقد حاولت السلطة المتحكمة في دمياط في ذلك الوقت احتواء الترجمان إلى جانبها حتى يكون صوتها أمام التاريخ، تملأ عليه ما تريد هي أن تقوله لكنها فشلت، فتعرض الترجمان للسجن والتعذيب من خلال كتاباته التي كان يملأ بها قرايطسه والتي كانت تؤرق مضاجعهم وتؤلب عليهم العامة من الناس، فالترجمان كشخصية حكاية صادقة وناقدة يمثل وجه التاريخ الذي يحكي ولا

التناول في عصر مثل عصر المماليك المليء بالمتناقضات والاغتراب في كل شيء والتي تتحكم فيه طفمة استعمارية غير منتمية لا للمكان ولا للزمان، وفي مدينة مثل مدينة دمياط الساحلية حيث يتقابل عندها فيضان النهر وأمواج البحر، وفي زمن شبه أسطوري يتماهي فيه كل شيء، ويبدأ تماما في الأول من يناير عام ١٥٠٠ حيث ولد في هذا اليوم التوأم " غياث الدين " و " ليث الدين " مع هبوب رياح نوة رأس السنة الميلادية، وحيث العالم في هذا الوقت متغيرا تماما في كل شئ، المعاملات، الممارسات، شكل الحياة، القوانين، السلطة المتصرفة، أسباب القهر والقمع وأنواعه ووسائله، أسماء من كانوا على رأس الهيئة الاجتماعية، وبعض أسماء من كانوا في قاعدة هذه الهيئة، ومع آلية التطور في حياة الشخصيات نجد أن كل شخصية أخذت لنفسها مساراً خاصاً في نسيج النص، بحيث أصبحت كل شخصية من الشخصيات المركزية في النص وكأنها محور أحداث لذاتها ولعالمها الخاص. ولعل الغرائبية المتأثرة في نسيج النص مع التماهي التي تتمتع به الشخصيات تجعل ممارسات كل شخصية وظروفها الخاصة أشبه بجزء من حبكة معقدة، وواقع مأزوم

جدتها وخالتها، وسميت العائلة
 باسم عائلة المنتحرين، عشقت " ليل
 " وتغنست ثم تزوجت بعد أن تقدم
 بها العمر من أحد ضيوف أخيها
 ليث الدين " المهتدي الجريكو "
 مصمم سفن القراصنة في البحر
 المتوسط، سافرت معه إلى رودس
 حيث أنجبت ابنها الوحيد " نور
 الدين " وبعد وفاتها تتركه لصديقتها
 المسيحية آمونيت لتربيته، وتتعرض
 آمونيت لبعض محكات وأفعها
 الذاتي لاتهامها بالزندقة والسحر
 فيقبض عليها وتحاكم ويؤخذ منها
 " نور الدين " ويسلم إلى أحد
 الكنائس ويعطى اسما جديدا هو "
 أوغسطين " ، ولأن دمياط هي ثغر
 مصر الذي يتقابل عنده النهر
 والبحر معا، فقد عمل أختها على
 ظهر السفن، أصبح " ليث الدين "
 أحد كبار القراصنة الذين يعملون
 لصالح الباب العالي في اسلامبول
 في البحر المتوسط، بينما عمل
 غياث الدين في مهنة والده صباغ،
 وعندما ذهب هو للبحث عن ابن
 أخته " نورالدين " في جزيرة رودس،
 هاجم القراصنة سفينته في
 الطريق، وتم أسره بعد أن أشرف
 على الفرق، ونقل إلى فرنسا حيث
 عمل مع أحد كبار التجار في
 صباغة وتجارة الحرير في أوروبا
 الشرقية، أما " سنانية " الأخت
 الصغرى فتتزوج من أحد فناني
 الخزف بعد أن قابلته في يوم

ينسي أي شيء يتحدث عنه،
 وبجانب ذلك أيضا جسدت لنا
 الكاتبة شخصية عصرية تتمثل في
 " حفيدة الترجمان "، أو هي مترجمة
 جديدة للتاريخ تحاول أن تقرأ ما
 تركه جدها وتعيد صياغة ما وراء
 السطور عليها تجد فيه شيئا جديدا
 قاله الجد / التاريخ له تأويله
 وتفسيره المعاصر، حتى أن هناك
 رسالة كانت مرسلة من زوجة
 الترجمان السودانية والتي رحلت
 إلى قبيلتها في السودان، ولم يقم
 الترجمان بفض هذه الرسالة حتى
 وصلت إلى الحفيدة وعليها نفس
 الشمع الأحمر التي ختمت به وقد
 مضى عليها خمسمئة عام لم تقرأ
 ولم يفض خاتمها " تساءلت الحفيدة
 مجددا: لماذا لم يفتح جدي هذا
 الخطاب، أأكون قارئته الأولى بعد
 ما يربو على خمسمئة عام؟ ".
 (٢٦٥)، إن وقائع التاريخ الذي
 أعطى هذا النص خصوصيته، أنه
 وضع يده على حياة أسرة دمياطية
 بسيطة، سار وراء شخصياتها في
 كل مكان ذهبت إليه، وإلى كل زمان
 حلت فيه، في دمياط المكان الأثير
 للكاتبة عاشت الأسرة وكأنها ريشة
 في مهب الريح، عملت ليل في
 صناعة الكحك، وكانت تسمى " ليل
 الكحكية "، تعرضت لمحكات المهنة،
 وحلمت أحلاما كثيرة أهمها أنها
 تريد أن تصبح غير مرئية لجانب
 موروث في العائلة، حيث انتحرت

العالم، والتي قدر لها الغربة
الاغتراب في الداخل والخارج " : لم
تتحمل آمونيت ألوان الهالة حول
جسد صديقتها المقربة، فأغمضت
عينها حتى لا ترى الرمادي
الفحامي، فالبنى الطيني، والقرمزي
الشاحب.. تفحصت جسد امرأة
تهيئ لها كأنها تعرفها وهي تلقم
الكانون بأعواد الحلفا المشتعلة،
عظام هذا الساق التي كسرت،
اليدين اللتين عجننا الكعك
والفطائر، كفها اليمنى التي صفعت
به سنانية صبيحة يوم القيامة،
الفخذين اللذين تجمرا شبقا طويلا
ثم متعة متأخرة، الشفتين اللتين
انطبقتا على تحمل الألم والمسؤولية
واعترام نذر الله، وانفتحتا فقط
لتقهنه وتسخر وتلقى بتعليقات
بذيئة، ذلك الكبد الذي تفتت للفقد
والرحيل، وتلك الدمعة التي لم
تذرفها لأنها لا تزال عاتبة على
أمها، وذلك الرغيف الذي ظلت
تقسمه خمسا حتى اليوم". لقد
كانت هذه النبضات الايحائية التي
مرت بذهن الراهبة آمونيت وكأنها
تداعيات خاصة مكثفة لحياة "ليل
أبنة" السيد البصل " المرأة التي
عاشت تاريخ هذه الأسرة وعانت
وكابدت في سبيل أخوتها شأنها
شأن أي أسرة مصرية بسيطة
عاشت في دمياط وأصبحت الآن
في ذمة التاريخ.

القيامة المزعوم في لحظات شبكية
جمعت بينهما مصادفة عند جزيرة
الفل، وكان الخراف قدرها في هذا
اليوم الذي غير كثير من مظاهر
الحياة في هذه الأرض الخربة التي
أطلق عليها بعد ذلك جزيرة الفل،
وترحل سنانية معه إلى واحة سيوة،
وبعد وفاته تعود إلى دمياط مباحة
إلى عبد الجليل المطراوي كبير
تجار المدينة، وتصبح أحد جواريه
المقربين، ولكنها تصبح في نفس
الوقت أحد أسباب مقتله. إن تاريخ
هذه الأسرة وما صاحبها من
أحداث جسام، مرت بها كنموذج
لواقع الحياة هو محور ما جسده
الكاتب في سياق نصها عن هذه
الأسرة البسيطة والتي عبرت من
خلال أفرادها عن واقع الحياة في
تلك الفترة، حتى إنه عندما بدأ
الرحيل لأول أفراد هذه الأسرة
وهي ليل الكحكية، فطنت صديقتها
آمونيت إلى ذلك الرحيل في آخر
لقاء بينهما حينما كانت " ليل "
توصيها على أبنها " نور الدين "
وعلى كل أحبابها، وكأنها على وشك
أن تصبح فعلا غير مرئية، ولكنها
هذه المرة ليست كحلم يراودها
وتتشده ولكنه كقدر مقسوم لها أن
تراه في هذا العمر المتقدم بعد أن
عاشت حياتها وتاريخها كله كنموذج
لعائلة السيد البصل الباحثة عن
الراحة والاستقرار والأمان في هذا

الأنثروبولوجى في "نوة الكرم"
 " : ثمة منطقة مشتركة بين المجال الأنثروبولوجى والرواية تتمثل في اهتمام كل منها بإعادة صياغة العالم الإنسانى الذى يدور حوله البحث أو النص الروائى وإن اختلفت الأنساق و الأساليب، ومع أن كلا من العالم الأنثروبولوجى والكاتب الروائى يستمدان المادة الأولية التى يصوغان منها عملهما وإنتاجهما العلمى والأدبى من عالم الواقع، أو من الأحداث التاريخية التى وقعت في فترة زمنية محددة، فإن كلا منهما ينظمان بطريقتهما الخاصة تلك الأحداث والوقائع، ويحدد لنفسه المساحة الزمنية والمكانية التى يختار منها تلك العناصر الأولية، سواء أكانت هذه العناصر هم الأشخاص أو الموضوعات أو الممارسات أو الأشياء التى يتناولها بالبحث والتحليل والوصف والسرد. وهذا هو ما توخته واحتقت به الكاتبة نجوى شعبان في روايتها "نوة الكرم" حيث لجأت إلى المزج بين كم كبير من المعلومات الأثنوجرافية التى عكفت على جمعها من مجتمعات متباينة في العادات، والتقاليد ومختلفة في أسلوب معيشتها واستطاعت بخيالها المبدع أن تصوغ منها نصا روائيا متميزا يستخدم من التاريخ أبنية سياقاً خاصاً تخدم وجهة

النظر التى تتوق إلى التعبير عنها داخل النص. وقد اضطلعت الكاتبة بوظيفتي السارد والأنثروبولوجى في آن واحد في تفسير التجربة الإنسانية، وإعادة تركيب العالم الإنسانى للشخص خلال تعاملها مع الأحداث، كما أنها قامت أيضا بترتيب سوسيولوجيا الحياة لوقائع وممارسات قديمة نسبيا لشخصيات قريبة إلى حد كبير مما نعيشه الآن، وبطريقة تجعلنا نتعاطف مع العديد منها باعتبار أن كل شخصية كما سبق وأوضحنا عالما قائما بذاته يعيش العصر، ويعايش الواقع، يؤمن بعباداته وتقاليدته ويتآلف مع كثير منها وأحيانا يتمرد على ما يخالف جبلته فيها، ولكنه في النهاية ينصهر داخل الفضاء الخاص بالزمان والمكان الموجود، ويكون قد وصل إلى نهاية المطاف بعد أن عرك الدنيا وعركته، وليست شخصيات " ليل و سنانية وآمونيت و غياث الدين و ليث الدين والمطراوي والترجمان والخزاف والسرياقوسي" وكل من يدور في أفلاكهم من شخصيات ثانوية أخرى، وبما تحمل هذه الشخصيات كلها من هموم وطموحات ورغبات ومشاعر وتجارب إنسانية إلا عوالم خاصة، تحاول الكاتبة تجسيد تفعيل هواجسها خلال نسيج النص، ومن خلال موقف كل منهم مع ذاته ومع الآخرين، ومن خلال أيضا

العادات والتقاليد وبعض الأساطير والحكايات المليئة بالسحر والدين ورصد بعض محاكم التفتيش الحاكمة سواء ما ظهر منها في دمياط وتعرضت له " ليل "، أو ما ظهر منها في الواحات وتعرضت له " سنانية " أثناء إقامتها هناك خاصة بعد وفاة زوجها الخزاف أثناء ذهابه إلى مكة مع قافلة الحج، أو ما ظهر في جزيرة ردوس وتعرضت له الراهبة " آمونيت " بعد اتهامها بممارسة السحر، شكل في نسيج النص موضوعات شبه أثولوجرافية جمعت من مواطن عديدة مما جعل النص أشبه بكيان أسطوري تابع من حكايات تشبه إلى حد كبير حكايات ألف ليلة وليلة. والمتتبع لشخصيات النص الرئيسية وهم أولاد " السيد بصل " يجد أن هذه الشخصيات هي الشخصيات المركزية في النص ليل سنانية غياث الدين وليث الدين، وهي الشخصيات الفاعلة التي كان دورها الرئيسي هو إبراز وتجسيد وجه الحياة الاجتماعية في هذا الزمن من عصر حكم المماليك.

لقد كانت شخصية " ليل " الأخت الكبرى شخصية ذكية وماكرة وحصيفة، ولكنها في نفس الوقت متمردة على ذاتها وعلى واقعها المعيش وكان الجانب الإنساني في طبيعتها جانب تغلب عليه ملكة الأمومة، فهي تمثل جانب المسؤولية

وضعه الاجتماعي الذي جسده الكاتبه وأعطته سماته وطبيعته الشخصية، ومن خلال استدعاء التاريخ الذاتي لكل شخصية وما مر بها من مواقف وأحداث أوصلتها إلى منعطف تشكلت منه مقدرات حياتها، وأدى في نهاية الأمر إلى العودة إلى الجذور الأولى التي بدأ منها الجميع وهي مدينة دمياط، كما نجد وجود بعض التقارب بين رواية " نوة الكرم " وبعض الأعمال الأنثربولوجية الضخمة الرائدة مثل كتاب " سير جيمس فريزر " المعروف بـ " الفصن الذهبي "، فالكتاب في جوهره دراسة عميقة للسحر والدين ويضم قدرا كبيرا من المعلومات المرتبطة بهذه الجوانب الغيبية استمدتها الكاتب من عدد كبير من المجتمعات والثقافات في مختلف العصور، وجمعها في كتابه بطريقة أدبية رفيعة، وعبر خيال إبداعى يتمتع به جعله يحتفي بالعديد من عناصر الحكى والسرد والوصف في كتابه الغرائبي الذى رصد فيه أيضا بعض الموضوعات الأثنوجرافية القصصية والأساطير والحكايات المرتبطة بالعادات والتقاليد، الأمر الذي جعل من هذا الكتاب أشبه برواية شائقة ضخمة، وهو ما نجد بعض ملامحه وظلاله مع الفارق في السياق والصيغة الخاصة بطبيعة الحال، في نسيج رواية " نوة الكرم " فكمية

مركب ". بهذا الفعل الأنثروبولوجي القائم على عادات وتقاليده متوارثة يعرفها المتعاملين في هذا المجال، لم تتوان ليل في تنفيذ هذا الأمر لعل الأمر يكون خيرا لأخويها، كما أن عاطفة الأمومة عندها كانت من القوة بحيث كانت تتخيل نفسها في عالم مغاير خيالي رحب تحاول أن تعيش فيه، كانت ليل تريد لنفسها أن تصبح فتاة غير مرئية تحلق في الفضاء ترى الدنيا ولا يراها أحد، ربما هي لطبيعتها البسيطة، أو جبلة تتوق إليها، ربما هي زهد في الحياة، بعد أن مرت بمحن ونكبات وكوارث كثيرة، فهي تريد الاختباء مما بقى منها على مر الزمن أو تريد الانتماء بمصيرها الباقي، حتى إنها في مرحلة متقدمة من السن كانت صويحاتها يتقولن عليها بأنها كانت تزهد في الفراش والأولاد " : وكم كان خيال ليل مفصحا ورحيما، يعوضها، فتشرد فيما شغفت به ولها أن تكون غير مرئية كمخلوق خرافي لم تتحدث عنه الحكايات، ما رغبت ليل أبدا في أن تصبح مثل أمنا الغولة أو الجنية الطيبة اللتين تظهران وتختفيان متى أردتا، إن أتيح لها الاختيار فسوف تكون ذلك المخلوق المحايد، فقط يراقب ويشاهد، لا يلحظه الناس ولا يمنحونه اهتماما، لأنه تقريبا غير موجود ودائما غير مرئي " .

في تعاملها مع واقعها ومع عائلتها الصغيرة مع إنها لم تتزوج ولم تنجب إلا في مرحلة متقدمة من العمر، إلا إنها عندما ولد أخاها التوأم " غياث وليث " مع نوة رأس السنة الميلادية ليناير عام ١٥٠٠، كانت هي في الثالثة عشرة من عمرها كما ورد في النص، منذ تلك اللحظة اعتبرت نفسها هي الأم المسؤولة عن أخوتها وأسرتها كلها، وتجسدت فيها هذه العاطفة الطاغية بقوة لدرجة أنها كانت تبحث لهم عن السعادة منذ اللحظات الأولى لولادتهما، ربما لأنها أشفقت على أمها الضعيفة جسديا من هذا الحمل الكبير لولادة توأم مما سيثقل كاهلها بتحمل تبعة تربيتهما، وبناء على نصيحة من تاجر في الطريقة الرفاعية كانت ليل تخبز لامراته، قال لها: سمعت من تاجر يماني إن حشو ثمرة بجزء من مشيمة طفل يحفظه، بل ويحدد مستقبله ". وعندما استسلمت الأم لنوم عميق بعد ولادتها تسلمت ليل إلى الخارج، بعد أن لفت تمرتين بجزئين من مشيمة أخويها المولودين، ومشيت حتى السوق والقيساريات، رمت وهي مغمضة العينين ثمرة غياث إلى زنبيل قرض أحضره غجري لتوه عسى أن يغدو غياث عطارا ثريا، ثم استأنفت سيرها إلى بحر النيل، وقذفت بثمره ليث على امتداد ذراعها إلى النهر عسى أن يصبح صيادا أو صاحب

إلى واحة سيوة، وانهمك الخزاف في أعماله الفنية بحيث أصبحت هي كل همه، لا يرى سواها ولا يهتم إلا بها، تلجأ سنانية إلى الخواطي خارج الواحة تستشيرهم في كيفية جذب الزوج واستمالاته إلى الفراش في حالة مثل حالة زوجها الخزاف، والطريقة المثلى للحبل والإنجاب. كذلك عادة "الدوسة" التي يقيمها الصوفية كل عام ليلة المولد وما ينتج عنها من حوادث قتل وجرح للمشاركين فيها من خلال مرور الفرس على أجسادهم النائمة في حلقة بشرية تضم عددا كبيرا من أفراد الصوفية المشتركة في هذا الطقس الغريب، وكيف أن "الترجمان" قد تسبب في إيقاف هذه العادة حينما تأمر عليه المحتسب مع القائمين على الدوسة بأن وضع في حدوة الفرس سلاحا قاتلا واتفقوا على توقيت معين يضرب فيه الفرس بقدمه المسلحة جسد الترجمان، لكن المفزوع الهارب من العثمانيين اقتداه بجسده قبل أن تدوسه أقدام الفرس، كذلك ما تعرضت له "سنانية" بعد ولادتها مباشرة في واحة سيوة بعد أن جاءها خبر وفاة "الخزاف"، حين أطلق عليها أهل الواحة صفة الغولة وحبسوها في حجرة هي وابنها لاعتقادهم أن الزوجة التي يموت زوجها تصبح نذير شؤم على أي أحد يراها أو تراه، حتى

إن الصور الواقعية النابضة بالحياة والتي تظهر من خلال الموروث الثابت في عادات الناس وتقاليدهم تظهر من خلال رؤية محورية ثابتة تبرز هذا الموروث وتحدد أحداثه العلاقة بين الظواهر الطبيعية وبين ما يحدث في المتخيل الأثوجرافي الذي يحكيه الناس ويؤمنون به، وقد جسدت الكاتبة العديد من هذه الظواهر المليئة بجوانب معتقدات الحياة المختلفة التي يعيشها الناس في اعتقاد راسخ بأن هذا هو واقعهم وهو الذي يجب أن يكون، فعندما عشقت "ليل" "المجبراتي" لأنه أمانها ولمس أحد أوتار شخصيتها المتمردة، طلبت من أحد الفجر الثور إطلاق البخور والسحر لأحضاره أيا كان، وبعد الطقوس التي أقامتها الفجرية يحضر "المجبراتي" فعلا وهو في حالة يرثى لها، فتضحك "ليل" وتشعر أنها قد حققت ذاتها بهذا الطلب الأنثوي الشبقي، فتطلب من الفجرية أن تصرفه فوراً، وعندما تشعر زوجة المجبراتي هي الأخرى بأن زوجها قد تغير من ناحيتها، فتلجأ هي الأخرى إلى السحر المضاد للمحافظة عليه، لذا كانت الأعمال السحرية أحد معالم الأنثربولوجي الموروث في هذه المجتمعات وهو يكثر خاصة بين النساء، حتى أن "سنانية" بعد أن تزوجت "الخزاف" وسافرت معه

إنه ماضٍ، حيث تنفذ قدرة الكاتبة الوصفية والسردية إلى أعماق هذا الماضي، وإلى الإنسان فتكشف همومه، وإحباطاته، وتوجهاته، وأفكاره، وأحلامه وتخرجها في صورة تعبيرية مليئة بالإيحاء والتأويل، وفي "نوة الكرم" تكمن جماليات النص من وجهة نظري في عدة محاور تتوزع فيها إضاءة العمل وتنوع مداراته، أولها اللغة السردية المكتوبة بها أحوال ونسيج النص والتي تعبر عن غنى كبير في التعبير عن الذات الفاعلة داخل النص لبعض الشخصيات المحورية وبعض الشخصيات الثانوية الأخرى، وأيضا في سرد الوقائع وتحليل الروابط التي تجمع بين الشخصيات المتألفة ليل وآمونيت كنموذج على الرغم من الاختلاف في الدين والشكل والتوجهات بينهما، لذا كانت الشخصية والأتكاء على صيرورتها هما عمق العمل الروائي يتعلق بها كل شيء، مثل علاقة الخزاف بالجماليات التي يبحث عنها في أعماله الخزفية الفنية، حتى إنه بكى تأثرا عندما صنع عملا فنيا خزفيا وصل به من وجهة نظره إلى حد الكمال، وأيضا مثل رجوع "المطراوي" إلى ماضيه القديم أثناء ما كان الفتى السلافي "ماتياس" وحنينه الدائم إلى الكرنفالات والطقوس الوثنية التي كان يقوم بها مع بعض أقرانه، أيضا

يمر عليها أربعين يوما لا ترى أحد ولا أحد يراها، وقد طلبت سنانية حضور أخيها "غياث" ليأخذها من هذا المكان ويعود بها إلى دمياط، لكن أهل الواحة رفضوا تسليمها له إلا بعد مرور المدة المتفق عليها، وطلبوا إليه الأنصراف وسوف يرسلونها له بعد مرور هذه المدة وله أن يستقبلها في الاسكندرية. كذلك ما تعرضت له الراهبة "آمونيت" في جزيرة رودس عندما قبض عليها بتهمة السحر والشعوذة وتمت محاكمتها أمام أحد محاكم التفتيش وطلب الجمهور إحراقها لهذه التهمة البشعة. إن هذه المشاهد الأنثوجرافية التي حفل بها النص إنما تمثل وجها من أوجه التاريخ الاجتماعي لهذه الشخصيات في حياتها أو هو وجه نابع من معتقدات هذا العالم الذي يعيش هذا الزمن في كل من هذه الأماكن المختلفة التي صورها النص.

جماليات النص

تنبع الميزة الجمالية للنص من طبيعته الخاصة المهيأة لرسم هذا الواقع المستمد من سوسيولوجيا التاريخ بغناه و دلالاته و مناطقه الاجتماعية والبشرية، وتنوع المظاهر التي يبحث ورائها في شتى الاتجاهات الفنية والفكرية، وتعدد الفضاءات المعقدة الآتية من ماض بعيد نسبيا نحن نعرف

العلاقة المفزوع مع أخته وضربه المستمر لها على الرغم من خوفه الدائم المستمر وهروبه الوهمي من العثمانيين المحاربين لطومان باي، لقد اهتمت الكاتبة بتيمات حكائية نثرتها في نسيج النص بحيث أضفت على هذا النسيج معاني أسطورية كتجربة تحاول بها أن تسرد وقائع الحياة من خلال منظور جمالي يضفي على سردها مجازا عتيقا كما يقول فيرنر برجنجرين في كتابه الخيال القديم: "إن أحسن الحكايات كما نعلم هي دائما تلك التي كانت ما تزال تقع في العصر الأوتوقراطي، ففيها شيء من روعة الخرافة، والمجاز العتيق، وهو ما لا تستغنى عنه حكاية حقا". كذلك نجد أن استخدام الحلم في أجزاء كثيرة من النص أضفي عليه أيضا أبعادا اشتركت مع عوامل فنية أخرى في خصوصية جديدة مكنته من أن يكشف معاني جمالية تعبر عن ما وراء الواقع داخل النص، وفي نفس الوقت داخل الشخصية المعنية بالأمر، حلم "ليل" الذي رأت فيه المرأة الحصان والرجل الحصان كمثال لذلك، قد أحست في الحلم أنها تجري بدون الم في ساقها المكسورة، منذ هذه اللحظة أحست "ليل" بأنها في حاجة إلى شيء مفقود لديها إنه الرجل، لذا كانت علاقتها بالمجبراتي بعد ذلك هي كل همها حتى إنها عرضت عليه

الزواج، لكنه رفض بسبب عائلة زوجته ذات النفوذ والقوة: "وجدته أمامها على التل، ينظر إلى عينيها مباشرة، رفع حافر قدمه اليمنى الأمامية، فإذا بها كف إنسان ثم قام بقص خصلة من شعرها لتسدل كفرة على جبينها، قال في صهيل يشبه غناء في محارة هجرها الشط: شمعة ذهبية". أيضا الحلم حينما كانت مع الراهبة آمونيت داخل سراديب الهرم، انفصلت ليل عن جسدها داخل الهرم وحلقت في هذا الجو الأسطوري الغرائبي ورأت فيما يرى النائم لحظة هاربة بالاندهاش وقعت عليها: "انفصلت ليل عن جسدها تحلق، وبالألروعة، ترى البحر ترتجف على أمواجه شمس مسائية صغيرة، رفرفت في فضاء قمرية / مصرية، إنه ليث الدين باتم عافية وبأل رائق، ورجله تألفه ولا تعرفه يحرق في وجه أخيها المتأمل، إنه يحرق فيها الآن: هل يراني حقا ؟

إن إشكالية التاريخ في رواية "نوة الكرم" حددتها الكاتبة منذ بداية الدخول إلى ساحة النص، وهي الاعتماد على مفهوم الشخصية لواقعها المرسوم، حتى الشخصية الحاضرة الغائبة في خضم التاريخ من الممكن أن يكون لها أيضا وجود خاص ولكن إلى حدود متفق عليها، مثل شخصية "المطراوي" الذي

المراجع

- مقاطع مجتزئة من رواية نوة الكرم، ميريت، القاهرة، د. ت
- الوجود والزمان والسرد.. فلسفة بول ريكور، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٩
- علم اجتماع الأدب.. الوضع ومشكلات المنهج، لوسيان جولدمان، مقال مترجم، فصول، القاهرة، ع ٢ م ١، يناير ١٩٨١ ص ١٠٢
- الرواية الأنثربولوجية بين الواقع والخيال، د. أحمد أبو زيد، عالم الفكر، الكويت، ع ٣ / ٤ م ٢٣ يناير/مارس - أبريل/يونيو ١٩٩٥ ص ١٣٥
- ندوة نوة الكرم للرواية نجوى شعبان (ملف خاص)، عن ورشة الزيتون، العدد الأول، ٢٠٠٢/٧/١٥ ص ٦

تناساه الناس من مئات السنين بعد أن كان هو السيد المطاع والمحسن الكبير على أرض دمياط، وذهبت أيامه وحلت محلها أيام أخرى جديدة، بينما الباحث في تاريخه الذاتي يجد إنه فتى سلافي صغير خطف من أهله وبيع وشاء له القدر أن يصبح السيد المطاع في قومه وشاء له القدر أيضا أن يذهب من حيث أتى، وأصبح أثرا بعد عين، إن رحيل الشخصية عن العمل الفني بانتهاء دورها سواء أكان هذا الانتهاء سابق لأوانه أو في أوانه الطبيعي يعتبر اسدال الستار عن عالم كان قائما وحياة كانت ملء العين، رحل الخزاف ورحلت ليل وقتل المطراوي وفي النهاية يحدث رحيل جماعي للترجمان وآمونيت والفزاع وأصبحت الأرض ملك لأجيال جديدة تحكي حاضرها كما حكّت الكاتبة التاريخ.

زواج الجنينة في قرية (س) (مسرحية في فصل واحد)

بقلم: عبدالرحمن حمادي *

أشخاص المسرحية :

- مساعد شرطة رئيس المخفر

- شرطي

- أبو مهدي

- مهدي

- معلم المدرسة حسان

- أبو حلوم

- حلوم

- الدرويش أبو مبخرة

- الجنينة

- أشخاص ثانويون

* كاتب من سوريا .

أبو مهدي : نعم .. الجنية اللينة
قتلته يا سيدي ..الله ينتقم منها
ويحرقها ويحرق أهلها مثلما حرق
قلبي على ولدي.

الشرطي: ماذا ياسيدي ؟ هل أكتب
إفادة أبي مهدي كما يقولها ؟

المساعد : تكتب ماذا يا رجل؟هل
تريد أن تجعلنا مسخرة أمام
القاضي عندما نرفع له الضبط ؟

الشرطي: إذن كيف سنختم الضبط
.. يجب أن نختمه ..(يلتفت حواليه
بحذر) ياسيدي لماذا لا يكون كلام
المختار أبو مهدي صحيحا ..أنا
من المنطقة وأعرف رجالا تلبستهم
جنيات و..

المساعد (يقاطعه) : دعك من هذا
الهراء يارجل (لحسان) أنت يا أستاذ
والمعلم الوحيد في مدرسة القرية
وكنت على علاقة جيدة بجميع
رجالها وشبابها بما فيهم المغدور
مهدي ..هذا ما أكده الجميع لذلك
استدعيتك كشاهد ، لابد أن لديك
شيئا قد يفيد التحقيق ..أعني هل
كان مثلا هناك أعداء لمهدي أو تأر
بين أهله وآخرين.

حسان (يبتسم قليلا بأسى):
لأعتقد أن أحدا كان يكره مهدي
أو يكن له كرها ..

المساعد : ومع ذلك نريد ان نستمع
منك لو سمحت عما تعرفه عن
علاقة مهدي بالآخرين أو ماحدث

(ترفع الستارة عن مكتب شرطة
متواضع الأثاث - المساعد جالس
وراء الطاولة وبجانبه الشرطي
يكتب - قبالتهمما يجلس أبو مهدي
وهو رجل عجوز يبكي بحالة إعياء
-وسالم معلم المدرسة- جالس)

أبو مهدي (يبكي بحرقة): اللعينة
قتلته ياسيدي رئيس المخفر ..هي
المجرمة القاتلة (بتهديد) والله
وأمان الله لن أترك ثأري منها
..سأحرقها

المساعد : اهدأ يا أبا مهدي ..
اهدأ أرجوك (لحسان) لن نستطيع
كتابة إفادته إذا استمر على هذه
الحالة ..(باستكار) هل يعقل أن

نكتب في ضبط مخفر أن الجنية
قتلت مهدي ابن المختار!

أبو مهدي: اكتب ذلك يا سيدي
..اكتب فهذه هي الحقيقة ..لكن
أقسم أنني سأنتقم منها ..لن أترك
درويشا في المنطقة إلا سأقصده
ليحرقها (يبكي)

المساعد : يا أستاذ حسان ..نحن
أمام جريمة قتل يجب أن نعرف
ملاساتها ..لقد كشفنا بحضور
الطبيب الشرعي على جثة المغدور
مهدي خارج القرية في البرية
وتبين أنه مات نتيجة طعن نافذ في
صدره ..والمشكلة أن كل من سألناه
من أهل القرية يؤكد مثل ما يقول
والده أن الجنية قتلتة !؟

بشدة ، وبعد أن تملأ جرّتها لتبادل
النظرات وتبتسم لي فيخفق قلبي
مجددا .. يخفق بشدة .

حسان: هذا هو العشق (بمزاح)
أنت صرت من مشاهير العشاق
يامهيدي ينطبق عليك قول الشاعر
نظرة فابتسامة .. فسلام .. لأ ..
فسلام لم تصلوا إليها بعد
مهيدي (يضحك قليلا) : بل
وصلنا إليها يا أستاذ .. أنا مهيدي
أعجبك .

حسان : يعني سلّمت عليها؟
مهيدي : وتحدثنا .. من عدة أيام
تخلّفت قليلا عن رفيقاتها وتحدثت
معهما .

حسان : أي هكذا يفعل العشاق
.. وماذا قلتما لبعضكما؟

مهيدي (بنشوة) : قلت لها أنا أحبك
يا حلوم ..

(إظلام - إنارة على بقعة فيها
مهيدي وفتاة هي حلوم ومعهما جرة
ماء)

مهيدي : نعم .. أحبك .. وكل يوم
آتي من قريتنا مشيا على القدمين
لمدة ساعة لأحظى برؤيتك ، ويشهد
الله أنني كلما رأيتك يخفق قلبي
.. مارذك

حلوم (بخجل): أنت تجعلني أشعر
بالخجل

مهيدي : يعني .. هل تقبلين حبي؟

معه .. أي شيء تخبرنا به سيفيد
التحقيق .

أبو مهيدي (بحدة وبكاء): ياسيدي
لماذا تتعب الأستاذ ؟ كلنا نعرف أن
الجنية عشقت ابني ثم تلبسته ثم
قتلته

المساعد : حسبي الله ونعم الوكيل
.. صبرك الله على مصيبتك يا
مختار (لحسان) تفضل يا أستاذ
.. أنا أستمع لك .

حسان : حسنا .. أنت تعرف
ياحضرة المساعد أنني كمعلم وحيد
في مدرسة هذه القرية النائية أقيم
في المدرسة بعد نهاية الدوام ، وكان
مهيدي رحمه الله من أكثر المترددين

عليّ بعد نهاية الدوام حيث نحتسي
الشاي ونتبادل الأحاديث .. وذات
مرة كنا نشرب الشاي ..

(إظلام - إنارة على زاوية موجود
فيها سبورة مدرسة وشاب بلباس
ريفي هو مهيدي وحسان يشربان
الشاي)

حسان (يضحك): إذن هكذا يامهيدي
.. أنت عاشق .. لست سهلا كما خيل
لي !!

مهيدي: ذبحني العشق يا أستاذ
.. كل يوم اذهب سيرا على القدمين
إلى قرية خويتلة وأنتظر عند
البيدر لتمرّ حلوم مع رفيقاتها وهن
ذاهبات للماء من البئر ، تنظر
إلي من بعيد فيخفق قلبي .. يخفق

حسان : نعم ..وفي مضافة القرية
احتفلوا بنا ودارت علينا القهوة و..
(إظلام - إنارة على ما يبدو أنها
مضافة قرية ورجال يتوزعون فيها
بينهم مهيدي - أبو حلوم وأبو
مهيدي جالسان قبالة بعضهما).

أبو حلوم : يا هلا بيكم من ملفاكم
لمللكم ..تري والله زارتنا البركة .

أبو مهيدي: ماقصرت يامختار
..وانت تعلم أننا جئنا بهذه الوجاهة
الكريمة لنطلب يد ابنتكم المصون
على سنة الله ورسوله .

أبو حلوم : ابشروا ..بعون الله
لا تردون خائنين ..

أبو مهيدي : على بركة الله ..وكم
مهرها يا مختار ؟

أبو حلوم : تراها تسوى الكثير ..
لكن لأجل هذه الوجوه الكريمة
مهرها عشرون نعجة وفوقها مائة
الف ليرة .

أبو مهيدي: ابشر..مهرها مثل ما
قلت وزود .

أبو حلوم : الغدا جاهز يا الضيوف
..(لرجل) ادخلوا المناسف ياعكاب .
الرجل: حاضر ..

(إظلام - إنارة على زاوية المخفر)
الشرطي: ياسيدي انا لا أرى فائدة
من هذا الكلام ..هل سنكتب ذلك
كله في دفتر الضبط

أبو مهيدي (بيكي): نعم .. قل له

حلوم : لن أجد شاباً أفضل منك
أحبه ويحبني ..لكن أحضر أهلك
لخطبتي إذا كنت صادقاً بحبك
(إظلام - إنارة على زاوية
المدرسة)

حسان : فتاة أصيلة ..طلبت أن
تخطبها ..هكذا تفعل الأصيلات .

مهيدي : طبعاً ..لذلك أخبرت
والدي المختار ..فرح كثيراً ..صحيح
هو متزوج من امرأتين ولكن حتى
الآن لم ير أحفاده ..قال لي ابشر ..
أنت ابني البكر وسنذهب بوجاهة
كبيرة لنخطب حلوم ابنة مختار
قرية خويطة لك .

حسان : مبروك سلفاً (ممازحاً) اجزم
انك بعد زواجك الميمون لن تأتي
لزيارتي في المدرسة ..إشرب شايك
(إظلام - إنارة على زاوية مخفر
الشرطة)

المساعد : أفهم من كلامك أن
مهيدي كان على وشك الزواج ؟

حسان : هكذا كان المفترض ..فقد
شكل المختار أبو مهيدي وجاهة من
وجوه القرية وباعتباري معلم القرية
كنت مع الوجاهة وذهبنا إلى قرية
خويطة لنخطب حلوم .

أبو مهيدي (ببكاء) : يا أستاذ لماذا
تفتح جروحي مجدداً ..

المساعد : دعك منه يا أستاذ
..وذهبتم لقرية خويطة ..

أبو مهدي : حلوم .. لم أر أجمل منها!

حسان (بمزاح): لتعرف أن ابنك مهدي يعرف كيف يختار ... الله يهنئهما ببعضهما .

أبو مهدي (لأبي حلوم): وبعد ما تغدينا أريد يكون كل شيء واضحاً .. أنتم تدرون أنني متزوج من زوجتين

أبو حلوم (ممازحاً) : وأنا متزوج من ثلاث زوجات

مهدي(ممازحاً): أخشى يا أبي أنك تفكر بالزوجة الثالثة لتصير مثل عمي أبي حلوم !!

أبو حلوم (يضحك): كما يقال صارت وصارت .. دعنا نبحث لك عن عروس من قريتنا و...

أبو مهدي (يقاطعه): تبحثون عن ماذا .. أنا وجدت عروسي

أبو حلوم : من هي يا أبا مهدي .. قل من هي وسنخطبها لك اليوم

أبو مهدي: تخطبونها ؟ ألم نخطبها منك قبل قليل وأنت وافقت .

أبو حلوم (باستغراب): تقصد ابنتي حلوم ؟

مهدي (بدهشة): هل هذا وقت المزاح يا أبي ؟

أبو مهدي (بصرامة): اخرس يا ولد ..

أن لافائدة من هذا الكلام .. الجنية هي التي قتلت مهدي .. لماذا لا تريد

تصديقي يا سيدي رئيس المخفر ؟

المساعد (للشرطي) : أبو مهدي وفهمنا .. لكن أنت لا تدخل ولا

تقاطع الأستاذ .. تفضل يا أستاذ .. أكمل .. ماذا حدث بعد ذلك ؟

حسان : تناولنا الطعام في المضافة .. مناسف لحم وشحم كما يقولون

..أبو حلوم لم يقصّر بالكرم معنا ،وكما هي العادة خرج مهدي

ووالده إلى خارج المضافة لغسل أيديهما من أثر الطعام ، والمعتاد

في وليمة الخطوبة أن المخطوبة هي التي تصب الماء من الإبريق

لخطيبها ووالده ، وعندما دخل أبو مهدي دخل بحالة غير طبيعية

..كان متعرقاً ومنفعلاً . (إظلام - إنارة على زاوية المضافة

حيث يدخل أبو مهدي متعرقاً وعلائم الاضطراب بادية عليه

ويجلس)

حسان: خير يا مختار ؟ أراك متعرقاً .. هل أنت مريض ؟

أبو مهدي (باضطراب): إنها جميلة جدا .. أجمل من صورة

فطوم المغربية .. أجمل من الجنيات في الحكايات

حسان (بنوع من الهمس) : من تقصد ؟

حسان : وهكذا ذهبنا بوجهة
لمهيدي فتحولنا وجاهة لأبيه وقد
تزوج أبو مهيدي حلوم في اليوم
التالي .

المساعد (بدهشة وغضب): هل
هذا الكلام صحيح؟ تزوجت الفتاة
التي كان ابنك سيتزوجها ؟

أبو مهيدي : تزوجتها بالحلال يا
سيدي .. بالحلال .. واسأل الأستاذ
قلت لمهيدي أن يبحث لنفسه عن
عروس أخرى ومهرها عليّ سأدفعه
ولو كان ألف نعجة .. (بكاء) لكن
اللعيبة الجنية لم تتركه يبحث
.. عشقته وتلبسته ثم قتلته .

المساعد (بغضب): لا تكمل .. اسكت
(لحسان) وماذا حل بمهيدي بعد
ذلك ؟

حسان : المسكين كانت صدمته قوية
، غاب عدة أيام عن القرية وقيل
أنه ذهب يبحث عن عروس لنفسه
.. وذات مساء دخل عليّ بهيئة رثة
ومنظر مزري و..

(إظلام - إنارة على مشهد المدرسة
- مهيدي مع حسان بهيئة مزرية
وذقن طويلة)

حسان (بمواساة): هكذا يامهيدي
انقطعت عني .. لم أعد أستلذ
بشرب الشاي بدونك .. أين كنت
يارجل؟ (بممازحة) قيل لي أنك
ذهبت تبحث عن عروس!!

حسان (بدهشة شديدة): يامختار
هل جنت ؟ إنها بعمر بناتك .. ثم
أننا جئنا وخطبناها لابنك وليس
لك .

أبو مهيدي : أنت ابن مدينة ولا
تعرف عاداتنا . لا تتدخل

حسان : لكن ابنك مهيدي ..

أبو مهيدي : هو قادر على أن يجد
له عروسا أخرى وسأخطبها له
وأدفع له مهرها ولو كان ألف نعجة
مهيدي (يقف غاضبا): يا أبي
تعقل .. أنت تسرق مني الفتاة التي
أحببتها .

أبو حلوم : اخرس يا مهيدي .. بنتي
لا تعرف هذه المسخرة التي تسمونها
حبا

(يخرج مهيدي غاضبا)

حسان : يعني أفهم يا أبا حلوم أنك
موافق على ما طلبه المختار أبو
مهيدي ؟

أبو حلوم : لم لا .. أبو مهيدي رجل
ولا كل الرجال .. لكن .. بصراحة
يا أبا مهيدي نحن اتفقنا على المهر
على أساس أن العريس مهيدي
.. أما الآن ..

أبو مهيدي : اعرف .. كم تريد أن
يكون المهر ؟

أبو حلوم : مائة نعجة وبقرتان
ومئتي ألف ليرة و..

(إظلام - إنارة على المخفر)

مهيدي: صحيح .. ذهبت أبحث عن عروس.

حسان : الفتيات موجودات في القرية هنا ، لماذا لاتختار واحدة منهن بدلا من التعب والبحث في القرى الأخرى؟

مهيدي :وهل تضمن لي أن العروس التي سأختارها لن يخطفها أبي مني كما فعل مع حلوم

حسان : لا يا رجل..كانت مرّة ولن تتكرر..أنا أضمن لك أنها لن تتكرر.

مهيدي : أنت لاتعرف والدي يا أستاذ .. لكن ..(يضحك بما يشبه تصرفات مجنون) هذه المرّة لن يستطيع خطف العروس مني .. أتعرف لماذا ؟

حسان : لماذا ؟ مهيدي : لأن العروس هذه المرّة جنيّة.

حسان : جنيّة!!

مهيدي (بتأكيد): نعم .. جنيّة إنها أجمل من حلوم بألف مرّة ..

حسان (بأسى) : حسبى الله ونعم الوكيل ..الشاب بدأ يفقد عقله .. يامهيدي اهدأ .. أنت تتخيّل

مهيدي : لا أتخيّل يا أستاذ ..هنا في برارينا الجنيات يعشقن البشر أحيانا .. وأنا كنت ليلا في البرية قبل يومين عندما فجأة ..

(إظلام - إنارة على بقعة ضوء وسط المسرح - مهيدي مرتعب وأمامه فتاة مرتدية جلبابا أبيض اللون تمثل دور الجنيّة - موسيقا مرافقة توشي بأجواء السحر)

الجنيّة : لاتخف يامهيدي ابن أبي مهيدي ..أنا جنيّة من بنات الجان عشقتك من زمان

مهيدي(بخوف شديد): أعوذ بالله منك ..ماذا تريد مني .. الجنية: أريد الزواج منك ..تزوجني وسأغنيك حتى أرضيك ..

مهيدي : أتزوجك ؟! يا بنت الجان أنا لن أتزوج بعد حلوم التي خطفها أبي مني.

الجنية (تضحك بصوت غريب): تخاف ان يخطفني منك ..لايقدر بشر على خطف جنية ..إذا أردت سأجعل أباك يسوح في البراري ولا يعرف أحد له أثرا..هكذا سأنتقم لك.

مهيدي(برجاء) : لا .. أرجوك يا جنية..مهما فعل بي فهو أبي ..أعرف انه ذبحني عندما خطف حلوم مني .. لكنه أبي .. لاتؤذيه أرجوك.

الجنية : إذن تتزوجني ..تحضر والدك ووجاهة من أهل قريتك إلى هنا بعد يومين قبل أن ينبج الذئب عند المغارة الفوقانية ..تطلبون يدي

(إظلام - إنارة على بقعة ضوء -
أبو مهدي وبعض الرجال ومهدي
والدرويش)

الدرويش: شنتوت شنتوت .. اظهري
يا بنت الجان وعليك وعلينا الأمان
.. جئنا وجاهة كبيرة لنخطبك
لمهدي ابن أبو مهدي .. احضري
احضري بالعجل العجل .. ششنتوت
شنتوت

أبو مهدي : منذ ساعات ونحن هنا
يادرويش .. يكاد النهار يطلع وهي
لم تأت ..

الدرويش (بحركة من يصفي
لأصوات ما) : هس... إنها تتحدث
معي.

رجل: أسألها لماذا لم تظهر؟
الدرويش : شنتوت شنتوت .. تقول
أننا تأخرنا وعوى الذئب عند المغارة
الفوقانية لذلك غضبت وستلبس
جسد مهدي الآن!

أبو مهدي : افعل شيئاً يادرويش ..
امنعها أن تسكن جسده .. ستعذبه
..

الدرويش : لافائدة .. انا أراها وهي
تنسل وتدخل جسد مهدي
(مهدي يتلوى ويصرخ متألماً مع
حركات غريبة)

أبو مهدي (بتألم) : ماذا تفعل به
اللعينة ؟ أنها تعذبه يادرويش ..
افعل شيئاً أرجوك

.. وإذا تأخرتم سألبس جسدي
وتعرف بعدها كيف سأعذبك (إظلام
جزئي يخفي الجنية)

مهدي : يا جنية .. لكن .. انتظري
حتى أفهم منك .

(إظلام - إنارة على المدرسة -
مهدي وحسان)

حسان: كان الله بعونك .. اهدأ بينما
أعد الشاي لنشربه معا .

مهدي : لاوقت عندي يا أستاذ
.. يجب أن اذهب بالحال وأخبر
والدي ليجهز نفسه ويجمع الوجاهة
لنذهب ونخطب الجنية في الموعد
الذي حددته .. هذه جنية لامزاح
معاها يا أستاذ .

(يخرج مسرعاً وهو يضحك بجنون
- إظلام - إنارة على المخفر)
المساعد : إذن جاءك ابنك وقد
أصابه الجنون .. لماذا لم تخبرني
بذلك حتى الآن

أبو مهدي : لم يكن مجنوناً يا
سيدي .. كان مسحوراً .. سحرته
الجنية ، وشخصياً فرحت كثيراً
عندما أخبرني لأن ابني سيتزوج
جنية .. اسأل أهل القرية .. شكلت
وجاهة كبيرة تليق بمقام بنات الجن
وأخذنا معنا الدرويش أبو مبخرة
وذهبنا ليلاً للمكان الذي حددته
وفي الموعد الذي ضربته .. تماماً
قبل أن يعوي الذئب عند المغارة
الفوقانية ..

الدم يسيل من جسده بسبب الجلد الدرويش : لاتخف .. هذا ليس دمه .. إنه دم الجنية (يستمر بالجلد)

(إظلام - إنارة على المخفر)

أبو مهيدي : وهكذا ياسيدي بعد أيام على جلد الجنية خرجت من جسد ابني على يد الدرويش أبو مبخرة .. أخذناه وداوينا جراحه عند الأطباء في المدينة وعدنا به صاغاً سليماً .. لكن اللعينة عادت تلاحقه فصار يخرج ليلاً يشرد في البرية ولا يعود الإصباحا .. كان يلتقي بها

المساعد : حسبي الله على ما فعلته بابنك يا مختار (لحسان) هل رأيت مهيدي خلال هذه الفترة يا أستاذ ؟

حسان : نعم .. قبل العثور على جثته بيوم جاءني للمدرسة وقد ازداد استلاباً وعليه علامات الإجهاد من كثرة ما جلده الدرويش ليخرج الجنية من جسده ...

(إظلام - إنارة على المدرسة - مهيدي وحسان)

حسان : سامحهم الله على ما فعلوه بك يامهيدي .. انتظر ساعد الطعام ونتناول طعام العشاء معا

مهيدي : لاوقت لدي يا أستاذ .. إنها تنتظرني

حسان : عدنا لنفس الأوهام .. الجنية تنتظرك؟

الدرويش : لاتقلق .. خذوه لداري وسأجلدها حتى تخرج من جسده .. خذوه بالعجل العجل

(يحمل رجلان مهيدي - إظلام - إنارة على المخفر)

المساعد : يبدو أننا دخلنا في متاهة كبيرة .. جنية ودرويش ولا أعرف ماذا سيستجد ..

أبو مهيدي : اللعينة سكنت جسده يا سيدي .. طلعت قليلة الذمة .. غدارة .. لهذا أخذناه لبيت الدرويش أبي مبخرة .. أرسلت للمدينة من اشترى لي من سوق العطارين البخور المستكي وعرف الديك والعصفر الأصفر وكل ما طلبه الدرويش أبو مبخرة من مستلزمات إخراجها من جسده ..

(إظلام - إنارة بقعة ضوء يظهر فيها مهيدي مقيدا بحبال والدرويش يجلده بقوة ومعهما أبو مهيدي)

الدرويش : اخرجني من جسده وعليك الأمان .. اخرجني من بين أصابعه أو من شعر رأسه أو من حيث ما شئت ولن أتعرض لك أكثر (وهو يهز المبخرة فوق جسد مهيدي) اخرجني بحق البخور المستكي وعرف الديك والعصفر الأصفر وسن التمساح .. اخرجني (بحركة من يصغي لصوت ما) ماذا ؟ لن تخرجني .. إذن سأجلدك وأحرقك (يعاود الجلد) أبو مهيدي : أرجوك يادرويش ..

ليهدي : نعم .. قالت لي أنها بعد
أن خرجت من جسدي ازدادت
عشقا لي .. تعشقني أكثر من
حلوم التي خطفها أبي مني .. لذلك
حددت موعد العرس الليلة بشرط
ألا يذهب أحد غيري إليها .. هل
تعتقد أنها ستغدر بي كما فعلت في
المرّة السابقة وتسكن جسدي أم
تتزوجني بدون غدر؟

حسان : يامهيدي هداك الله اهدأ
ونم الليلة عندي في المدرسة ..
كل ليلة تشرد في البراري معرّضا
نفسك لمخاطر الوحوش والذئاب.
مهيدي (يخرج من جيب جلبابه
خنجرا): اطمئن يا أستاذ ..
الوحوش والذئاب لاتغدر .. أنا لا
أخافها .. لكن الجنية قد تغدر بي
كما غدر بي أبي .. لذلك أعطاني
الدرويش أبو مبخرة هذا الخنجر
.. إنه خنجر مجلوب من بلاد الصين
ومبخّر بصفيرة تتين وهو قادر على
قتل الجن .. قال لي إذا شعرت أنها
لن تتزوجك وستغدر بك عاجلها
واطعنها به .

حسان (يبتسم): على فرض صحة
ما قاله الدرويش .. هل أنت ذاهب
لتنزوج الجنية أم تقاثلها
مهيدي : لأتزوجها طبعاً .. لكن
الحذر واجب كما قال الدرويش أبو
مبخرة (يقف ويتحدث بهستيريا)
يجب أن أذهب الآن .. إنها تنتظرني

أبو مهيدي (يقف وبغضب): لايهمني
ضبطكم .. أنا سأنتقم منها .. والله
وأمان الله لن أترك درويشا صاحب
مبخرة إلا وأحضره ليحرقوها
ويأخذوا ثأري منها .. دم ابني لن
يذهب هدرًا .

المساعد : بل اكتب .. وبناء على سماع
أقوال الشهود الواردة أسماؤهم
أعلاه تبين أن المغدور كان مصابا
بمرض نفسي وقام بالانتحار من
خلال طعن نفسه بخنجر كان معه

المساعد : أكتب .. وبناء على سماع
أقوال الشهود الواردة أسماؤهم
أعلاه تبين أن المغدور كان مصابا
بمرض نفسي وقام بالانتحار من
خلال طعن نفسه بخنجر كان معه

لبلباسها الأبيض مع موسيقى موحية
بعوالم السحر)

الجنية : لا أعرف أن كنت قتلت
مهيدي أم لا .. بل لا أعرف ان كنت
موجودة في هذه المسرحية أم لا
..عادة أكون موجودة في الحكايات،
لكن لم يحدث أن قتلت الذي عشقته
من بني الإنس، فلماذا حملوني دم
مهيدي وأنا لا أعرف نفسي
(تخرج الجنية من بقعة الضوء -
يدخل حسان)

حسان : بصراحة أيها السادة أنا
كرئيس المخفر مختار في تحديد
من قتل مهيدي ليلة خطوبته على
حلوم ... عفوا .. أعني ليلة عرسه
على الجنية ، لذلك أرجوكم بعد
ذهابكم لئلا نالكم فكروا وقد تصلون
لتحديد هوية القاتل ..وقد تكون
الجنية .. من يدري!!

(ستار)

المساعد (بحدة وغضب) : بحق الله
اسكت يامختار .. لم أعد أستطيع
سماع كلمة واحدة منك ..اسكت
(إظلام - تثار بقعة ضوء في مقدمة
المسرح يدخل إليها أبو مهيدي وهو
يبكي)

أبو مهيدي : يا ناس .. لماذا
لايصدقني رئيس المخفر و يكتب
في المحضر أن الجنية هي المجرمة
التي قتلت ابني مهيدي .

(يخرج أبو مهيدي من البقعة المنارة
ويدخل الدرويش مع مبخرتة)

الدرويش: لقد وعدت أبو مهيدي
أنني سأخذ له بثأره من الجنية
..سأحرقها بالبخور الصيني
والبخور المستكي وعرف الديك
وسن التمساح ... (يهز المبخرة)
شنتوت شنتوت الجنية يجب أن
تموت ..

(يخرج الدرويش من البقعة المنارة
- تدخل الفتاة التي تمثل الجنية

عبد الوهاب السيد الرفاعي^(١) : (البيان) : لا أحب أن أتذكر الأيام السوداء في حياتي



أجرت الحوار: أميرة عزام *

استطاع الكاتب الكويتي عبد الوهاب السيد أن يضع لنفسه بصمة خاصة في الكتابة من خلال اختياره لنمط معين من المواضيع التي لاقت قبولا شعبيا لدى الناس. وأصدر العديد من الأعمال الأدبية، كما أسس داراً للنشر، وهو اليوم عضو مجلس إدارة في رابطة الأدباء. مهنته في الهندسة لم تصرفه عن موهبة الكتابة، ولديه معاناته الخاصة التي تغلب عليها وحولها إلى عمل إبداعي.

* صحافية من مصر مقيمة في الكويت.

● من اكتشف موهبتك الأدبية.. وكيف؟

- أعتبرها اجتهداً أدبياً أكثر من موهبة ، وتم اكتشاف ذلك بالصدفة في مجلة الهيئة العامة للبيئة واسمها (بيئتنا) إذ صدر تعميم بالمشاركة فيها .. ورفضت في البداية ظناً مني بأنني لا أجيد الكتابة .. ثم حاولت رئيسة القسم إقناعي بالمشاركة خاصة مع قلة المحررين بها فكتبت مقالة علمية ولازلت أذكرها (ماذا لو أظلمت الشمس) وهي مقالة علمية تصويرية للحياة إن أظلمت الشمس كم سيستغرق موت الحياة على الأرض ، وهي مقالة علمية أدبية سجلتها في نهاية دوامي ذلك اليوم وتركتها لأرى إعجاب الزملاء الكبير بها .. فنشرتها وأنا أشعر بحلاوة المشاركة مع اسمي.

● وكيف تطورت الأمور بعد ذلك؟

- مع الأيام .. وجدت الجميع يمدحون كتاباتي ومعلوماتي مما شجعني كثيراً على الاستمرار .. حتى وجدت كتاباً من زميلة لي يجمع معلومات .. وكنت دائماً أظن أن الكاتب إنسان خارق وربما من عالم آخر .. ولكن كتاب زميلتي أثبت لي أن أي شخص يمكنه أن يصدر كتاباً .. فخرج إلى النور أول كتاب لي وهو (وراء الباب المغلق) عام ١٩٩٩.

● وعم يتحدث كتابك الأول؟

- يناقش ٢٢ ظاهرة من ظواهر الطبيعة منها كهوف تاسيلي ومثلث برمودة والأطباق الطائرة وغيرها ، وهو كتاب علمي مصاغ بطريقة أدبية ما جعل الناس تحبه وتقبل عليه .. خاصة وأن معلوماته سهلة تفهمها كل الأعمار .

● هل أصقلت موهبتك بالدراسة المتخصصة؟

- لم أحصل على أي دورة ولكن القراءة والقراءة فقط .. فأنا قارئ نهم جداً أقرأ من عمر سبع سنوات مجلات الأطفال حتى كبرت وكبرت معي الكتب .. قرأت ألف رواية على الأقل من الأدب البوليسي والخيال العلمي.

● كيف كانت بداية النشر لكتيبك؟

- كانت بداية ذليلة عام ١٩٩٩ عند إصداري الأول لأن الجميع وقف ضدي بحجة أنه مشروع فاشل سوف يخسرني أموالاً طائلة دون فائدة فالكتاب يكلف حوالي ٢٠٠٠ دينار تقريباً وهو مبلغ كبير خاصة لشاب في بداية حياته ربما يورثه دينا لا يطيقه .. وفعلاً اقترضت المبلغ من الأقارب لإصداره ..

● وهل وجدت مشكلة بعد إصداره؟

- نعم، بالطبع ، فقد رفضت المكتبات أن تتبناه لأنني كاتب مبتدئ في ذلك الوقت .. فكنت مضطراً أن أحملها في كيس وأجول لبيعها .. لا أحب

إنجاز مهول على الأقل استطعت أن
أغطي تكاليف الطباعة.

• وما هو إصدارك التالي؟

- بعدها بعامين ألفت كتابي الثاني
(خلف أسوار العلم) أول موسوعة
عربية متخصصة في علوم ما وراء
الطبيعة .. وهذا الكتاب كان بمثابة
الصاروخ في المبيعات لأنه يناقش
الظواهر الطبيعية بطريقة محايدة
وموضوعية وكان النقاش خلاله
علميا بحثا .. مثال الأطباق الطائرة
من يؤيدها ومن يعارضها ولماذا ،
ناقشت مثني ظاهرة منها حوالي
مائة لم يتم ذكرها بأي مرجع عربي
وهو ما أحدث ضجة كبيرة في
المعرض.

• هل تنوعت إنتاجاتك أدبيا بعد ذلك؟

- بخلاف علوم ما وراء الطبيعة
والغوامض وبداية من الإصدار
الثالث دخلت في مجال الرواية.

• كم كتابا أصدرت وفي أي مجال؟

- ١٤ كتابا في ثلاثة مجالات :
أدب الرعب وأدب الخيال العلمي
والأدب البوليسي وأيضا في الأدب
الاجتماعي أو الدراما ولكن بصورة
أقل.

• وما هي عناوينها؟

- وراء الباب المغلق - خلف أسوار
العلم - الأبعاد المجهولة ١ - الأبعاد
المجهولة ٢ - حكايات من العالم
الآخر - في الجانب المظلم - ١٧
- زيارات ليلية - رسائل الخوف

• موهبتي اجتهد أدبي وليد الصدقة !

• قرأت أكثر من ألف رواية !

أن أذكر هذه الأيام السوداء ..
× ولكن بنظري ونظر جمهورك هذه
أيام الكفاح الضرورية لحبكة رواية
حياتك ، أليس كذلك؟

- أنا قبلها بعام متخرج من أمريكا
وعميد الجامعة قد هنأني وتمنى
لي حظا سعيدا كمهندس .. فهذا
الموقف الصعب لا أعتقد أنه ذكرى
جيدة .. ولكن من ناحية كافحت
فأنا «تبهذلت» بالإصرار على
النجاح والسعي لبيع كتيبي في كافة
الأماكن مما جعل البعض يتعاطف
معي والآخر يسخر مني ظنا بأنني
لست كويتي .. إلى أن اقترحت
والدتي أن أبيع كتابي ضمن مكتبة
زوج خالتي والتي تشارك بمعرضها
قريبا .

• وهل قبلت المكتبة استقبال كتابك الأول؟

- نعم أخيرا وأشكر العم يوسف
القطان لأن له فضلا كبيرا في
انتشاره. فقد تفاجأت بأن كتابي
هو أكثر الكتب مبيعا في ذلك
المعرض.

• هل حققت مردودا ماديا قويا حينها؟

- الحمد لله نعم .. طبعت منه
٢٠٠٠ نسخة تم بيع أكثر من ثلث
الكمية وهذا بالنسبة لأول إصدار

• تفاجأت بالإصدار الأكثر مبيعا

!!

• إصداراتي القادمة أخص بها

البيان ..

• نصيحتي دائما كلمة واحدة

؟.....

• وهل استمرت حتى الآن؟

- نعم ، قدمت حوالي ١٦ دورة بالنادي العلمي وجامعتي الكويت والخليج ومشروعي المجلس ودوافع ورابطة الأدباء والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، وتطلب حاليا في دول المجلس.

• وما هو محتواها الأدبي؟

- قرأت ثمانية كتب استخلصت منها الفائدة والمحتوى أتطرق فيه للتفريق بين الأنواع الأدبية كالرواية والحكاية والقصة القصيرة والقصيرة جدا وأنواع هذه الكتابات بالتفصيل، هل هي رعب أو خيال علمي أو دراما أو مغامرات أو غيره ، ومميزات وعيوب كل نوع منهم وأنواعهم كما أطرح الأمثلة لذلك .. وأوضح اعتماد كل قصة على الثيمة والحبكة والشخصية والأحداث ، مما ينوع الأفكار ويفتح الآفاق أمام الكاتب ليبدع بفكر جديد وشكل مميز.

• ما هي خطتك الحالية؟

- توزيع إصدارات نوبا في بعض المكتبات وليست إصداراتي أنا، فهي حصرية على المعارض ، والاشتراك

٢٠١ - بعد منتصف الليل - منطقة الغموض - حالات نادرة ٢٠١ .

• وما هو أكثر نوع ركزت عليه؟

- كل كتاب لي هو مجموعة من القصص ضمن رواية مثل إخوة يجتمعون كل منهم يناقش قصة غريبة وبذلك أشمل الأنواع المذكورة.

• وما هو أقرب كتبك إليك؟

ولماذا؟

- رسائل الخوف وحالات نادرة ٢ ، لأنهما أقرب إلى شخصيتي كما تعبت جدا في حيكتهما .

• كيف توزع كتبك حاليا؟

- عن طريق دار نشر نوبا التي بدأت في ٢٠١١ وأنا شريك بها مع الأديب خالد النصرالله .

• وكيف جاءت فكرة نوبا؟

- زميلتنا الكاتبة أبرار الفصاحب اقترحت إنشاء دار للنشر لتفادي تحكم الدور الأخرى بالمؤلفين ولتبني المواهب الجديدة.

• وما معنى نوبا؟

- تأثرت في صغري بسلسلة نوبا للخيال العلمي للكاتب المصري رؤوف وصفي كما أن المصطلح يعني انفجار يطول لنجم في السماء.

• وماذا عن دوراتك الأدبية؟

- في السرة عام ٢٠٠٩ قدمت أول دورة في بيت يسمى بيت خمسة لصاحبه ساجد العبدلي ، وقد أعددت منهجا كاملا لمداخل القصص (كيف تؤلف كتابا)

بمعارض أكثر .. كنا في الكويت والدوحة والشارقة وأبوظبي والآن ننوي المشاركة في البحرين ومسقط ورأس الخيمة والرياض.

● ما هي نصيحتك للشباب؟

- كلمة دائما أقولها لأولادي .. (لا تجعل الرفاهية تقتل الطموح) فوظيفتي لن تقدم لي كل ما أحتاج .. الشباب يحتاج لتطوير نفسه وذلك لا يكون إلا بالقراءة وملء الفراغ بها وهذا هو الفرق بين الأجيال القديمة والجيل الحالي الذي يبدو غير قادر

على تحمل المسؤولية ..

● وكيف يعد الجيل مسؤولاً؟

- في أمريكا واليابان يعطون الطلبة مسؤولية تنظيف مدرستهم أحيانا كما تحملهم مسؤولية القراءة مما يعلمهم ويؤهلهم للمستقبل .. أما الأب الجديد فهو ينصدم بالمسؤولية البيت والزوجة والأبناء خاصة إن كانت الأسرة كبيرة .. لذا يجب على كل والد أن يعلم ابنه المسؤولية ويساعده على التفكير وتنمية قدراته ومواهبه .



(١) كاتب من الكويت حاصل على بكالوريوس هندسة كيميائية من جامعة تلسا بولاية أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٧ . يعمل مهندسا كيميائيا بالهيئة العامة للبيئة.

أحمد وبن محمد حامد بن آلا الحسن الشنقيطي بين الفقه والأدب

بقلم: د. غسان عثمان بكر *

عندما كنت طالبا في مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم- كنت أسمع عن شيخ في العربية .. يقولون عنه: إنه علامة وفهامة وهو من أعلم الناس ، وكان ذلك في عام ألف وتسعمئة واشتتين وتسعين ميلادية ، وربما كنت أظن أن الناس تبالغ في ذلك .. إلى أن قدر الله - تعالى - أن ألتقي بذلك الرجل بعد فترة من الزمن ، فوجدت ذلك الشيخ النحيل والضعيف الجسم الذي بلغ السبعين من العمر... ، وكان ملازما لمسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- صباحا ومساء لا يكاد يفك عنه ، وكنت أجد حوله رجلا أو رجلين أو ثلاثة على أقصى تقدير ، وعندما سألت عن قلة الطلاب من حوله، قيل لي: إنه لا يملك تصريحاً حتى يدرس ، وكان لا بد من تصريح لذلك، وربما منع مرارا من التدريس لهذا السبب.

ودارت الأيام ، وقدر الله تعالى لزميل لي أن يدرس عنده ألفية ابن مالك، وبعد أن بلغ معه ما شاء الله أن يبلغ أخبرني بأن هذا الشيخ موسوعة لغوية عظيمة ، وخسارة عظيمة تفويت الفرصة في الدراسة عليه ، فقررت بعد ذلك دراسة شيء من المتون عليه ووقع الاختيار على كتاب « تفسير المشكل من غريب القرآن » للعلامة : مكي بن أبي طالب القيسي ، المتوفى عام أربعمئة وسبع وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام... ولك أيها القارئ أن تسألني ماذا وجدت؟ .. لقد وجدت عجايا عجابا ، وجدت رجلا : جل علوم اللغة بين يديه يأخذ منها ما شاء ويضع ما شاء ، يستشهد لكل معنى من معاني القرآن لا أقول ببيت واحد من

* كاتب من فلسطين مقيم في الكويت.

يتوقف في شيء ، بل إن الطلاب يقرؤون عليه في كل الأوقات تقريبا ، فهو يكون في مسجد النبي- صلى الله عليه وسلم- بعد الفجر وبين المغرب والعشاء وبعد العشاء ، وأما في بيته ففي الصباح وبعد الظهر وبعد العصر وفي الليل ، وهو مع هذا كله لا يرد أحدا بل يتلطف في الكلام ، ولا يأخذ على التدريس أجراً ولا مقابل.

كان هذا الشيخ الفاضل من أشد الناس تواضعا ، يتلطف لمحدثه وينزل إلى مستواه مع فارق السن ، مما جعله محبوبا بين الناس وبين طلابه كذلك ، وكان كثيرا ما يستشهد بالشعر حتى في كلامه العادي.... وكان بيته متواضعا كذلك ليس فيه أي شيء من أنواع التكلف ، وربما من رأى حاله يرق له لبعده عن زخارف الدنيا ، وكان مشغلا بالعبادة ما بين صلاة وصيام وتعليم ، لا يأكل من الطعام إلا النزر اليسير ، وكان جل طعامه التمر واللبن ، ونادرا أن يأكل غيرهما ، وربما يأكل يسيرا من اللحم ، وقد لا يكون تام النضج.

في ذات يوم كنت في زيارة لأحد مشايخ المدينة الفضلاء ، وهو الشيخ: عبد الرحمن بن عوف كوني ، وهو من بلد إفريقي هو « بوركيما

العربية بل بأبيات ويسردها سرداً كاسمه تماما ، وليس هذا فحسب ، بل ويعرف معانيها ويستشهد لها ، وينظم أبياتاً من عنده في تفسير غريب القرآن ، وكان يكثر الاستشهاد من مثلثات ابن مالك وهو الكتاب الموسوم بـ « الإعلام بتلخيص الكلام » وهي منظومة طويلة تقع في زهاء ثلاثة آلاف بيت ، وعلمت أنه يحفظها ، وقرأت عنده جل الكتاب واستفدت منه فوائد جمّة ، وكنت حينها أراقب من يقرأ عليه فوجدت من الطلبة من يقرأ « ألفية ابن مالك » ومنهم من يقرأ « أوضح المسالك في شرح الألفية » لابن هشام ، ومنهم من يقرأ ديوان المتنبّي ومنهم من يقرأ : ديوان ذي الرمة الذي يقال فيه : إنه ثلث اللغة ، ومنهم من يقرأ المعلقات السبع أو العشر ، ومنهم من يقرأ ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي ، ومنه من يقرأ « المقصور والممدود » لابن مالك ، ومنهم من يقرأ « لامية الأفعال » لابن مالك ، ومنهم من يقرأ « الاحمرار » لابن بونا الجكني ، وهي ألفية في النحو ، بل وزيادة على ذلك يقرؤون على الشيخ الفاضل كتب فقه المالكية لا سيما « مختصر خليل » ، والشيخ في ذلك كله يصحح لهم نسخهم ويستشهد لما يقوله بأبيات كثيرة لا

خامسا: عدم الخلط بين فنيين رئيسيين ، والاقتصار على فن واحد عظيم وفي ذلك يقول قائلهم: وفي ترادف العلوم المنع جا ****

سادسا: اختيار وقت السحر لمراجعة المحفوظات ، وهذا الوقت هو قبل أذان الفجر بساعة ، بل كانوا يزجرون عن النوم في هذه الساعة.

سابعا: عقد المناقشات والمناظرات والجلسات المختلفة لمناقشة العلوم المختلفة.

ثامنا : الاقتصار على ما يحتاجه الإنسان في حياته العملية ، فإذا وجد طالب مثلاً يدرس الفقه ووصل إلى كتاب الحج ، وهو لم يتهيأ للحج بعد ، يتجاوز إلى ما بعده.

تاسعا : تحويل المنشور إلى منظوم إن أمكن لأنه أرسخ في الحفظ .

هذه بعض الأسباب التي استعان بها إخواننا الشناقطة على الحفظ والإتقان

ثم إن شيخنا الفاضل انتقل في أواخر حياته إلى بلده الأصلي الذي نشأ فيه وهو «موريتانيا» حتى يستفيد منه الطلاب ، وتوفي هناك في الربع الأول من شهر إبريل من عام ألفين وسبعة ميلادية بعد حياة حافلة في العلم والتعليم والإتقان

فاسو» التي كانت تسمى « فولتا العليا» وعاصمتها « وجادوجو» .. كنت في زيارة له ، وسألته عن أخذت علمك الوفير فأجابني من الشيخ « أحمدو» فقلت له : الشيخ - حفظه الله- وكان وقتها حيا يحفظ كثيرا من الأشعار حتى ربما أظن أنها تبلغ زهاء مئة ألف ، فقال لي : سبحان الله وهل تشك في ذلك ، بل أكثر من ذلك ، فإنه يحفظ جميع شعر قبيلته، وما أكثره.

كان الشيخ يتحدث يوما عن نفسه فيقول : كنت أذكر عندما كنت صغيرا قد حفظت المعلقات، وكان ذلك دون البلوغ ، وذلك بعد حفظ كتاب الله طبعاً .

وقد يتساءل أحدنا فيقول من أين لهؤلاء الشناقطة هذا الحفظ كله، وأقول هذا يرجع لأسباب منها:

أولا: تقوى الله فهي أساس كل نجاح.

ثانيا: بعدهم عن زخارف الدنيا وملهياتها ، وعدم الاكتراث بها .

ثالثا: القدوة الحسنة في الآباء والأجداد .

رابعا: تكرارهم الشديد والعظيم للمحفوظ ، مع المراجعة المستمرة وعدم التواني في ذلك وربما يصل التكرار في المتوسط من مئة مرة إلى ألف مرة.

وبعد أن جاور في مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنين طويلة
بذل فيها العلم لأهله وأفاد منه
الناس ... فرحمه الله تعالى رحمة
واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ...
ولا يسعني إلا أن أرثيه بقصيدة
كان يحفظها كاسمه ، وهي لأحد
الشناقطة قبله ، وهو الشيخ :
محمد بن حنبل البوحي . يقول
فيها :

هو حلي المرء في أقرانه
وهو عند الموت زحزاح الكرب
وهو نور المرء في اللحد وإذ
ينسل الأقبام من كل حدب
يا غريبا يطلب العلم اضطرب
إن مبدا العلم من قبل غرب
ما سعى في الريح ساع سعيكم
بل سواكم سعيه جد نصب
إن تقولوا منعنا درسه

فكأن المزن تبكي ملحدا
في ربي العقل بدمع منسكب
يالها من غاديات قد كفت
ماتح العقل لها شد الكرب
فتجلت بلجين حولها
من نضير الثبت أبراد قشب
وشنوف الطلح قد نيطت به
كشنوف الغيد خضرا تضطرب
والحمام الورق تشدو بالضحي
فتذوب النفس شوقا وطرب
إن خير الزاد يا صاح التقى
فبه المجد التمس لا بالنسب
جرع النفس على تحصيله
مضض المرين ذل وسغب
ودع المال إلى تطلابه
تكتسبه فلنعم المكتسب

أزم الدهر والأعوام الشهب
قلت هل يحتال في دفع العصي
من أظلمته الحسامات القضب
فكأنني بذوي العلم غدا
في نعيم وحبور وطرب
يحمدون الله أن عنهم جلا
كل حزن وعناء وتعب
بادروا العلم بدارا قبل أن
يبغت الحين بهول وشغب
صاح لا تلف بجهل راضيا
فذوو الجهل كأمثال الخشب
لا يزهديك أخي في العلم أن
غمر الجهال أرياب الأدب
زيد البحر تراه رابيا
واللآلي الغر في القعر رسب

لا تسؤ بالعلم ظنا يا فتى ولو أرسلت عناني في مدى
إن سوء الظن بالعلم عطب ما بدا لي من أساليب العرب
إن تر العالم نضوا مرملا ومن الحث لأرياب النهى
صفر كف لم يساعده سبب لقريت الأذن منها بالعجب
وترى الجاهل قد حاز الغنى غير راو خافض مرفوعه
محرز المأمول من كل أرب ناصب مخفوضه أو ما انتصب
قد تجوع الأسد في آجامها ونزوح الفهم عن ميزانه
والذئاب الغبس تعتام القتب ليس يدري كاملا من مقتضب.



رجال في الذاكرة

د. عبد الرحمن السميّط (رجل الخير)

بقلم : أمل عبد الله *

عندما وطئت قدماه لأول مرة أرض أفريقيا حيث الفقر والجوع والمرض وقف عبد الرحمن السميّط أمام المشاهد المحزنة مذهولاً مسلوب الإرادة، توقف عقلة عن التفكير، أخذ يجول النظر في مشاهد المأساة التي يراها أمامه، اعتصره الألم وهو ينظر هنا وهناك بين مأساة وأخرى، وأيقن بأن من يرى ليس كمن يسمع.

سرح بعيداً وهو يقارن بين فقر عرفه في بلاده قبل أن يتدفق الخير العميم، حيث الفقر في بيوت متعقفة مغلقة لا يكاد يعرفها أحد إلا من كان قريباً منها.

فأيقن أن الفقر في العالم لا يقاس ولا يقارن بما يشاهد أمام عينيه. حيث الناس حفاة عراة التصق جلدها بعظمها وانطفأ في العيون بريق النظر. وجف اللسان حابساً نداء مسكين يسأل الغوث والعون. حمد الله كثيراً على نعمه وأخذ يلتفت يمينا ويسارا فيرى رجلاً عجوزاً قد تكور في ذل ومسكنة لا أحد يلتفت إليه، وامرأة عجوزاً انشغلت عن الواقفين بالبحث في مخلفات الشجر الجاف عن لقمة تقيها الجوع القارس. وأما هناك لجأت إلى جذع شجرة عجفاء أصابها الجفاف كحالتها تحتضن طفلاً غاض في وجهه ماء الحياة تحاول أن تلقمه

* إعلامية من الكويت

ثدياً جف وتهدل بفعل عوامل
الفقر والطبيعة.
فسبح بحمد الله وشكره على ما
أنعم الله به على بلده من خير
عميم وشبع يكاد يفيض عن
الحاجة.
فقرر أن يبقى بعد التوكل على
الواحد الأحد رب الناس جميعاً،
نعم قرر أن يبقى ويقدم ما
يستطيع ويقدر عليه، ما استطاع
إلى ذلك سبيلاً.
شد أزر نفسه إيماناً بقدرة الله
سبحانه وتعالى، سائلاً مولاه أن
يعينه على ما نوى.
وكلنا نعلم أن الله لا يخيب رجاء
راج ولا أمل أمل.
وهكذا، شمر ساعد العمل، وأخذ

يحضر الآبار ويشيد البيوت، يبني
المساجد والمدارس ويقدم العلاج
والدواء.
قدم الكثير والكثير.. مالاً وجهداً
ووقتاً كان أولاده أحق به.
لكنها النفس الخيرة التي جبلت
عليها نفس هذا الرجل.
استمر يعمل ويعمل سقى ملايين
العطشى، أشبع الجياع، هدى
التائه وأرشد الضال إلى رحاب
الإسلام، حتى حان حينه فانتقل
إلى الرفيق الأعلى مصحوباً
بدعوات المساكين والفقراء، أسبغ
الله عليه نعمائه ذهب يسبقه
الخير إلى جنان الخير في رحاب
فردوسه الأعلى.

سليمان الفليح (عاشق الصحراء)

أبا سامي
أيها الرجل الذي تسربت أعطافه
بحب الصحراء منذ عرفتك قبل
سنين لا أدري كم هي، أكثيرة أم
قليلة، لكنها مرت علينا كمر
السحاب.
كنا نتجاذب أطراف الحديث،
تغيب ثم نلتقي في أمسية

أو تجمع ثقافي، أراك كما رأيته
أول مرة، حاملاً هموم البشر،
ساخراً منها، مزدريها. فكنت
أقول لنفسى: كيف لهذا الرجل
أن يحمل الهموم ويزدريها في

أن واحد؟ حتى التقيتك في
آخر زيارة للكويت حبيبتي التي
تطوي الجوانح على حبها.

نعم رأيته آخر مرة في أمسية
برابطة الأدباء. وكنت أمل أن
أراك مرات ومرات ولا تفارقنا
هكذا على عجل، فاجعاً محبيك
وأخوتك قراءك في الأرض التي
تعشق.

رأيته في ذلك المساء باسم
مرحباً، سعيداً، لأنك بيننا.

لكنني أحسست أن روحك
ليست كما كانت ساخرة هائلة
بل أحسستها، شاخت ، كبرت،
كأنها عاشت ألف عام من الهموم
والمعاناة.

أخي.. أبا سامي
عشت أخاً عزيزاً، شاعراً، كاتباً
فذاً.

خسرنا بالارتحال مرة.
ولكننا بالفقد خسرنا للأبد
وهذه مشيئة الله
فمن قرير العين يا عاشق
الصحراء

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Salhi.net>

قصة مترجمة

متاهة الاختفاء

تأليف: ماركو دينيضي (١)

ترجمة: حسين عيد (*)

كان للقصر الذي ولدت فيه «تريزلدا بالوميك» ثلاثة وأربعون جناحاً سكنياً وثمانين حدائق.

ثم توفي والدها «تريزلدا». ومات أخوتها لأنهم نكبوا بلدغة سرّية من هيكل عظمي، رغم أنّ كلا منهم كان من شباب العزّاب، وماتت أخواتها أيضاً وتركن جميعاً أزواجهن وأطفالهن.

لكن «تريزلدا» ظلت بمفردها واستمرت بالعيش وحيدة بانسجام مع الأجنحة الثلاثة والأربعين والحدائق الثمان. وكم اجتازت مشياً عبر الأجنحة شرفات وأماكن مظلة على مناظر رائعة. صعدت وهبطت سلالماً، تسللت بين غرف العلية والأسطح، زحفت إلى الأقبية، تسابقت على طول الممرات، وهرعت إلى أروقة عبر الباحات، متقدمة خلسة بين أثاث، مطبوعات حجرية، ومكرميات، مرفرفة عبر الحدائق مثل فراشة.

دارت شائعة في جميع أنحاء الحي أنّ «تريزلدا» قد أنجبت عشر أو خمس عشرة مرّة، لأنّه لم يكن ممكناً لـ«تريزلدا» وحدها أن تفتح كلّ تلك الأبواب الكثيرة، وأن تظهر كلّ تلك المرات في كثير من النوافذ.

كما جاء الجيران ذات مرّة من شهر يدعونها أن تعدّ إبريق شاي صيني أو انجليزي.

حين بلغت «تريزلدا» الستين، بدأوا يناشدونها:

- من أجل الإله يا «تريزلدا»، من أجل الإله. إنّ من العبث ألاّ تتذكّري

* مترجم من مصر.

مخاطر بل وتقريبا جرائم أن تعيشي وحيدة في هذه القلعة الهائلة. قد يحدث شيء رهيب ذات يوم عندما لا تتوقعين.

ثم يتشاورون معا بشكل لا يخلو من وحشية، مصدرين أصواتاً لمخاوفهم المرضية:

- أفيقي قبل أن يهاجمك بعض اللصوص ويخنقوك، أو يدفعوا خنجرا إلى قلبك!

اعترفت «تريزلدا» في النهاية أنها شعرت بالتهديد وعدم الراحة. وعلى الفور اتخذ أولاد أخيها الخطوات الضرورية.

وفي صباح أحد الأيام فرغت «تريزلدا» نفسها للقيام بزيارة إلى كاتب العدل كي تضع توقيعها على عدد من وثائق سخيطة ضخمة. وتوقفت ذات عصر في متجر بشارع «ودجوود» من أجل ترتيب شحنة أثاث لا غنى عنها لمنزلها، لأنها رغم كل شيء فعلت ذلك «من أجل الإله، يا تريزلدا، من أجل الإله»

تولى أولاد أخيها إزالة ما تبقى من أثاث، ثم استأنفت «تريزلدا» وحدها مآثرها المرحية.

اصطدمت في اليوم التالي بجدار. واصطدمت بعد ذلك بيوم بجدار آخر. غيرت اتجاهها فوجدت أنها قد طوقت بقطعة أخرى من الأثاث. دارت مرة أخرى فارتطمت بقطعة أخرى من الأثاث. استدارت مرة ثانية فاصطدمت بباب. فتحت الباب فلم تجد أي سبيل للدخول أو الخروج. تراجعت خطوة للوراء وخبطت بعنف على نافذة. وعندما حاولت أن تدس رأسها من خلال هذه النافذة، وجدت أنه لم يكن للنافذة أي جانب خارجي على الإطلاق، بل كان كلا جانبيها داخل المبنى.

تطلعت وتطلعت، وأينما كانت تتطلع تتوتر عيناها حتى كادت أن تتفجرا. وسرعان ما فهمت أنها وقعت في شرك متاهة. كانت قد طوقت بأفخاخ وشبكات من فوضى معمارية، مثل حيل وهذيان «ديدالوس» (٢) الفاسدة القاسية، دورات وشقليات لغز متشابك من شبكة عالمية يحرسها قنطور الموت.

لم يعد للصراخ جدوى: «لن يمكن لأحد من شارع «ودجوود» البعيد أن يسمعها».

بعد مضي شهر، بحث عنها أبناء أخيها في كل ركن من الحصن، جناحا وراء جناح، وغرفة وراء غرفة: فتشوا في المطبخ الأمريكي الطراز، وفي الحمام ذي البلاط المستورد، بل إنهم فتشوا أيضاً في أنابيب التهوية، لكنهم لم يجدوا أي أثر لها مهما حاولوا.

من يدري كيف أصبحت «تريزلدا بالوميك» المسكينة، بعد أن سحبت إلى متاهة لا يسبر غورها، ولن تتمكن أن تتحرر منها.

هامشان:

(١) ولد ماركو دينيفي (١٩٢٢-١٩٩٧) في إحدى ضواحي بوينس آيرس. كتب روايته الأولى «روزا عند العاشرة تماماً» عام ١٩٥٥ التي أصبحت أكثر الكتب مبيعاً وترجمت إلى الإنجليزية في وقت لاحق. له إنتاج متميز في مجال القصة القصيرة. ترجم هذه القصة إلى الإنجليزية جيلبرت آلتر - جيلبرت.

(٢) طبقاً للأسطورة اليونانية فقد صمم وبنى الملك «مينوس» متاهة أخفي فيها «الكنطور»، الذي يتكوّن من نصف رجل ونصف ثور، وولد من حبّ غريب لملكة كريت مع ثور بحري..

كان الملك «مينوس» قد حبس «ديدالوس» لكشف سرّ المتاهة، لكنه هرب ببناء أجنحة له ولابنه «ايكاروس»، الذي لم يطع تحذيراته وحلق قريباً من الشمس فذاب الشمع وسقط في البحر ومات غرقاً، بينما نجا ديدالوس بالهبوط سالماً في صقلية.

" الأسطة "

بقلم: فيصل خرتش *

جاءته الفكرة عندما كان يجلس مع مارو عند باب البيت، المساء كان حريراً بداية الربيع، رأى نوار شجرة اللوز، فتذكر ذلك اليوم، أو المساء الذي كان ناعماً حريراً، حين التقاها.

قوافل تسير كالنمل الأسود، كانوا قادمين من (بوزانطي)، ترافقهم الدرك، يمشون في وسطهم كماء النهر، لم يهتم الأسطة لكل ذلك، يجري كالماء دون أن يرى شيئاً مما حوله، يتساقطون، يموتون، تأكلهم الأمراض، حفاة... استسلم تماماً وضع بصره في الأرض... وسار حافياً مثلهم، هم مثله... الجميع يسكرون، والتيفوئيد والتيفوس يحصدهم.

عندما رفع رأسه، ابتسم، رأس شجرة النوار، وعندما تجاوزها اصطدم بعيني (مارو) ولا أحد يعرف لماذا تراقصت الابتسامة في عينيها كبريق سيف في الظلام.

مارو تستحق أكثر من ذلك، رافقته من (دوروك) إلى (أنطيلي)، عبر معها نفق (الأمانوس) وتفرجا معاً على القطارات التي كانت تنقل الجنود والذخائر من القسطنطينية إلى بغداد، وفي حلب رافقته في رحلة حياته.

" يحبها " هذه الكلمة لا تكفي، لأنها صارت جزءاً من روحه. إذا فتشنا أي جزء من أجزاء جسده فستجد مارو مزروعة فيه، ربما لأنه تزوجها صغيرة، ربما لأنها لم تظهر أي استياء في كل حياتها معه، ربما، ربما أشياء كثيرة تجعله يلم روحها، ويشمها بعمق كأنه لن يشبع منها أبداً.

في قيسارية قسطل الحرامي، لم يترك مهنة تعتب عليه، تعلم أن يصلح كل شيء، من الأحذية إلى الطواحين، وعندما استطاع أن يجمع ثمن آلة تصوير، ترك القيسارية وسكن في الهزاة، في بيت كامل، له باب ومفتاح، غرفتان وقبو ومربح ومنافعها وبئر في الباحة، وقد اشترى بارودة صيد خوفاً من سوقيات جديدة.

* كاتب من سوريا.

... تستيقظ مارو عندما يزقزق أول عصفور على شجرة الكباد... تنتشل الماء البارد بالقادوس من البئر، تغسل وجهها بكفها، وقد تشرب قليلا منه، ثم تبدأ بسقي أحواض الزرع، تقذف قواديس الماء في أرض الدار وتدير المقشة عليها، وعندما تنتهي، تعد القهوة على نار هادئة، وتجلس في انتظار الأسطة.

أصادور، لا يعرف من سمّاه بالأسطة، قد يكون ولد هكذا، فالجميع ينادونه به، منذ كان في زيتون، حتى قبل أن تبدأ السوقيات وقبل أن يرى ذلك البريق في عيني مارو، حتى عندما يحمل آلة التصوير على ظهره ويذهب بها عبر أزقة الجديدة إلى باب النصر إلى زاوية دار الحكومة، فجميع من يمرّ بهم، يقولون جاء الأسطة، راح الأسطة، مرحبا أسطة، وهو يبتسم لهم بطوله المقوّس، وواحد اثنان ثلاثة، ثم ينتهي كل شيء، ويخرج الأسطة رأسه من كيس التصوير، وتخرج الصورة، يأخذها الذي كان يبتسم للكاميرا، يخفيها عن عيون الناس، كأنها ليست له، يدفع ربع ليرة ويمضي إلى درج الحكومة يجرّ رجليه خائفاً.

عندما لم يعد الأسطة يستطيع حمل آلة التصوير على ظهره، تقاعد من كل شيء، صار يجلس كل يوم صباحاً ومساءً عند باب الدار، وتجلس مارو إلى جانبه، بعد أن تعدّ له القهوة، يثرثران بحكايات لها أول وليس لها آخر، وكثيرا ما كان يغضب منها، ويقذفها بالشتائم التركية التي كانت تتلقاها برحابة صدر، بل إنها كانت تضحك لها حتى يظهر ما بقي من أسنانها.

كان المساء رائقاً عندما جاءته الفكرة، وضعت له فنجان القهوة وإلى جانبه كأس صغير بها ماء وثلاث قرنفلات، قال الأسطة لنفسه : " لمن سأترك هذه العجوز بعد أن أموت ؟ "

فتل رأسه قليلاً عندما تذكر الموت، لم تكن نفسه تهمة أبداً، فقد رأى الموت كثيرا، رآه في نفسه وفيمن حوله، كان يلاحقه كهالة فوق رأسه، ولم يخف منه أبداً، لكن هذه المارو، سيأكلون لحمها إن مات قبلها، فلم لا يكتب لها البيت ؟ فلا أحد يعرف ماذا يحصل غدا، حدثها بفكرته، فرفضتها فوراً. كانت تريد أن يكون البيت للكنيسة، وبشتى الوسائل، وبيديه ورجليه، حاول إفهامها، أن ذلك سيكون بعد أن تموت، فلم تستوعب كلامه، في اليوم التالي استيقظ باكراً، ارتدى ثيابه ووضع طربوشه الصغير على رأسه، وذهب إلى دار الحكومة، وخلال أيام انتهى من ذلك كله.

نعم فقد صار البيت ملكاً للعجوز مارو، وبعد أن تموت سيكون للكنيسة،

الآن يستطيع أن يمدد رجله ويرتاح وهو يعدّ الأيام المتبقية له.

... الأسطة كان يحب مارو أكثر من روحه، يقول، هي مثل سورية، كلاهما أحبه واحتضنه ورعاه، حتى إنه ارتدى ثيابه الجديدة، تلك التي ارتداها يوم عقد قرانه على مارو، وخرج يهتف فرحاً في يوم عيد الجلاء، ويوم رأى النازحين الفلسطينيين حزن كثيراً وتذكر تلك الأيام التي ساقوهم فيها إلى حلب.

أعدت له مارو طعاماً خفيفاً، وغسلت أرض الدار، وقطفت بعض الزهور، وضعتها أمامه فوق الطاولة الصغيرة... قالت إنها متعبة ودخلت لتستريح قليلاً، وأطلق الأسطة صوته يغني بالتركية والأرمنية، ويوزع حزنه الدافئ على ظلال المساء وأوراق شجرة الكباد والياسمين التي تعرش على جدران بيت الجيران.

تأخرت مارو، ناداها، ثم وقف بطوله المقوس واستطلعها من النافذة، كانت تخرج ثيابها الجديدة، تلك التي أعدتها ليومها الأخير، نظيفة ومعطرة، أحضرت باقة زهور وفرشتها فوق السرير، ماذا أصاب مارو؟ لم يكن الأسطة يعرف شيئاً، اغتسلت دون أن تخبره، ثم ارتدت ثيابها الجديدة المطيبة المعطرة، جاءته، وهو في نشوة الغناء، أوقفت قليلاً، ثم قبلته من جبينه ودعت له بطول العمر، قالت إنها ذاهبة لتموت وحيدة وعليه ألا يحزن عليها كثيراً، قالت، حتماً سنلتقي هناك، وأشارت بيدها إلى السماء، وتركتها معلقاً، بأغنيته ودخلت البيت.

انتهى الأسطة أصادور من غنائه، ونهض يستطلع مارو من النافذة رآها في ثيابها البيضاء، تستلقي على السرير والزهور حولها، وابتسامة الرضا عالقة على شفيتها... ناداها باسمها، فلم تجب، بل طفحت الابتسامة كلها على وجهها، عند ذلك عرف أنها ماتت، وتركتها وحيداً دون غناء...

بعد أن انتهت مراسيم الدفن جاءت الكنيسة بكل وقارها وحكمتها تقرر الباب على الأسطة، فتح لهم الباب، ورحب بهم، لكنهم لم يقبلوا ترحيبه، طالّبوه بالدار التي يسكنها، لأنها صارت ملكاً لهم... أفهموه ذلك ببساطة وخشوع، لكنه لم يفهم شيئاً مما قالوه، لأنه بالبساطة ذاتها لا يعرف إلى أين سوف يذهب، وبالبساطة ذاتها حاول أن يفهمهم أن الدار له، وسوف يتركها لهم بعد أن يذهب للقاء مارو، لكنهم سدّوا آذانهم ورحلوا.

بعد يوم، يومين، عشرة، عشرين، لا يعرف الأسطة كم كانت الأيام، عندما جاءت الشرطة تريد إخراجه من البيت، حاول إفهامهم، لكنهم أيضاً لم

يفهموا عليه، لأنهم سلطة تنفيذية لا أكثر، وأمهلوه ثلاثة أيام، يتدبر خلالها أمره أو، أو سيلقونه خارجاً مع حاجياته.

عندما قرعوا عليه الباب في اليوم الثالث، لم يفتح لهم، أخذ بندقية الصيد، وجلس في صحن الدار، أمام الباب، دخن سيجارة، ويكل هدوء حشا البندقية، وراح ينتظر نهاية الموضوع.

فتح الباب، ودخل الشرطي حذراً، دفعته الدورية أمامها وانتظرت وراءه، سمعت الدورية صوت الطاخ، فتراجعت إلى الوراء، ثم اقتحمت البيت، وأخذوا البندقية والأسطة وساعدتهم الناس المحتشدة بنقل الشرطي الجريح خارج المنزل إلى المستشفى القريب.

أصابته الطلقة الشرطي، فوق الصدر الأيسر، وفارق الحياة في المستشفى، ولم يسأل الأسطة أحد عن سبب إطلاق النار على الدورية وقتل الشرطي، لأن حسني الزعيم كان قد قام بانقلابه، وعززه بإخراج بعض المحكومين إلى ساحة باب الفرج وعند الساعة قام بإعدامهم، وكان الأسطة أصادور واحداً من هؤلاء، وذهبت روحه مسرعة لتلتقي مع روح مارو، هناك، حيث أشارت له بيدها.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

قالوا

د. خالد عبد اللطيف الشايجي *

قالوا أما أنت الرصينُ الأحلمُ فاصفح إذا ما الجاهلون تهجموا
 وإذا رماك الحاقدون بغيضهم فإلسامقات على جناها ترحم
 وقد اعتري أفكاره مسٌ فقد ت: بل الجنون لفعله متجهم
 لاشيء يبصر في الأنام سوى الخطايا وهو عن كل المكارم يحجم
 وعيونه في المفسدات بصيرةٌ ولسانه في العرض مرٌ لهزم
 يعى ويمرض يومها إن لم يجد عرضاً يدنسه وشخصاً يشتم
 أدعوك ياربي الشفاء له وأن لا تبتلينا مثله يا أرحم
 ما غير «ما» عندي له مُستفهمٌ أو معرضٌ عن مثله متحشمٌ
 هذا به مما يقول بن الحسيب من حكمة الشعر التي تتكلم
 "ومن البلية عدل من لا يرعوي عن غيه وخطاب من لا يفهم"
 "ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم"

* شاعر من الكويت.

جبريل

ندى الرفاعي *

جبريلُ جاءَ بمُحكَمِ التنزيلِ بُشِرى لذي الأخلاقِ والتبتيلِ
 في الأفقِ بانَ مُجَنِّحاً قد سَدَّهُ ملءَ السماءِ ففاقَ كلَّ دليلِ
 لما أتى بأوائلِ من سورةٍ في الغارِ قال: اقرأ ، ببدءِ نُزولِ
 وتأخرِ الملِكِ الكريمِ لفترةٍ واشوقَ قلبِ نبينا الموصولِ
 ناموسُ موسى قد أتاهُ مُعلِّماً لفرائضِ وفضائلِ وأصولِ
 ولقد رآه عندَ سدرةٍ مُنتهى الآيةِ الكبرى بغيرِ مثيلِ
 وموَكَّلٌ بالوحي حاجبُ عرشه ذو مرةٍ في الخلقِ والتفضيلِ
 رفعَ المدائنَ للسماءِ بقوةٍ إذ جاءَ أمرُ اللهِ بالتنكيلِ
 قلبَ المدائنَ فوقَ رأسِ فحولها هم قومٌ لوطٍ أهلكوا بوبيلِ
 وأمينُ وحيِ اللهِ أخبرَ مريماً أن المسيحَ بشارَةً لسبيلِ
 وكذاك ربُّ العرشِ بشرَ عبدهُ إسحاقُ كان بشارَةً لخليل^(١)
 ومُبشراً عيسى بمقدمِ أحمدٍ فهو السفيرُ بمنهجٍ ومَقِيلِ
 وأتى يُعلِّمُ صحبَهُ ويدلُّهمُ وكدحيةِ الكلبيِّ حالَ مُثولِ
 يسألُ ليعطيَ الردَّ دونَ تردُّدٍ ليُعرِّفَ الإسلامَ كلَّ سَؤُولِ
 لكنه في موقفِ المعراجِ لم يتقدَّمِ المُختارَ عندَ وصولِ

* شاعرة من الكويت.

متوقفاً بالأمر عند مقامه ومضى رسول الله دون خليل^(١)
 قد جاء بالبشرى لسيدة النساء فهي (الخديجة) أم خير بتول
 «يهديك ربك ذو الجلال سلامة» يا خيرة الزوجات دون عدل
 في (بدر) قاتل راكباً في نصرة طوبى لقوم قاتلوا برسول

صلى عليك الله يا بدر الدجى أعطاك ربك ذرة الإكليل
 تدعو ، إلى الرحمن ، كل عباده صلى عليك الله ذو التبجيل
 في كل يوم قد تجدد نوره في كل ليل دائب التبديل
 ما طاف بالبيت العتيق ملبئى ما باحت الأفواه بالتهليل



(١) قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: أترك الخليل خليله في طريقهما لسدرة المنتهى في رحلة المعراج .

وفي مكان ما .. يقف سيدنا جبريل عليه السلام ، فيقول له سيدنا محمد . « أهنا يترك الخليل خليله ؟ » قال سيدنا جبريل : « لكل منا مقام معلوم .. يا رسول الله ... إذا أنت تقدمت احترقت .. وإذا أنا تقدمت احترقت »

(٢) نبي الله سيدنا إبراهيم عليه السلام .

شعر دُيب

د.يوسف شحادة *

هَذَا دُبَيْبٌ دَفِنَ بَيْنَنَا وَالنَّادِي
يَهْمِي بِوَقْعِ الشَّعْرِ وَالْقَافِيَةِ
يَفْرُغُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ الدُّجَى
وَتَظْهَرُ الْحَقِيقَةُ الصَّافِيَةِ
أَطِيرُ فِي صَحْوِ شَذَاكَ هَوَى
أَعْيَاهُ شَوْقٌ فِي رُؤْيٍ جَافِيَةٍ
تَسِيرُ أَفْرَاحِي عَلَى رِسَالِهَا
عَلَى نَزِيفِ الْمُنْتَهَى طَافِيَةٍ
وَالرُّوحُ فِي رَجْعِ مَحَبَّتِهَا
مُشْرِقَةٌ لِفَيْرِهَا نَافِيَةٍ
كُلَّمَا طَارَ مَلَاكَ هَوَى
شَيْطَانٌ عُمِرَ بِخُطَى حَافِيَةٍ !!
يَا لَيْتَ يَجْتَاحُ الْحَيَاةَ كَرَى
يَلْدُقُ أَبْوَابَ الْمَدَى الْغَافِيَةِ
فَتُتَقَبَّلِينَ مِنْ جُروحِ الْأَسَى
تَبْلِسُ مِنْ حُرْقَتِي الْخَافِيَةِ
وَتَنْفُخِينَ بَوُوحَ مُهْجَتِهَا
عَطْرًا عَلَى رِيحِ الدُّنَى السَّافِيَةِ !

* شاعر من فلسطين مقيم في هولندا

شعر

جدارية

عذاب الركابي *

. لا أثق .. إلا بعطر التراب ،

وكيمياء الحجر ،

وانتفاضات الحنين !!

- لوحتي التشكيلية الأعظم :

ذكريات الأهل ،

وأطياف الغائبين !!

. لا أعطي قدمي الإيعاز

للسير على خطى الوطن

المغيّب

حتى يترجم دمعي نهرًا كرسنًا ،

ويُلون قاع عيني

بالنور المستحيل !!

. لا أرى للحق

إلا وجه الشمس ،

ولا أرضى ..

إلا بما يقترحه البرتقال !!

. لا أرتدي قميص النهار

المزخرف بالأكاذيب ،

وتنبؤات من صعب عليهم

فك شفرة أحلامنا ،

أرى الحرية - سيرتنا الذاتية

* شاعر من العراق مقيم في مصر.

التي لا تقبلُ حبرَ المواعيد !!
لا أرى معنى

لإقامةِ كرنفالٍ باذخٍ
على شرفِ الظلمةِ ،
والنُورِ والصدقِ ..
عن مكانٍ بحثان !!

لا أضغُ تعريفاً للظواهرِ الشاحبةِ الظلِّ ،
ولا أصادقُ الأشياءَ ، وهي تبحثُ عن أشياءها ،
حتى ترقبَ أبجديتها
بفسفورٍ دموعي !!

لا أفتحُ بيتي لنجمةٍ تائهةٍ
حتى تضِيءَ بفرحي المُوَجِّلِ ،
ولا أضيفُ رقصةَ النيزكِ
إلى دفترِي الوردِي

حتى يبدأَ نشاطُهُ الضروري
من رمادِ الرُّوحِ !!

<http://www.azharit.com>

حتى يكتبَ

(لاءاته) المطرية ،

بحزنِ النهار !!

لا أعترفُ بمنْ بعثروا

مفرداتِ شوقك

في فضاءِ المدنِ المهادنةِ ،

وسخروا منْ لوحاتِ صبرك

في احتفالاتِ الأثمين !!

- أنا وأنت ..

عنوانُ وطنٍ مُبددٍ ،

هويتنا : لغةٌ كونيّةٌ ،

هي بعدَ الكلمات !!

الحلمُ زادنا ،
ونكايةً .. ،
بمن صادروا بهجة الزيتون
تعيد ..

- بالقصائد والقصص البنفسجية الإيقاع -

سلالة الحالمين !!

. لا أرفع شكواك

إلى سلطة الفراغ

أنا المتورط في همك

الكوني

حتى يفصح عن شجاعته الوقت ،

وتنسحب الظلمة برائحتها الإسفلتية

من جغرافيا المكان !!

. لا أراك إلا حمامةً ودیعةً النسل ،

جنّاحيها : الحنين الطائر ،

يُطاردها الوقت المراوغ

بشيف التعرّب .. والانتظار !!

. ولا أراني .. إلا عاشقاً ،

محبوبته دخلت التاريخ

من بوابة جرحه الغائر ،

ضيّع الوطن البعيد - القريب

اسمه ،

تجاهل ملامحه الفراتية ،

وأوركسترا علاقاته الحميمة

وأهداه بيتاً بالي السقف

في اللامكان !!

شعر

غياب في قلب الحضور

أحمد تمساح *

أنا ابن من

أنا ابن من ..

ابن الدمع ملاً الدن

ابن الحرف المطرز بالحنين والحناء والفض

ابن الحرج العنيد

ع

ن

ي

د

ARCHIVE

حين ينزوجعا - ويئن

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أنا ابن من :

ابن الارض والنبض .. ابن آدم

ابن الندم الحى والبكاء والعدم

يجتر في رثتي المسافة

ابن الحلم القادم

ابن الوجد القصيدة

ابن الآنات الوليدة

ابن الزيت والزيتون والقدس ال شهيدة

* شاعر من مصر.

فاشهدوا..
أنا ابن من
ابن الدمع ملاً الدن
وأمر الله كن
ابن الكون والطلقة غابت فى خلايا الدم
أنا ذبت عشقا فى الأفعى ..والأفعى نابها فى السم
قلت أكتب
لكن الحرف - ولد ميتا على الورقة
أنا فى دوامة الغرقى
دلكوا جسدي بالصمغ والصبار
والقدس دمعة الحبلى على كف الروح والدار
رأيتها شاهدة وشهيدة
أنا ابن الوجع القصيدة
ابن من ..تهجى الموت للموت
فى كل ليلة أموت
وليلى بنت من
بنت الشذى وقلبها لم يحن
أنا ابن من
ابن الشهادة والقسم
مازلت أبكى كالوطن
مازلت أنسج فى الكفن
كأنى أملك الروح
والبراح
والبدن
كأن النوق لي والرسن
سأنتظر الحقيقة والبلاد

تنبت على كفي قصيدة

أنا ابن من

وليلي بنت من

أحبك

قلت لها

أحبك

سكبت بجوفى أباريق التحنان والدهشة

ومن خلف أهدابها والرقصة

قالت أحبك

الغيم يأتي بالمطر

فهل تهيأت للسفر

قلت لها ..

متى ألوذ بالمعبد

أرقص فى روعة المشهد

وأنا المفتون بالنقش والحناء والموعد

سفر

سأبحر فى ذاكرة الليل

أحلب نهود الغيم

ولأحرفى أن تنمو

سنبله على الورق

لغز استعصى على الحل في حياة المتنبى - ٢ -

بقلم: إبراهيم العريض *

على أن العلويين * - وقد طال حديثنا عنهم- لا يجوز إطلاقاً أن يكونوا كلهم على خطة مدبرة، ولا كانوا جميعاً موالين لهذا البيت وحده، فإن أبناءهم - كغيرهم من بني عمومته - كانت تجمعهم السلالة في جدهم الأعلى أمير المؤمنين علي عليه السلام. وقد كان نسبهم يتفرع من غصون عدة تبدأ في الجذع ببني الحسن بن علي وبني الحسين بن علي.. وحتى بني العباس بن علي. وكلما نزلوا بالأبناء جيلاً زاد الفرع تفرعاً. وهم أولاء الذين كان يضج ذلك العصر بثورات القائمين منهم إيماناً بالحق، ويرن برزايا المصروعين منهم ضحايًا في سبيله، وكلهم في التاريخ من الدعاة العلويين (٨).

ويجب ألا ننسى أن الوضع السياسي في البلاد العربية في أوائل القرن الرابع (عندما كان شاعرنا يتلقى دروسه صبيًا في المكتب) كان يختلف كل الاختلاف عما آل إليه هذا الوضع بعد ربع قرن. فمنذ عاش العلويين وكل همهم أن ينتزعوا زمام السلطة من أيدي الغاصبين .. وكان يتركز كل سخطهم - في مستهل القرن- على من يمثل هؤلاء من العباسيين. أما بعد ربع قرن من الزمان (في هذه الفترة التي هي موضوع حديثنا بالذات) فقد تمزق شمل البلاد من أدناها إلى أقصاها، وتفرق نظامها بددا. فالبويعهيون يذر قرنهم في الشرق، وبنو حمدان يحاولون عبثاً جمع الكلمة في الشمال، والأخشيديون يستقلون بالملك في الغرب، والقرامطة يعيشون فساداً في الجنوب.

فلا غرو إذا خبت تلك الجذوة التي كان العلويون يشحذون بها الهمم، وخمدت تلك الريح التي كانوا يعقدون عليها الآمال. وقد وقفوا من زمانهم على مفترق الطرق حائرين.

* شاعر من البحرين.

سألت محمد بن القاسم المعروف بالصوفي: كيف كان سبب امتداح أبي الطيب لأبي القاسم طاهر بن الحسن ابن طاهر العلوي؟ فحدثني: أن الأمير أبا محمد (ابن طفج) ثم يزل يسأل أبا الطيب في كل ليلة من شهر رمضان، إذا اجتمعنا عنده للإفطار، أن يخص أبا القاسم بقصيدة من شعره يمدحه فيها. وذكر أنه انتهى ذلك. ولم يزل أبو الطيب يمتنع ويقول: ما قصدت غير الأمير، وما امتدح أحدا سواه. فقال له أبو محمد: قد كنت عزمت أن أسألك في قصيدة أخرى تعلمها، فاجعلها في أبي القاسم الطاهر. وضمن له عنه مئات دنائير. فأجابه إلى ذلك.

فقال محمد بن القاسم الصوفي: فمضيت أنا والمطلبي برسالة طاهر لوعده أبي الطيب. فركب معنا أبو الطيب حتى دخلنا عليه، وعنده جماعة من أهل بيته أشرف وكتاب. فلما أقبل أبو الطيب نزل أبو القاسم طاهر عن سريره، وتلقاه بعيدا عن مكانه مسلما عليه، ثم أخذ بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها قاعدا، وجلس بين يديه. فتحدث معه طويلا ثم أنشده وخلع عليه للوقت خلعا نفيسة.

قال عبدالعزيز: حدثني أبو علي بن القاسم الكاتب قال:

كنت حاضرا هذا المجلس، وهو كما حدثك محمد الصوفي. ثم قال لي، أعلم، اني ما رأيت ولا سمعت في خبر أن شاعرا جلس المدوح

أما ما بدا ينقص الدولة من أطرافها وينذر جامعتها بالويل، عن دسائس الفاطميين الذين بدا سيلهم يطمي برشاشه من الميمنة، وغارات الروم الذين أخذ طوقانهم يقصف بأذية من الميسرة، على قلب العالم الإسلامي الواهن، فلم يستفحل خطبه على الناس إلا بعد مضي ربع قرن آخر من الزمان.

وهذا الوضع الذي لم يسبق للعلويين عهد به من قبل ما كان له إلا أن يحدث في صفوفهم خورا وخلفا، لا يرون لهم فيه من ورطتهم مخرجا. فظل منهم من ظل على نهجه الثائر، واختار آخرون الوقوف بجانب الخلفاء في بغداد تحاشيا لما هو أطم، وعقد بعضهم أماله بالفاطميين، وبقي بين هؤلاء وأولئك من أنكر الفتنة، فأحب أن يعيش بعيدا عنها.. بالمسألة والحياد. ومن هؤلاء الأشراف الطاهر بن الحسن العلوي الذي كان نازلا بالرملة.

كان الطاهر هذا - وهو الحسن - واقفا على جليلة أمر شاعريا.. مقدرا لموقفه. وأن تأملا يسيرا في رواية محمد بن القاسم المعروف بالصوفي الذي يحدثنا كيف تلقى هذا الحسن الشاعري، وتسمع إلى مديحه فيه، جالسا بين يدي الشاعر، ليدلي في أمر المتبني بالحجة القاطعة.

حديث أبو عمر عبد العزيز بن الحسن السلمي، قال:

بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبي
الطيب. فأني رأيت طاهراً تلقاه
وأجلسه مجلسه، وجلس بين يديه.

والآن.. ماذا أنشد أبو الطيب طاهراً
هذا؟ إذا شئت فاسمع:

أتاني وعيد «الأدعياء» وأنهم
أعدوا لي السودان في "كفر عاقب"
ولو صدقوا في جدهم .. لحذرتهم
وهل في وحدي قولهم غير كاذب؟
الادعياء .. الذين يدعون الشرف،
بنسبتهم إلى علي عليه السلام.
ثم يصدر صاحبنا حكمه في
«العلويين» اطلاقاً:

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله
فما الذي تغني كرام المناصب؟
وما قربت أشباه قوم أباعد

ولا بعدت أشباه قوم أقارب
أي لا تقرب الأواصر بين أشباه
قوم (هم في الطباع) أباعد. كما
تقرب الطباع بين أشباه قوم (هم
في النسبة) أباعد.

إذا «علوي» لم يكن مثل طاهر
فما هو إلا حجة للنواصب
النواصب الذين يبغضون أمير
المؤمنين.

فقد جعلهم - كما ترى - على قدم
المواساة مع غيرهم، إن لم ترفعهم
الفعال نفسها.

وهذا الاهتمام بقضية العلويين،
وأقول الجارح فيما هم فيه يختلفون
لا يمكن أن يكون من إنسان لا قدر

له عندهم، ولا ممن جاء يتطفل
على موائدهم. ولا تنس أن أبا
الطيب يقف هذا الموقف بعد مضي
أكثر من عشر سنوات على دعوته
العلوية، ويجأر بها - ثانياً - جالساً
في دست من؟ .. أحد الأشراف
العلويين!!

فهل خطر لأولئك الرواة قط -
عندما لبسوا علينا في أمر نسبه-
أن يبينوا لنا كيف جاز له أن يفعل
هذا لولا أنه كان..

ولم يمدح المتبني - بعد ثورته العلوية -
سواه من العلويين أحداً.. إلا ما كان
من أمره مع رفيق صباه - محمد
بن عبيد الله المعروف بالمشطط -
وكان من أثرابه، فقد درساً معاً في
كتاب الأشراف. وكان يتعهد أسرة
الشاعر في الكوفة ويرعاه.

فأنشده القصيدة التي يقول فيها:

يا ليت بي ضربة، أتيح لها
كما أتيحت له - محمد
أثر فيها وفي الحديد، وما أثر ..
في وجهه .. مهندها
كان بذلك لقب المشطط، ويذكر
فيها أيادي:

له أياد إلي سابقة
أعد منها .. ولا أعددها

أعد منها أي أعد أنا منها «على
البناء للمجهول».

أنشدها أول رحلته إلى بغداد عام
٣١٨.. في طريقه إلى الشام. وكان
ذلك - كما ترى - قبل ثورته بسنين

لم يبق للمتنبى بعد هذا، إذا سئل
عن نسبه، إلا التكتّم. وماذا يستطيع
أن يقول - والحال ما رأيت - غير
قوله :

وإذا خفيت على الغبي، فعاذر
ألا تراني مقلّة عمياء
وقوله :

أبدو .. فيسجد من بالسوء يذكرني
فلا أعاتبه صفحاً وأهواناً
وهكذا كنت في أهلي وفي وطني
إن النفيس غريب، حيثما كانا
أنا ابن من بعضه يفوق أبا البا
حث، والنجل بعض من نجله
وإنما يذكر الجدود لهم

من نفروه، وانفدوا حيله
أنا الذي بين الإله به «الأقدار»،
والمرء حيثما جعله

جوهرة .. تفرح الشراف بها
وغصة .. لا تسيغها السفلة
وقد تردد في شعره كثيراً ذكر
الجدود، فهو يقول مرة .. بأرض
«نخلة» (٩) قرب دمشق، متأهبا
لثورته :

لا بقومي شرفت، بل شرفوا بي
وبجدي علوت، لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضاد،
وعوذ الجاني، وغوث الطريد
ويقول ثانية .. في مصر أثناء إصابته
بالحمى :
أرى الأجداد تغلبها كثيراً
على الأولاد، أخلاق اللئام

ولست بقانع من كل فضل
بأن أدعى إلى جد همام
ويقول ثالثة في أرجان بين يدي ابن
العميد

إذا الشرفاء البيض متوا بقنوة
أتى نسب أعلى من الأب والجد
وهكذا إلى آخر حياته

وتلاحظ أنه يكرر هنا - ولا
يقول إلا ما قاله آنفاً في مجلس
طاهر بن الحسن العلوي .
بقي أمر تسميته بالمتنبى ..

.. هذا الاسم الذي أصبح علماً
عليه، حتى في حياته ..

وإنما نشأت التسمية هذه على
أثر تشويه غرض الثورة تلك التي
قام بها في سبيل - ويدافع من -
علويته - في الروايات - مقرونة بها
ومقحمة عليها اقحاماً (١٠) .

وقد وردت في الصبح المنبي (عن
بعض مصادره المفقودة الآن) عبارة
غامضة بنص صغير، مر بها أكثر
الأدباء غافلين. وهي تحمل في
طواياها - لمن يمعن فيها - دلالة لها
مغزاها حول ما نحن بصددده .

وهذه هي العبارة :
قال له بعض الأكابر، وهو في مدينة
السلام: أخبرني من أثق به أنك
قلت: أنا نبي؟

فقال: الذي قلته .. «أنا أحمد
النبي» .. وليس الجواب المتنبى ..
تبريراً لتلك الدعوة التي قام بها
ثائراً .. ثم تحولت بعد إلى التهمة
هذه .. من معنى يفهم، إلا على

الشهيرة- رسالة الغفران - قائلاً:
.. وحدثت أنه كان إذا سئل عن
حقيقة هذا اللقب، قال: هو من
النبوة، أي المرتفع من الأرض.
ثم يستمر قائلاً:

وكان قد طمع في شيء قد طمع
فيه من هو دونه. وإنما هي مقادير،
يديرها في العلو مدير، يظفر بها من
وفق، ولا يراع بالمجتهد إن يخفق..
والمعري هنا- كما ترى- يجمع،
ولا يصرح، بالجواب.. ولكنه أكيدا
لا يقصد ادعاء النبوة.

ذلك هو أبو الطيب المتنبي في
بإذخ نسبه.. أحمد ابن.. محمد بن
الحسن بن علي بن محمد بن علي
بن موسى بن جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب.

نسب.. كأن عليه من شمس
الضحى نبورا، ومن فلق الصباح
عمودا. فإن تدعو الناس لأبائهم
أقسط عند الله.

وقد لخص لنا الشاعر حياته في
المقصورة التي أنشدها لنفسه بعد
مفارقتها كافور:

لتعلم مصر، ومن بالعراق،

ومن بالعواصم، أني «الفتى»

وأنني وفيت، وأنني أبيت،

وأنني عتوت على من عتا

الوفاء هنا- كما يظهر لي، ويفهم
من السياق بما كان قطعه على
نفسه من التكتّم في أمر نسبه،
ولذلك يعقب:

أساس ما كانوا يرون في عهده
من أحاديث حول المهدي المنتظر..
الذي يأتي فيملاً الأرض عدلاً كما
ملئت جوراً.

فالمتنبى هنا يدفع أراجيف التهمة
الموجهة إليه بقوله: الذي قلته «أنا
أحمد النبي» (على الإضافة أي أنا
أحمد) الذي وردت الإشارة إليه في
حديث النبي(١١).

وتلصق التهمة بشاعرنا، فلا يسعه
إلا أن يردد:

إن الكذاب الذي أكاد به

أهون عندي من الذي نقله

فلا مبال، ولا مداح، ولا وان، ولا
عاجز، ولا تكله

وطالما شوغب بها هو حتى في
مجلس سيف الدولة. قال له ابن
خالويه النحوي يوماً في مجلس
سيف الدولة:

لولا أن الآخر جاهل.. لما رضي أن
يدعي بالمتنبى، لأن «متنبى» معناه
كاذب ومن رضي أن يدعي بالكذب
فهو جاهل.

فقال له: أنا لست أرضى أن ادعى
بهذا، وإنما يدعوني به من يريد
الغض مني. ولست أقدر على
الامتناع.

ويقول الأستاذ عزام في «ذكراه»
معقياً:

فلو أن الأمر كان معروفاً ما استطاع
أبو الطيب المكابرة فيه.

ويمر زهاء قرن على القضية.
ويسأل عنها المعري فيرد في رسالته

وما كل من قال قولاً، وفي

وما كل من سيم خسفاً، أبي

يشير بها إلى ما لقيته في مجلس
سيف الدولة.

ومن يك قلب، كقلبي، له

يشق إلى العز قلب التوي

يعني بذلك اقتحامه المهالك عائداً
من مصر:

ولا بد للقلب من آلة، ورأي، يصدع
صم الصفا

أفلا يذكرك هذا بقوله، قبل عشرين
عاماً..

وما الجمع بين الماء والنار في يدي

بأصعب من أن أجمع الجد- والفهما

راثياً جدته. فقد كان في الحالين

يستعرض تجربة مرت به، ومحاولة

فشل فيها؟

وأخيراً:

وكل طريق آناه «الفتى»

على قدر الرجل فيه الخطا

هذا البيت الذي ذكروا أنه ضرب
فيه مثلاً مبتذلاً.

فهو يلخص لك - لو أعدت النظر

في سيرته، على ضوء ما بيناه لك

- رأيه في حياته تلك كلها.

رحم الله أبا الطيب، فما كان

أصدقه حين أنشد سيف الدولة في

ظروف مأساته:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا

بأنني خير من تسعى به قدم

أنا الذي نظر الأعمى (١١) أدبي

وأسمعت كلماتي من به صمم (١٢)

هوامش:

* راجع العدد الماضي .

(٧) تأمل اشارت في المراثية إلى

هذه الثورة:

طلبت لها حظاً، ففاتت، وفاتني

وقد ضيت بي، لو رضيت بها، قسما

فأصبحت استسقى الغمام لقيبرها

ولقد كنت استسقى الوغي والقنا الصما

كان يستسقى الوغي (على حد

قوله) قبيل زجه في المعتقل، فلم

يطلق سراحه إلا بعد أخذ الشهادة

عليه بنفي العلوية عنه.

(٨) راجع مقاتل الطالبين لأبي

الفرج الأصبهاني (صاحب الأغاني)

وكان معاصراً للشاعر.

(٩) في هذه القصيدة يرد قوله

الشهير:

ما مقامي بأرض «نخلة» إلا

كمقام المسيح بين اليهود

أنا في أمة. تداركها الله.. غريب،

كصالح في ثمود

والتأكيد منه هنا إنما هو على معنى

الغربة، وإن اقترنت هذه الأبيات

عند بعضهم بمعنى ادعائه النبوة،

تفسيراً لما زعم الراوون.

(١٠) نستطيع أن نستجلي غرضه

من تلك الثورة في قوله إلى «أبي

عبد الله معاذ» وكان نازلاً عنده

باللاذقية:

أبا عبد الإله معاذ! إني

خفي عنك في الهيجا مقامي

ما أرادوه من تعمية نسب المتنبى،
وتحويل القصد من دعوته العلوية
إلى الادعاء بالنبوة..

.... وليس لها من أصل تاريخي إلا
هذه الآيات.

(١١) ولعلك تستحضر قوله في
آخر عمره عند توديع ابن العميد:

فإن يكن «المهدي» من بان هديه
فهذا، وإلا فالهدي ذا، فما
المهدي؟

يعلننا هذا الزمان بذا الوعد
ويصدع ما في يديه من النقد

هل الخير شيء، ليس بالخير، غائب؟
أم الرشيد شيء، غائب، ليس بالرشد؟

(١٢) أعمى.. أعمى.. عن حقيقتي،
به صمم.. صمم عن دعوتي

ذكرت جسيم ما طلبني، وأنا

نخاطر فيه بالمهج الجسام

امثلي تأخذ النكبات منه

ويجزع من ملاقة الحمام؟

ولو برز الزمان إلي شخصاً

لخضب شعر مفرقه حسامي

وما بلغت مشيئتها اللبالي

ولا سارت وفي يدها زمامي

إذا امتلأت عيون الخيل مني

فويل.. في التيقظ والمنام

وكان يعذله على ما شاهده من
تهوره وعظم همته، فخاطبه بهذه
الآيات.

وقد حاك الرواة حول هذا النكرة
(أبي عبد الله معاذ الصيدواني)

.. وعلى لسانه.. قصة واهية،
اختلفوها اختلافاً، واحتفظوا لها
بكامل طاقاتهم الغنية، وبنوا عليها

(*) العدد الخمسون - مايو ١٩٧٠م.

من تادىخ البيان *

شعر

أطلق عناني

محمد الفايز *

أطلق عناني قد كرهتُ عناني
أطلق عناني أن قلباً آخر
عصروا شفاه حبييتي ورموا بها
وتضياؤا أشلاء أحبابي كما
صوري مشوهة الرسوم لأنها
القدس يحرقها اليهود ومنزلي
تلك العروق الزرق صرن أفاعيا
وسيعلم المتسكعون بابها
أن سوف تنطلق الكوامن مثلما
هول يريع وجوههم فوجوههم
أطلق عناني أن مديتي التي
حجرت قوُس كاللسان تمده
الأخطبوط بداخلي وملاميحي
أنساب فيك كما يدب بكاهل
سألم من هذي الشفاه قنوطها
وأثبت القدم التي زعزعتها
يا ليلُ يا عطش الصباح وشوقه
إن كنت مسجن شهوتي وتحفزي
عطشي غدير قوافلي وتوغلي
وتوقضي بطلولها وجراني
- غير الذي قد كان- في جثماني
عطشا يسبح على هجير لساني
جعلوا الحضيض مكان كل عنان
صبغت بأهة هائم غضبان
مأوى لأشباح من الشيطان
بضحيتها صخب من الطوفان
أن سوف تذهب نشوة النشوان
تتضي القماقم عن وجوه الجان
من خوفها صوراً بلا ألوان
حاولت تكسرها من الصوان
شفة بها اغماعة الظمان
فيها تلاوين من الرحمان
غشيان سائبة من السرطان
وأحيلها صخباً بكل مكان
وأمد رخو بناتها ببناني
لملم دُجاءك قد انتهى إذعاني
فغداً تكون القبر للسان
في الصمت شيء من لظى فوراني

* العدد الخمسون - مايو ١٩٧٠م.

* شاعر من الكويت.

في افتتاح الموسم الثقافي لرابطة الأدباء نورة المليفي: خليفة الوقيان نجم ساطع في سماء الثقافة الكويتية



د. خليفة الوقيان وطلال الريمضي ونورة المليفي

بمشاركة المخرج الإذاعي الأستاذ صاحب خليفة، والذي تعمد وضع الفواصل الموسيقية والأغاني الوطنية طرداً للملل وتشويقاً للمستمع، وكل ذلك في ثلاثين دقيقة فقط. وسيفتح باب الحوار في ختام هذه الندوة. وقدمت المليفي ندوة الافتتاح - والتي حملت عنوان (الوقيان في سماء الثقافة الكويتية) - عبر تقنية (البوربوينت) ممزوجة بالتسجيل الإذاعي للندوة، حيث تعرض الصور والمخطوطات على الشاشة، وبالفوت نفسه ينطلق الصوت الإذاعي لمعدة الندوة شارحة أسباب تميز وتفرد كتاب الثقافة في الكويت بواكير - اتجاهات - ريادات) . وأوضحت المليفي في بداية ندوتها ان هذا الكتاب صدر للباحث الدكتور خليفة الوقيان عبر خمس طبعات، وقد منحت هذه الدراسة الطبعة الاولى جائزة معرض الكتاب ٢٠٠٧ المقدمة

عن صحيفة "الرأي" استهلّت رابطة الأدباء موسمها الثقافي بندوة ألقته الدكتورة نورة المليفي تحت عنوان «الوقيان في سماء الثقافة الكويتية». وقبل البدء في المحاضرة ألقى الأمين العام لرابطة الادباء الباحث طلال الريمضي كلمة بمناسبة افتتاح الموسم الثقافي للرابطة، رحب فيها بالحضور ليقول عن المحاضرة: «تعمدنا اختيار

هذا العنوان في يوم الافتتاح، لأن المحتفى به أستاذنا الدكتور خليفة الوقيان انما هو نجم ساطع في سماء الثقافة الكويتية، بذل العالي والنفيس من أجل الحفاظ على ثقافتنا وتوثيقها توثيقاً علمياً. وباحثنا الدكتور خليفة الوقيان لم يخدعه جمال الأشجار، لكنه ظل يبحث عن جذورها وعروقها الممتدة في باطن الارض، والتي لا يراها الآخرون ولا تراها العين المجردة، وانما يراها العقل المفكر، ومن هنا اهتم باحثنا بجذور الثقافة الكويتية قبل وجود التعليم النظامي في بلدنا الحبيب». وأضاف الريمضي: «سنترك المجال لمقدمة الندوة نورة المليفي لتحدث عن السر الدفين والتميز الفريد لكتاب (الثقافة في الكويت بواكير - اتجاهات - ريادات)، مستخدمة تقنية... (Power Point) إضافة الى التسجيل الصوتي لندوتها

هذا الفصل تعريفا بالريادات الابداعية في مجالات الشعر والقصة القصيرة والرواية والمسرح والموسيقى والغناء والفنون التشكيلية اضافة الى الاشارة للتجارب الأولى في ترجمة الأعمال الابداعية، والتعريف بالبدايات المتعلقة بالسينما. وتنتهي الدراسة بملاحق تضم مجموعة من الوثائق «وسلطات الدكتور نورة المليفي الضوء على الأسباب التي دفعت المؤلف لتأليف هذا الكتاب مستشهدة بمقدمة الطبعة الأولى للباحث حيث ذكر الدكتور الوقيان أن من أهم الأسباب لاعداد هذه الدراسة هي عدم كفاية التوثيق للجهود الثقافية والاتجاهات الفكرية المبكرة في الكويت وبخاصة في المراحل السابقة للقرن العشرين، إضافة إلى اختزال مفهوم الثقافة لدى بعض الدارسين بالأدب وإهمال ما عداه. وكذلك الصورة المشوهة والمنقوصة التي يحملها بعض المثقفين العرب وغيرهم عن منطقة الخليج العربي عامة، واعتقادهم أن هذه المنطقة لم تكن ذات شأن قبل ظهور النفط ولم يكن للإنسان فيها إسهامات ثقافية يجدر ذكرها. وفي ختام الندوة فتح باب الحوار بين الجمهور وبين معدة الندوة وشكر امين عام الرابطة طلال الرميضي الحضور الكرام لحرصهم على المشاركة في حضور ندوة الافتتاح ثم أعلن عن تكريم المحفّض به الدكتور خليفة الوقيان، وجاء التكريم من جهات عدة اولها رابطة الأدباء، وقدم الرميضي درعا تذكارية باسم الرابطة ثم قدمت الدكتورة نورة المليفي درعا تذكارية للشاعر والأديب والباحث الدكتور خليفة الوقيان.

من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي لأحسن كتاب مؤلف عن الكويت. وأكدت الدكتورة نورة المليفي على أن هذه الدراسة لم تكن لكسب مادي بل ولم يكن هذا الكتاب فرضاً على طلبة الجامعات والكليات، إنها دراسة علمية أكاديمية دقيقة، تشبه تماماً الأطروحات والرسائل العلمية الحافلة بمراتب الشرف الأولى، ولم تكن هذه الدراسة من أجل البحث والترقي، لكنها كانت من أجل الكويت ومن أجل الحفاظ على ثقافتها وتوثيقها توثيقاً علمياً يحفظ لها تراثها الأصيل. إنها دراسة تترجم عن عشق صاحبها لوطنه الكويت. فبذل الغالي والنفيس، مضحياً بوقته وجهده من أجل الوصول للحقائق العلمية والمخطوطات والوثائق النادرة. ثم انتقلت المليفي لتتحدث عن أجزاء هذا الكتاب فقالت: «تتكون هذه الدراسة من أربعة فصول» الفصل الأول: يتحدث عن عوامل الاهتمام المبكر بالثقافة لدى الكويتيين، وفيه حديث عن طبيعة السكان والموقع والنظام السياسي فضلاً عن المؤثرات الخارجية. أما الفصل الثاني: فيسلط الضوء على مظاهر الاهتمام المبكر بالثقافة، ويتكلم هذا الفصل عن بدايات نسخ المخطوطات في الكويت، والمؤلفات المبكرة. وجاء الفصل الثالث: تحت عنوان اتجاهات فكرية، وفيه رصد للاتجاهات الفكرية التي كانت سائدة في الكويت منذ القرن التاسع عشر حتى العقد الرابع من القرن العشرين. ويتناول هذا الفصل أيضاً إسهامات الأدباء الكويتيين في مناصرة القضايا القومية. وأخيراً يأتي الفصل الرابع تحت عنوان: «ريادات ابداعية، ويقدم

منتدى المبدعين الجدد في رابطة الأدباء يناقش موضوع:

"ما بعد الكتابة الأولى" مع الكاتب عدنان فرزات



طلال الترميضي وسالم الترميضي وعدنان فرزات

ناهش أعضاء منتدى المبدعين الجدد في رابطة الأدباء الكويتيين، موضوعاً أدبياً بعنوان «ما بعد الكتابة الأولى: كي لا يكون الإبداع لمرة واحدة». وذلك من خلال أفكار طرحها الكاتب عدنان فرزات بحضور أمين عام رابطة الأدباء طلال سعد الترميضي، وأدار الندوة المشرف على المنتدى الشاعر سالم الترميضي، وحضورها جمهور كبير من المبدعين الشباب في شتى المجالات

الأدبية، والذين قرأوا أيضاً نماذج من نتاجاتهم الأدبية من شعر وقصة وخاطرة.

وقال الكاتب عدنان فرزات حول موضوع الكتابة الأولى:

وعن السؤال: لماذا يجب أن تستمر الكتابة؟ قال فرزات: الكتابة الإبداعية هي عنصر أساسي في تطور حياة الشعوب، فمعظم الذين يصلنا من إرث الحضارات السابقة هو تاريخهم الإبداعي، أكثر من تاريخهم السياسي، والإرث الإبداعي هو الأبقى، فقد نتذكر القصائد الجاهلية وقصائد العصر الإسلامي وغيرها من العصور، أكثر ما نتذكر الحكام الذين كانوا في تلك العصور، ونحن نعرف شكسبير، ولا نعرف أسماء الوزراء الذين كانوا على عهده. ونعرف القصور الأثرية التي بناها المعماريون ببراعة، ولا نعرف من كان يحكم هذه القصور. لذلك يجب أن ننظر إلى الإبداع من زاوية الخلود، وأن ندرك بأن ما نكتبه اليوم سيصل إلى الأجيال المقبلة، وتستفيد منه، وتعتبر كتاباتنا هي الشاهد الذي لا يموت عن العصر الذي عشنا به،

ليست كل كتابة أولى هي كتابة دائمة، فكثيرون كتبوا لمرة واحدة في حياتهم، وبعض هؤلاء سميت أعمالهم بالأعمال اليتيمة، وعلينا أن نلاحظ بأن الكتابة لمرة واحدة هي كتابة غير مجدية إنسانياً، وإن بلغت قمة الجمال. وطرح فرزات عدة أسئلة ثم أجاب عليها لتوضيح هذه الأفكار، مثل: ما هي الكتابة، ولماذا يجب أن تستمر، وكيف لها أن تستمر. واعتبر أن الكتابة تحمل وجهين: الأول هي تعبير عن الذات الخاصة قبل كل شيء، والثاني: أن الكتابة هي انعكاس للمجتمع مما يحيط بنا من تجارب عاشها غيرنا، ولفت أنظارنا، فجسدناها بالكتابة.